وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة

قامت الطالبة باجراء التصويبات التي طلبتها لجنة المناقشة .

أعضاء لجنة المناقشة

د. محمد ولد سيدي الحبيب	د. عبد الشكور محمد أمان العروسي	أ. د / بركات عبد الفتاح دويدار

الدعوة في سورة غافر
موضوعها وأسلوبها

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

٣٠١٠٢٠٠٠٠١٩٤٧

إعداد
الطالبة / أحلام محمد سعيد يماني

UMM AL-QURA UNIVERSITY

إشراف
الأستاذ الدكتور / بركات عبد الفتاح دويدار

٠٠٤٦٩١ ر

المجلد الأول

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

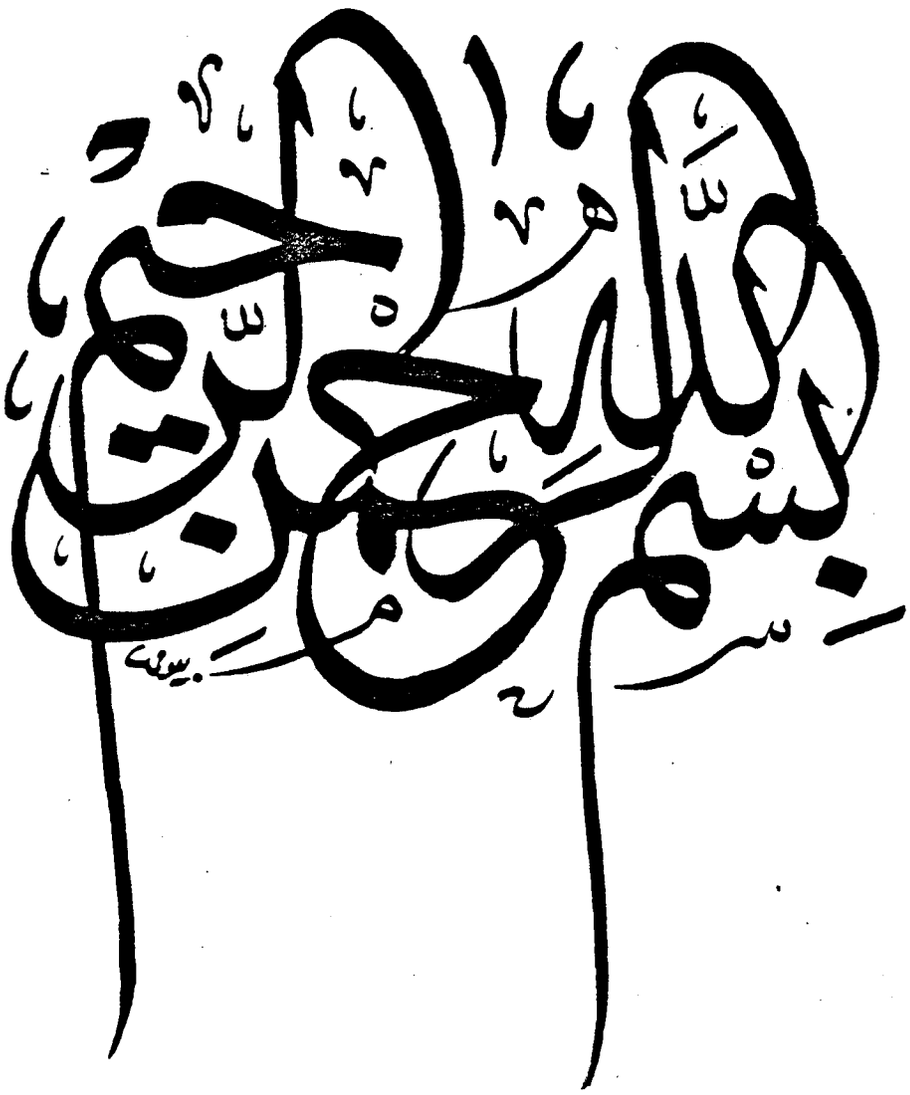

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

شكر وتقدير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

شكـر و تقديـر

أحمدك اللهم وأشكرك ،أنت أهل الحمد ومستحقه ،لا اله غيرك ولا رب سواك ، أنت مسدي كل نعمة و ميسر كل مهمة ، يقول نبيك محمد عليه السلام " لم يشكر الله من لم يشكر الناس "(١) والمرء لا يستطيع أن يفي بحق كل من جعلته سببا في وصول نعمك و احسانك الى خلقك ،ولكنـي ألتجيء اليك بأن تجزي كل محسن وتكافيء كل صانع معروف .

غير أنه لا بد من التنويه بما لوالدي -أمد الله في عمرهما - وزوجي الكريم ، من الدور الكبير في حثهم لي على التحصيل العلمي وصبرهم معـي على ذلك .

ولا أنسى فضل أستاذي الجليل فضيلة الدكتور ،بركات عبد الفتـاح دويدار ،الذي كان لحسن تعليمه وسعة صدره وغزير علمه أكبر الأثر فـي تفتيح مدارك طالباته ،فله مني خالص الشكر .

كما أتوجه بالشكر لكل أستاذ فاضل وأستاذة كريمة وأخت عزيزة ... و أشكر كل من أسدى لي معونة سواء بقراءة البحث أو بابداء الرأي والمشورة أو بتقديم التصويبات أو باعارة كتاب فلهم مني جميل الثناء .

وأخيرا ،خالص شكري وعظيم تقديري لجامعتي العريقة -جامعة أم القرى - وكليتي الفتية -كلية الدعوة وأصول الدين - فهما صرح شامـخ و منار واضح في مهبط الوحي يضيء لطلاب العلم دروب المعرفة على نور من العقيدة الصحيحة والدعوة القويمة .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم .

---

(١) الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه - . انظر مسند الامام أحمد ٣/٢٤٦ ، سنن أبي داود ٢/٢٥٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الرسالة : الدعوة في سورة غافر موضوعها وأسلوبها .

الدرجة العلمية: ماجستير .

اسم الطالبة : أحلام محمد سعيد باحمدان .

ملخص الرسالة

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في قسمين : الأول يتناول الجانب العقدى في السورة والذى يتحدث عن العقيدة والأخلاق فيها . . العقيدة بجميع عناصرها من ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر الا أن كل ذلك كان في ضوء سورة غافر فقط والتي هي موضوع الدراسة ،أما الجانب الأخلاقي فقد اعتمد على اتجاهين ،اتجاه مصوب نحو الأخلاق الحسنه والتي تطرقت الى الشجاعة والصبر ،والاتجاه الآخر نحو الأخلاق السيئة والتي انحصرت في الكبر والاسراف والفرح والمرح بغير الحق ، وسبب هذا الحصر هو التقيد بموضوع السورة .

أما القسم الثاني من الرسالة فقد تناول الجانب الدعوى الذى اشتمل على أساليب الدعوة في السورة فكان الحديث عن الجدل وأقسامه وموضوعاته ومآله ،ثم الحديث عن القصة وأهميتها وعناصرها وما ورد منها في السورة ،و أخيرا الحديث عن أسلوبي الترغيب والترهيب وأهمية كل منهما مع ذكر صوره المتعددة من خلال السورة .

ومن أهم النتائج التي توصلت اليها :

١ - ان سورة غافر هي سورة العقيدة حيث اشتملت على كل أسسها .

٢ - ان سورة غافر هي سورة الأخلاق لأن السورة - كما نعلم - مكية تعالج القضايا العقدية كما أسلفت وهي في نفس الوقت تؤسس القضية الأخلاقية .

٣ - ان سورة غافر هي سورة الدعوة ويتضح ذلك من أساليبها الثلاثة سواء في جدلها أو قصصها أو ما سلكته في أسلوبي الترغيب والترهيب .

٤ - ان سورة غافر بأساليبها العملية وهي تؤصل أساسها العقدى قد استخدمت الكثير من وسائل التأثير في عرض ما لديها لتلهب به النفوس وتثير كوامنها ومن هذه الوسائل : التوكيد والتكرار ، التعريض ، الاسجال ، الاستدراج ، الالتفات ، التخلص .

الطالبة	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
أحلام محمد سعيد باحمدان	د . بركات عبد الفتاح دويدار	د . علي بن نافع العليانى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المقدمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

المقدمـــــة

الحمد لله العزيز العليم ، غافر الذنب و قابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير . الحمد لله الذى أرسل المرسلين مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة . الحمد لله الذى دعانا ورسوله لما يحيينا ، والصلاة والسلام على من بعثه الله شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله باذنه و سراجاً منيرا ، نبينا محمد و على آله وصحبه الكريم تسليما كثيرا .

وبعـــد :

يقول الله عز وجل في محكم آياته :

* وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ (١)

فلقد جعل الله جل جلاله الدعوة أحسن الأقوال ، لما فيها من تعريف به عز وجل وتوحيد له ، وتوضيح لهداه ، فأسس قواعدها في كتابه الكريم ، تارة بأسلوب التوجيه المباشر ، كما قال سبحانه مخاطبا نبيه :

* ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ * (٢)

وقال سبحانه مخاطباً موسى وأخاه هارون عليهما السلام حينما أرسلهما إلى فرعون :

* فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا * (٣) .

---

(١) سورة فصلت آية ٣٣ .
(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .
(٣) سورة طه آية ٤٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

و تارة بالتوجيه غير المباشر كالترغيب والترهيب والقصص .. الخ ، ولقد جاءت هذه القواعد بأساليب بلغت الذروة في سمو الفكرة وابداع الصورة ،وكانت محل دراسة الكثيرين إلا أني لحظت أنّ الدراسات في أغلبها قد اقتصرت على النظرة العامة للوسائل دون التركيز على عوامل التأثير فيها ،ولذا أردت أن أجعل بحثي هذا سبيلاً للتعريف بها في ظل آفاق جديدة لدعوة مدروسة دقيقة .

و قد تمنيت من الله قبلها أن تكون دراستي في مجال الدعوة وكان لهذه الأمنية أسبابٌ هي :

أولاً - قدم الدعوة وجدتها :

مما لا شك فيه أنّ أمر الدعوة الى الله بدأ بآدم عليه السلام واستمر ولن ينتهي إلا بنهاية آخر انسان على الأرض ،نعم ،إنّ قاعدة الدعوة واحدة ،ولكن أسلوب الدعوة إلى هذه القاعدة يختلف باختلاف الأزمنة ،و هي بحاجة لمن يضيف اليها المزيد .

ثانيا - أهمية الدعوة :

من المسلم به لدى الجميع أنّ الاسلام وأهله اليوم يعانون من تكالب دول الشرق والغرب عليه بكل ما يملكون من وسائل و تقنيات ليجروا العالم إما الى الحاد مدمر أو نصرانية باطلة ، فحق على الدعوة إذاً أن ترى العناية من أبنائها وبناتها ،وأتمنى أن أضع بهذا البحث ولو لبنة واحدة في بناء ذلك الصرح الشامخ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثالثا - أما لماذا سورة غافر ؟؟

فإن لهذا قصة بدأت معي حين أنهيت دراستي المنهجية ، وكان أمامي أن أختار موضوعا للبحث ، فأدرت في المكتبات عيونا حائرة ولم يستوقفني الا كتاب الله وذكرى كلمات قديمة بأن هذا الكتاب هو منطلق الدعـــوة فتناولته وساهرته وساهرني ، وأدرت في سوره عيونا آمله ، واستوقفتني قصة مؤمن آل فرعون وإذا بي أمر برياض آيات السورة من أولها ، وكأني أقرأهـــا لأول مرة فإذا بي أخرج منها بنفس تسيل تأثرا ، وما هو إلا أن وقفت بجوانبها بضع وقفات حتى شعرت أني قد بدلت من نفسي نفسا غيرها ، فأصبحـــت انظر الى الآيات فأرى فيها من المعاني المؤثرة ما يملأ القلب حســنـــا ، كنت أرى الآيات فرأيت معانيها ، وأرى الأساليب فرأيت تأثيرها ، وأرى من خلالها الخير وحسنه ، والشر وقبحه ، ولا عجب في ذلك للأسباب التالية :

١ - إن سورة غافر هي احدى السور المكية ، وهذا يجعلنا نعيش في جو الأسس التي قامت عليها الدعوة إلى الله ، لا سيما أن العالم اليوم يعيش غربته الثانية ولن يصلح إلا بما صلح به بالأمس .

٢ - انها تمثل جانبا من جهاد رسول هو موسى عليه السلام ، ظهر تأثيره منعكسا من خلال أحد أتباعه - مؤمن من آل فرعون .

٣ - إن هذه السورة تصور لنا ما يحدثه الايمان من آثار تتجاوز حدود القلب والعقل والنفس لتنطق به الجوارح فيصبح واقع حياة وأساس دعوة .

٤ - إن حظ قصة مؤمن من آل فرعون من الدارسين لم يتجاوز السطور دون دراسة أو تمحيص .

* * *

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد بدأت حديثي عن الجانب العقدي فبسطت قواعد العقيدة من جميع جوانبها كلا على حدة بتعريفها ثم السير بها على النحو الذي سلكته سورة غافر خاصة ، اذ قمت باستقصاء تلك الوقفات من السورة ، وتقسيمها الى مباحث لأعطي كل مبحث حقه من الدراسة ، الا أنه ينبغي أن أشير إلى أنني قد اغفلت - حين الحديث عن مباحث العقيدة - الكثير مما يتعلق بجوانب الايمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، إذ وجدت أنها تخرج بي عن موضوع البحث ، وقد سودت فيها من الصفحات الكثير ، واكتفيت في هذه الدراسة بما يوضح ما نحن بصدده في ضوء السورة التي بين أيدينا .

ثم تناولت السورة من جانب الدعوة مستقصية وسائل الدعوة فيها ، فكنت أذكر الوسيلة وأتتبع آياتها في السورة لأتناولها بالشرح والتحليل واستخراج ما فيها من فوائد للدعوة مع الوقوف أمام مواطن العبرة بعد تثبيت تلك الوسائل بالدفاع عنها أمام من حاول التقليل من شأنها ، وقد حاولت أن أقف أمام عوامل التأثير التي حفلت بها سورة غافر .

وقد رجعت في موضوعي إلى أمهات الكتب فيما يتعلق بمسائل العقيدة والدعوة واللغة كل في مكانه ، لكنني لم أستغن عن الجديد منها وخاصة فيما يتعلق بالدعوة وبعض مواضع العقيدة التي تبحث في قدرة الله سبحانه وتعالى والتي قدم فيها العلم الحديث الشيء الكثير ، كما عنيت بتخريج الأحاديث ما وسعني ذلك فلله الحمد والمنه .

أما بالنسبة للصعوبات فلا يخلو بحث من صعوبه وليس البحث مجال الافاضة فيها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد انعقد البحث على بابين يسبقهما تمهيد وتتلوهما خاتمة .

أما التمهيد : فكان في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول - في الدعوة الى الله - سبحانه وتعالى - وموقعها من الدين .

المبحث الثاني - في حكم الدعوة الى الله تعالى .

المبحث الثالث - تصور عام للسورة (اسمائها ، وقت نزولها ومكانه ، عدد آياتها ، فضلها ، مناسبتها لما قبلها ، موضوعاتها الرئيسية) .

وأما الباب الأول : فعنونته : (قضايا العقيدة والاخلاق في ضوء سورة غافر) ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : القضايا العقدية في سورة غافر ، وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تمهيد في معنى الايمان وأركانه مع بيان للفرق بينه وبين الاسلام وذلك بشكل عام ، ثم الحديث عن الايمان من خلال السورة فقط .

المبحث الثاني : في الايمان بالله - وهو التوحيد - أول ركن من أركان العقيدة ، تحدثت فيه عن معنى التوحيد وأقسامه مقسما ثلاثة أقسام ، خصصت كل قسم لنوع من أنواع التوحيد بحسب دلائل السورة على ذلك التوحيد فكانت المطالب التالية :

المطلب الأول : توحيد الربوبية ، حيث قمت بتوضيح المقصود به ثم تحدثت عن دلائل السورة على هذا الجانب من التوحيد خلال عرض بعض آيات الله الكونية تارة ، وتذكير الناس بأنفسهم تارة أخرى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثاني : توحيد الألوهية حيث قمت بتوضيح المقصود به ثم الوقوف أمام ما تحدثت عنه السورة والذى يتلخص أمره في سوق آيات الربوبية في الخلق والتدبير والملك والحفظ والرعاية والاحسان والرحمة وجعل ذلك دليلا على الوحدة في الألوهية ، وبيان انفراده سبحانه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا والتي لا يكون الها الا من اتصف بها ، ثم التنديد بما يتخذه الناس الهة من دون الله واظهار حالها من العجز ، والتشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة ورميهم بالضلال والسفه حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، وأخيرا تصوير ما سيكون يوم القيامة بين الأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعاداة .

المطلب الثالث : توحيد الأسماء والصفات ، حيث قمت بتوضيح المقصود به عند السلف ثم تحدثت عن دلائل السورة على هذا الجانب من التوحيد من خلال ما تحمله من أسماء وصفات .

المبحث الثالث : في الايمان بالملائكة حيث اشتمل على مقدمة حول معنى الايمان بالملائكة ثم الحديث عن هذا الجانب العقدى من خلال السورة فنشأ عن ذلك ثلاثة مطالب ، وهي :

المطلب الأول : جانب من وظائفهم في السماء والذى اقتصر على حملة العرش.

المطلب الثاني : جانب من عباداتهم بعد اثبات حقيقة ايمانهم وهي التسبيح بحمد الله .

المطلب الثالث : جانب من وظائفهم في الأرض والذى اقتصر على الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الرابع : في الايمان بالكتب والذى اشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد : في معنى الايمان بالكتب.

المطلب الأول : وجوب الايمان بالكتب السماوية اجمالا و تفصيلا .

المطلب الثاني : وجوب الايمان بها شرعا وعقلا .

المطلب الثالث : اتفاق هذه الكتب في الأصول .

المبحث الخامس : في الايمان بالرسل ،وفيه تمهيد ومطلبان :

التمهيد : حول معنى الايمان بالرسل .

المطلب الأول : عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام ،و من خلال ذلك كان لا بد من الوقوف أمام من ذكرتهم السورة وهم نوح عليه السلام ، و هود عليه السلام ،وصالح عليه السلام ،ويوسف عليه السلام ،و موسى عليه السلام.

المطلب الثاني : بعض من وظائف الرسل عليهم السلام ،والتي تتلخص في الآتي :

أولا : دعوتهم الى الله .

ثانيا : كونهم مبشرين و منذرين .

ثالثا : اقامة الحجة على الخلق .

المبحث السادس : في الايمان باليوم الآخر ،وفيه تمهيد ،وأربعة مطالب :

التمهيد : في معنى الايمان باليوم الآخر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الأول : بعض من أسماء ذلك اليوم من خلال ما ورد في السورة.

المطلب الثاني : بعض من مشاهد ذلك اليوم.

المطلب الثالث : التأكيد على عقيدة حياة البرزخ (عذاب القبر) .

المطلب الرابع : جانب من الرد على بعض منكرى البعث .

الفصل الثاني : في قضايا الأخلاق في سورة غافر .

و يشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : في تعريف الخُلُق لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : في صلة الأخلاق بالعقيدة.

المبحث الثالث : في الأخلاق الحسنة في السورة ،وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الصبر ، وفيه تعريف الصبر ،ثم الحديث عن هذا الخلق من خلال السورة والذى يتناول كيفية الصبر على المعارضين للرسالة والمنكرين لها ،وماهية الزاد لهذا الخلق العظيم وخاتمته.

المطلب الثاني : الشجاعة ،وفيه تعريف لها ،و على أى شيء تقوم ،وما هي مظاهرها من خلال السورة .

المبحث الرابع : في الأخلاق السيئة في السورة ،وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الكبر ،و فيه تعريف الكبر ،وما كان لسورة غافر من حملة على هذا الجانب الأخلاقي السيء مع محاولة للتعليل لكون السورة أكثرت من ذكر هذا الخلق وأسهبت في ذمه ،ثم الحديث عن أسبابه ودوافعه ثم نهايته السيئة سواء في الدنيا أو في الآخرة وأخيرا ما ينبغي للداعية أن يدركه من حقائق وهو يواجه كبر المتكبرين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثاني : في خلق الفرح والمرح بغير الحق وفيه مسائل :

المسألة الأولى : في خلق الفرح بغير الحق ، حيث قمت بتعريفه ثم فرقت بين الفرح المحمود والفرح المذموم ، مع الوقوف أمام الفرح المشار اليه في آيات السورة وتناولت آياته بالتوضيح والشرح .

المسألة الثانية : في المرح بغير الحق ، حيث قمت بتعريفه ، ثم التفريق بينه وبين الفرح مع توضيح ما اذا كان هناك مرح محمود أم أن المرح كله مذموم من خلال السورة .

المطلب الثالث : في الاسراف ، وفيه تعريف له ، مع بيان المقصود به في القرآن عامة ، ثم الوقوف أمام المعنى الواضح من السورة ، مع تناول آياته بالشرح .

وأما الباب الثاني : ففي أساليب الدعوة في سورة غافر ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في أسلوب الجدل وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : في تعريف الجدل لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : في أقسام الجدل ، وكونه محمودا تارة ومذموما تارة أخرى ، ومتى يكون مذموما ومتى يكون محمودا وما هو نوع الجدل المذكور في السورة .

المبحث الثالث : في الموضوعات التي جادل فيها القرآن الكريم من خلال السورة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الجدال لاثبات الوحدانية ، ومن خلاله كانت الاستدلالات التي تقوى الأمر باستحقاقه العبادة وحده فلا يبقى لمعتذر عذر ولا لمحتج حجة ، وفي ضوء ذلك حاولت أن أدرس الأسلوب المتبع بكل ما يحمله من عوامل التأثير .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثاني : الجدال في أمر البعث والجزاء ،وهي القضية الثانية التي جادل فيها المجادلون ،ومن خلال ذلك ظهرت استدلالات السورة على امكان البعث و تحقق وقوعه ،وقد حاولت الالتزام بنفس المنهج في توضيح أسلوب تلك المجادلة ،وبعد ذلك كانت لنا وقفة يستفيد فيها الداعية من الأسلوب الذى انتهجه الرسول عليه السلام والحجة القوية في مجادلته للمشركين .

المبحث الرابع : في المجادلات التي وردت في السورة ،وفيها :

مجادلة فرعون لموسى عليه السلام وما يخرج به الداعية منها .

ثم مجادلة مؤ من آل فرعون لفرعون وملئه موضحة فيها أسباب المجادلة وما سلكه ذلك المؤ من في خطابه لفرعون وملئه من مسالك شتى وما انتهجه من أسلوب في معالجته قومه ،ثم ما كان من نهاية لذلك الجدال وما يستخلصه الداعية منه .

المبحث الخامس : أهمية أسلوب الجدل للداعية .

والفصل الثاني : في أسلوب القصة ،وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: في تعريف القصة لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : في أهمية القصة في القرآن ،مع التفريق بين القصص الممدوح والقصص المذموم عامة .

المبحث الثالث: في عناصر القصة وتشمل :

١ - الشخصية.

٢ - الأحداث .

٣ - الحوار .

٤ - الزمان والمكان.

مع الاشارة الى مواضع ذلك في السورة الكريمة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الرابع : في القصص الذى اشتملت عليه السورة ،وفيه مطلبان :

المطلب الأول : قصة موسى عليه السلام مع فرعون (دراسة تحليلية) .

المطلب الثاني : قصة مؤمن من آل فرعون (دراسة تحليلية) .

مع الاشارة الى ما أشارت اليه السورة من قصص تتعلق بنوح وهود وصالح ويوسف عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام و محاولة التعليل لتلك الاشارات .

الفصل الثالث : في أسلوب الترغيب والترهيب وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسلوب الترغيب ،وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الترغيب لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : أهمية أسلوب الترغيب والترهيب ،ومن خلال ذلك كان الرد على من حاول التقليل من قيمة هذا الأسلوب في كونه وسيلة للتربية .

المطلب الثالث : في صور الترغيب في السورة ،والذى انحصر في ثلاث صور ،تناولتها بالدراسة والبحث والتفسير ما استطعت .

المطلب الرابع : في أهمية أسلوب الترغيب للداعية .

المبحث الثاني : في أسلوب الترهيب،وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : في تعريف الترهيب لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : في أهمية أسلوب الترهيب .

المطلب الثالث : في صور الترهيب في السورة ،والتي انحصرت في تسع صور ، مع تناولها بالشرح والدراسة .

المطلب الرابع : في أهمية أسلوب الترهيب للداعية .

وأما الخاتمة : ففيها اجمال لنتائج البحث ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تمهيد

وفيه ثلاث مسائل:

١ - الدعوة إلى الله وموقعها من الدين.

٢ - حكم الدعوة إلى الله تعالى.

٣ - التعريف بسورة غافر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٢ -

التمهيد

المسألة الأولى - الدعوة إلى الله وموقعها من الدين :

(الدعوة هي : الرغبة إلى الله عز وجل ، ودعا الرجل دعوا ودعاء : ناداه ، والاسم : الدعوة . والداعية : صريخ الخيل في الحرب لدعائه من يستصرخه .

وقوله تعالى : " وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا " (١)

معناه : داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه ، وفي كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل : " أدعوك بدعاية الإسلام " (٢) أي بدعوته ، وهي كلمة الشهادة التي يدعى اليها أهل الملل الكافرة ، وفي رواية " بداعية الاسلام " (٣) ، وهو مصدر بمعنى الدعوة .

والدعاة : قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلالة ، وأحدهم داع ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة ، وكذلك المؤذن والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله تعالى / ، وفي التهذيب : النبي صلى الله عليه وسلم داعي الأمة الى توحيد الله وطاعته) . (٤)

الا أن هذا المعنى اللغوى قد تخصص بالدعوة الى الحق ، وهي ما نحن بصدده ، وفي ذلك يقول شيخ الاسلام رحمه الله (الدعوة إلى الله :

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٦ .

(٢) صحيح البخارى حديث طويل لابن عباس جـ٨ وكتاب التفسير ، سورة آل عمران باب " قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله " ص ١٦٩ .

(٣) صحيح البخارى من حديث طويل جـ٤ كتاب المغازى باب ١٠٢ ، " دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام والنبوة " ص ٤ .

(٤) لسان العرب لابن منظور جـ١٤ ص ٢٥٧ - ٢٥٩ مادة : دعى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هي الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله وبتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا)(١).

والدعوة قديمة قدم الانسان نفسه ، فهذا آدم ، ونوح ، وابراهيم ، وهود ، وصالح ، وموسى ، وعيسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين قاموا بالدعوة الى الله ، لإخراج الناس من الظلمات الى النور ، وهم بالدعوة - ولها ومن أجلها كانوا رسلا .

واذا كتب الله أن يكون لكل رسول نهاية فلا يعني ذلك انقضاء الدعوة بموته ، بل يكون من بعده ورثة يحملون ذلك الميراث ، يوصلونه إلى من لم يصله ، ويذكرون من نسيه ، ويعلمون من جهله ، وهذا ما كان على مدار التاريخ تشهد له آيات القرآن . قال تعالى :

" إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ "(٢)

وقال تعالى : " لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ "(٣)

فذمّ من قتل الآمرين بالقسط ، ولعنُ من ترك التناهي عن المنكر ، دليل على أن هناك من كان يقوم به ، ويؤكد ذلك حديث مسلم من رواية

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه ، جـ١٥ ص ١٥٧ .
(٢) سورة آل عمران آية ٢١ .
(٣) سورة المائدة آية ٧٨-٧٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عبد الله بن مسعود (١) حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعد خلـــوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ". (٢)

وقام بالدعوة خاتما للرسالات والدعوات محمد صلى الله عليه وسلم ، وتركها أمرا خالدا وسبيلا مفتوحا ومنهجا واضحا لمن بعده ، بعد أن أدى ما عليه على أكمل وجه بأمر من الله ، قال تعالى :

" قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ " (٣)

(أى أن الله يأمر نبيه أن يخبر الناس أن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هي طريقته وسلكه وسنته هو وكل من اتبعـــه ، يدعو الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة و يقين) . (٤)

---

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيـــب ، أحد السابقين إلى الاسلام ، والمهاجرين إلى الحبشة والمدينـة ، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق و بيعـة الرضوان وسائر المشاهـــــــــــــــــد .
توفـــي سنة ٣٢ هـ (أنظر ترجمته في الاصابة ٢/ ٣٦٨ و ما بعدها ، الاستيعاب ٢/ ٣١٦ ومابعدها ، تهذيب الأسمـاء واللغات ١/ ٢٨٨ وما بعدها) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب كون النهـــي عن المنكر من الايمان م ١ جـ ٢ ص ٢٧ .

(٣) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ ٢ ص ٩٥ ٤- ٩٦ ٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال تعالى : "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾" (١)

(أى ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومعنى الآية : أنه يجب على هذه الأمة أن تكون طائفة منها متصدية لهذا الشأن وان كان ذلك واجبا على كل مسلم بانفراده على الخصوص) . (٢)

وقوله تعالى : "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" (٣)

(فأمة محمد هي خير الناس ، وأنفع الناس للناس ، لأنها تقود الناس الى الخير والفوز الأبدى بدعوتها الى الحق وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر) . (٤)

ومن ذلك يتضح الأمر الصريح للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالدعوة الى الله الى يوم القيامة .

٢ - حكم الدعوة الى الله :

اتفق علماء الأمة على أن الدعوة الى الله تعالى أمر واجب وفريضة لازمة ، إلا أنهم اختلفوا في نوع فرضيتها ، حيث ذهب فريق الى أنها

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ١ ص ٣٩١ .
(٣) سورة آل عمران آية ١١٠ .
(٤) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ١ ص ٣٩٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فرض عين ، وذهب آخرون الى أنها فرض كفاية واستدل كل فريق على ما ذهب إليه بأدلة نوردها فيما يأتي :

الفريق الأول :

ذهب الفريق الأول الى أن (الدعوة الى الله فرض عين على كل مسلم) وأقاموا رأيهم على قوله تعالى :

" وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ " (١)

فقالوا إن "من" هنا بيانية (٢) والمعنى :لتكونوا كلكم كذلك يؤيدها قوله تعالى : " قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي " (٣)

وقوله : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ " (٤)

ففي مجموع الآيات نلحظ توجه الأمر والخطاب إلى جميع الأمة مما يدل على أن الدعوة فرض عين .

الفريق الثاني :

ذهب هذا الفريق إلى أن الدعوة الى الله فرض على الكفاية (٥)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤.

(٢) انظر تفسير المنار / محمد رشيد رضا جـ٤ ص ١٠٤.

(٣) سورة يوسف آية ١٠٨.

(٤) سورة آل عمران آية ١١٠ ، وقد أوردها الألوسي في روح المعاني جـ٣ ص ٢١-٢٢.

(٥) انظر الفتاوى لابن تيميه / جـ١٥ ص ١٦٥-١٦٦ / الحسبة لابن تيميه ص ٤٠-٤٦ / شرح النووي على صحيح مسلم جـ٢ ص ٢٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مستدلا بنفس الدليل والمتمثل في قوله تعالى :

" وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ " (١)

فقالوا إنّ " من " هنا للتبعيض ، معللين ذلك بأنّ العلماء هم القادرون على تحقيق تلك الشروط وليس كل الناس علماء) . (٢)

وخلاصة الأمر : إن لكل من الفريقين أدلته وردوده ، وأحسب أن هذا ليس مكانها ، فأكتفي بما أشرت إليه ثم أدلي بدلوى المتواضع مرجحة بين الأقوال فأقول وبالله التوفيق :

إن أمر الدعوة الى الله أمر واجب على كل مسلم ، وفرض عين على الجميع كل حسب طاقته وذلك لا يكون إلاّ من منطلق الاحساس بالمسئولية العامة ، خاصة وأننا نعيش وضعا عمّ فيه البلاء كل جانب من جوانب الحياة وليس له إلا تجنيد النفوس القادرة ، فيأخذ كل فرد منهم على يد الآخر ليشعر كل واحد أنه محاسب ممن حوله كلٌ من جانبه ، وأنه لن يكون بمأمن من التوجيه والملاحظة فإنّ ترك المعصية أو المخالفة ؛ خشية لله فقد أفلح ولله الحمد ، من منطلق قوله تعالى :

" وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ " (٣)

وإلاّ كان الترك على أضعف الايمان ، خوفا من الحساب والملاحظة من الناس ، فلا تعم البلوى ولا يستشرى الفساد ، ولا عذر لمعتذر مهما كان ،

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٢) تفسير المنار / محمد رشيد رضا / جـ٤ ص ١٤٠ .

(٣) سورة الذاريات آية ٥٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لأنه وهو المسلم لا بد أن يكون على أقل القليل مدركا بفطرته ودينه الخير خيراً فيحبه ،ويعلم الشر شراً فيكرهه ، فاذا أنكر من هذا الباب الذى يعلمه فقد أدى جزءا من واجب يعم به النفع مع أجزاء أخر تؤدى من كل فرد بحسب علمه ،خاصة وأن الشرع لم يترك لمحتج حجة ، فالانكار باليد أولا فان لم يستطع فباللسان ،فان لم يستطع فبالقلب وذلك أضعف الايمان .

ويظن بعض الناس أن التغيير بالقلب انما هو عمل سلبي فحسب، والواقع أنه عمل ايجابي ،لأنه حينما ينكر بقلبه فهو مثلا لا يؤاكل العاصي ، ولا يجالسه ولا يواده ، ويظهر الانكار على وجهه وبذلك يجد فاعل المنكر نفسه محاصرا من المجتمع الذى يعيش فيه ،ولا أدل على ذلك من موقف الرسول مع الثلاثة الذين خلفوا (١) وما نتج عن ذلك الموقف وتلك المقاطعة من نتائج ايجابية ،وهكذا فان فاعل المنكر حينما يجد نفسه محاصرا ممن حوله لا بد أن ينتهي . وبذلك يكون المنكر قد بلغ غايته النهي عن .

وفي هذا الاتجاه يقول صاحب تفسير المنار (فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جوزوا أن يكون المسلم جاهلا لا يعرف الخير

---

(١) هم الذين ورد ذكرهم في سورة التوبة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العامرى ، وهلال بن أمية الواقفى ، والذين نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكلام معهم حين تخلفوا عن غزوة تبوك. (انظر القصة في صحيح البخارى جـ٥ كتاب تفسير القرآن باب " وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.. " ٢٠٨-٢٠٩ ، وصحيح مسلم جـ٤ كتاب التوبة باب " حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه " حديث رقم ٢٧٦٩ ص ٢١٢٠-٢١٢٨).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من الشر ولا يميز المعروف من المنكر ، وهذا لا يجوز دينا ولا تكليفا)[١]
ثم علق صاحب كتاب " أصول الدعوة " قائلا : (والعلم بطبيعته يتجزأ ويتبعض فمن علم مسألة وجهل أخرى ، فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية ، ومعنى ذلك أن يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى وبالتالي يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل ، ولا خلاف بين الفقهاء في أن من جهل شيئا أوجهل حكمه أنه لا يدعو إليه ، لأن العلم بصحة ما يدعو إليه الداعي شرط لصحة الدعوة ، وعلى هذا فكل مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذى يعلمه)[٢].

٣ - التعريف بسورة غافر :

أسماؤها :

لسورة غافر أسماء ثلاثة هي :

(١) (المؤمن) وبذلك ترجمها البخارى[٣] في صحيحه ،

---

(١) محمد رشيد رضا جـ٤ ص ١٤٠.
(٢) عبد الكريم زيدان ص ٣٠٢.
(٣) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخارى ، أبوعبدالله الامام الحافظ الشهير صاحب الجامع الصحيح وغيره من المصنفات النافعة ، توفي سنة ٢٥٦هـ (انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات ٦٧/١ وما بعدها ، طبقات المفسرين للداودى ١٠٠/٢ ومابعدها ، طبقات الحنابلة ٢٧١/١ ومابعدها ، وفيات الأعيان ٣٢٩/٣ ومابعدها ، طبقات الشافعية للسبكي ٢١٢/٢ وما بعدها).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والترمذى (١) في الجامع ، وقد جاءت هذه التسمية من قوله تعالى : "وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ" كما وردت هذه التسمية في السنة ، فقد روى الترمذى عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قرأ حم المؤمن إلى (اليه المصير) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى و من قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح (٢) الحديث) . (٣)

(٢) سورة الطول (٤) ، ووجه التسمية بها من قوله تعالى في أولها : "ذِي الطَّوْلِ" (٥)

---

(١) هو محمد بن عيسى بن سورة السلمي ، أبو عيسى ، الحافظ الضرير العلامة المشهور ، أحد الأئمة في الحديث ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال " كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر " وكان يضرب به المثل في الحفظ ، توفي سنة ٢٧٩ هـ (انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٣/٤٠٧ ، شذرات الذهب ٢/ ١٧٤ / طبقات الحفاظ ص ٢٧٨ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٣٣) .

(٢) رواه الترمذى عن أبي هريرة جـ٤ ص ٢٣٢ في كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، حديث رقم ٢٠٣٩ وقال الترمذى : هذا حديث غريب .

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن / الزركشي جـ١ ص ٢٦٩ ، الاتقان في علوم القرآن / السيوطي جـ١ ص ٥٤ ، معترك الأقران / السيوطي جـ٣ ص ٤٤٤ / روح المعاني / الألوسي جـ٢٤ ص ٣٩ ، التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥ .

(٤) سورة غافر آية ٣ .

(٥) انظر البرهان في علوم القرآن / الزركشي جـ١ ص ٢١٩ ، الاتقان في علوم القرآن / السيوطي جـ١ ص ٢١٩ ، روح المعاني / الألوسي جـ٢٤ ص ٣٩ ، فتح البيان / صديق حسن خان جـ٨ ص ٢٥٩ ، التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(٣) سورة غافر : ووجه التسمية بها من قوله تعالى في أولها :
"غَافِرِ الذَّنبِ" (١) (٢)

وقت نزولها :

هذه السورة جعلت الستين في عداد ترتيب نزول السور ، وهي أول سور آل حم نزولا ، نزلت بعد سورة الزمر ، وقبل سورة فصلت (٣) وقد توقف صاحب التحرير والتنوير أمام تاريخ نزول السورة ليحدده بالسنة الثالثة قبل الهجرة ، معللا لذلك أنه (قد كانت هذه السورة مقروءة عقب وفاة أبي طالب ، أى سنة ثلاث قبل الهجرة ، لأن أبا بكر قرأ آية
"أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ" (٤)
حين آذى نفر من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حول الكعبة ، وانما اشتد أذى قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب) . (٥)

ولكننا لا نسلم لصاحب التحرير والتنوير بهذا التعليل ، لأنه لا يتم له ما ذهب اليه الا بعد توضيح لبعض النقاط والتي تشكل علامات استفهام ، وهي :

---

(١) سورة غافر آية ٣ .
(٢) انظر البرهان في علوم القرآن / الزركشي جـ١ ص ٢٦٩/ روح المعاني / الألوسي : ٢٤ ص ٣٩ ، الاتقان في علوم القرآن/ السيوطي جـ١ ص ٥٤ ، التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ ٢٤ ص ٧٥ .
(٣) انظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي جـ١ ص ١٩١ ، التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور جـ ٢٤ ص ٧٦ .
(٤) سورة غافر آية ٢٨ .
(٥) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، جـ ٢٤ ص ٧٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أولاً : ألا يحتمل أن تكون هذه الآية التي قرأها أبوبكر هي التي كانت قد نزلت فقط في ذلك الوقت وأما السورة فلم تنزل الا بعد ذلك ؟

ثانياً : بل الأكثر من ذلك ، ما المانع في أن تكون السورة نزلت قبل ذلك الوقت بزمن طويل ، وقرأها أبوبكر في هذه المناسبة ، كما نقرؤها نحن الآن كشواهد نزلت منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان ؟

هذه تساؤلات قد تثار في الأذهان إذا ما قرأ أحدهم تعليل صاحب التحرير والتنوير ، ومن هنا نكتفي بأنها نزلت بعد سورة الزمر ، ونزلت سورة الزمر قبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة غافر في ذلك التاريخ أيضا .

مكان نزولها :

(هي مكية بالاتفاق ، قال ابن عباس (١) : " أنزلت حم المؤمن بمكة " ، وعن سمرة بن جندب (٢) قال : نزلت الحواميم جميعا بمكة) . (٣)

---

(١) هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، حبر الأمة ، وترجمان القرآن وأحد الستة المكثرين من رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، دعا له النبي عليه السلام بقوله " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ (انظر ترجمته في الاصابة ٢/ ٣٣٠ ، الاستيعاب ٢/ ٣٥٠ ، شذرات الذهب ١/ ٧٥ ، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٣٢) .

(٢) هو سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير السوائي من بني سواءة بن عامر والد جابر لهما صحبة ، أسلم في الفتح ، كان مع سعد بن أبي وقاص في المدائن ثم نزل الكوفة ومات بها في ولاية عبدالملك (انظر ترجمته في : الاصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٧٨ ، الاستيعاب ٢/ ٧٩) .

(٣) انظر روح المعاني / الالوسي ٢٤/ ٣٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إلا أن بعض المؤرخين والمفسرين أورد لها استثناء في آيتين منها ، وهي :

أولا : (قوله تعالى "وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾" (١)

معللين لذلك أنهما نزلت في فرض الصلوات الخمس وأوقاتها ، وفرض الصلوات الخمس وأوقاتها ما وقع الا في المدينة ، وانما كان المفروض بمكة ركعتين كل يوم من غير توقيت) . (٢)

والآية الثانية : (قوله تعالى :

"إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾" (٣)

نزلت في يهود من المدينة جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم - في أمر الدجال ، وزعموا أنه منهم) . (٤)

الا أن الواضح من استقراء الآيات أن هذا الاستثناء من بناء ضعيف على ضعيف :

(١) أما الآية الأولى : (فان الجمهور على أن الصلوات الخمس نزلت وفرضت بمكة في أوقاتها ، على أنه لا يتعين ارادة الصلاة

---

(١) سورة غافر آية ٥٥ .

(٢) انظر روح المعاني ، الألوسي جـ٢٤ ص ٣٩ ، التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥ .

(٣) سورة غافر آية ٥٦ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي جـ١٥ ص ٢٨٨ ، الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي جـ١ ص ١٠-١١ ، روح المعاني ، الألوسي جـ٢٤ ص ٣٩ ، التحرير والتنوير ، بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالتسبيح في الآية ،بل يحمل على ظاهر لفظه من كل قول ينزه به الله تعالى).(١)

وأما الآية الثانية (فيقول شيخ الاسلام ابن تيمية :" قولهم نزلت الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول ،ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية ،وان لم يكن السبب ،كما تقول : عني بهذه الآية كذا ، وقال الزركشي في البرهان : قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم اذا قال نزلت الآية في كذا فانه يراد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ، لا من جنس النقل لما وقع).(٢)

عدد آياتها :

اختلف في عدد آياتها (٣) (فقد عدت آيها اثنين وثمانين في عد أهل البصرة) (٤) ، (وأربعا وثمانين في عد أهل المدينة ومكة) (٥) (وخمسا وثمانين في عد أهل الشام والكوفة) (٦) (وقيل هي ست

---

(١) انظر روح المعاني ،الالوسي جـ٢٤ ص ٣٩ ،التحرير والتنوير، بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٥ .

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٤٨.

(٣) قد يكون الاختلاف في عدد الآيات ،لأن اعتبار الآية وعدمه يختلف من مذهب لآخر ،فالكوفيين مثلا يعدون حم آية ،ومن عداهم لا يعدها آية (انظر البرهان ،الزركشي جـ١ ص ٢٦٧).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي جـ٢٤ ص ٢٨٨ ، الاتقان في علوم القرآن ،السيوطي ص ٦٨ ،التحرير والتنوير ،بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٧.

(٥) انظر الاتقان في علوم القرآن ،السيوطي جـ١ ص ٦٨ ،روح المعاني ، الالوسي جـ ٢٤ ص ٣٩ ،التفسير القرآني للقرآن ،عبد الكريم الخطيب جـ٢٤ ص ١٢٠٢ ،التحرير والتنوير ،بن عاشور جـ٢٤ ص ٧٧ .

(٦) روح المعاني ،الالوسي جـ٢٤ ص ٣٩ ، فتح البيان ،صديق حسن خان ص ٢٥٩ ،التفسير القرآني للقرآن ،عبد الكريم الخطيب جـ٢٤ ص ١٢٠٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد ورد في فضل سورة غافر أحاديث وآثار عديدة ، أكتفي بما أورده الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " من قرأ " حم المؤمن " الى " اليه المصير " وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح)(٣) .

مناسبتها لما قبلها :

قبل الحديث عن مناسبة السورة لما قبلها ، لا بد من الاشارة إلى أمر مهم هو ترتيب السور ، فهل ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي أو اجتهادي ؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التناسب واضحا سواء من ناحية :

(أ) مطلع السورة .

(ب) أو من ناحية نهاية السورة السابقة - سورة الزمر - وبداية اللاحقة - سورة غافر - .

أما من ناحية المطلع (فإن مطلع سورة غافر مناسب لمطلع سورة الزمر لما بينهما من التشاكل التي خصت به ، وهو أن كل سورة منهما استفتحت بالكتاب ووصفه ، مع تفاوت المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام)[١].

ثم كان مناسبة فاتحة السورة - أي سورة غافر - بخاتمة التي قبلها - أي سورة الزمر - (حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظا)[٢].

فقد كان مما اشتملت عليه سورة الزمر قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٣]

ثم كان ختامها : القضاء والفصل بين الناس ، وانزال الكافرين منازلهم من النار ، وانزال المؤمنين منازلهم من الجنة .

وبدء هذه السورة - غافر - يلقى الناس جميعا - بعد أن شهدوا - في السورة السابقة - الحساب والجزاء ، ورأوا جزاء المحسنين والمسيئين ، - يلقاهم - بكتاب الله ، الذى هو هداية كل ضال ، ومنارة كل سالك الى طريق النجاة ، ثم يلقاهم مع كتاب الله بغفران الله ورحمته ، وقبول توبة التائبين المنيبين اليه ، وشدة عقاب المجادلين له ، المكذبين برسله)[٤].

---

(١) أسرار ترتيب القرآن ، السيوطى ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ١/ ٨٦ .

(٣) سورة الزمر آية ٥٣ .

(٤) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، جـ ٢٤ ، ص ١٢٠٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(ليكون ذلك استدعاء للكافر الى الايمان والاقلاع عما هو فيه ، وبين السورتين أنفسهما أوجه من المناسبة ، ويكفي فيهما أنه ذكر في كل منهما أحوال يوم القيامة ، وأحوال الكفرة فيه وهم في المحشر وفي النار ، وقد فصل في هذه من ذلك ما لم يفصل منه في تلك) . (١)

وفي ضوء ذلك نتحدث عن :

موضوعات السور الرئيسية :

تطرقت سورة غافر الى أصلين مهمين من أصول الايمان يتمثلان فيما يلي :

(١) الايمان بالله وتوحيده ، وذلك بالتنبيه على دلائل تفرده سبحانه بالألوهية وابطال عبادة ما يعبد من دونه ، وذلك بالاعتماد على أسلوب الترغيب من خلال التذكير بنعمه العديدة على خلقه ، ليشكروا ويؤمنوا بدل أن يعرضوا ويكفروا .

(٢) اثبات قضية البعث ، والاستدلال على امكانيته ، بالاعتماد على أسلوب الترهيب حين يذكر الكافرين بما يلقون من هول يوم القيامة ،

---

(١) روح المعاني ، الألوسي جـ٢٤ ص٣٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وما يترقبهم من عذاب ، وتهديدهم بأن لا نصير لهم يومئذ ، وبأن كبراءهم سيتبرؤون منهم ، وعندها سوف يعضون أصابع الندم حين لا ينفع الندم .

ومن خلال الجو العام الذى اعتمده الكافرون وهو الجدل ركز القرآن على هذه القضية والتى كررها خمس مرات في هذه السورة مثلا حالهم بحال الأمم المكذبة السابقة ، منبها على أسباب استئصالهم ، ضاربا المثل بقصة فرعون وقومه مع موسى ، ومطياتها قصة ذلك المؤمن مع فرعون ، ونهاياتهم ، وفي المقابل ذكر الله المؤمنين وتثبيته لهم ، والثناء عليهم ، وثناء الملائكة عليهم .

ومن خلال تلك الموضوعات الرئيسية كانت أبواب البحث وفصوله بمنهجها العلمي ، جاعلة موضوعات العقيدة متصدرة البحث ، ثم الوسائل التي استخدمها القرآن في السورة للوصول إلى تلك الموضوعات ، فكان الباب الأول للحديث عن قضايا العقيدة في ضوء السورة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الباب الأول

قضايا العقيدة والأخلاق في ضوء سورة غافر

ويشتمل على الفصلين التاليين :-

الفصل الأول : قضايا العقيدة في ضوء السورة .

الفصل الثاني : قضايا الأخلاق في السورة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الأول

قضايا العقيدة في ضوء السورة.

ويشتمل على ستة مباحث :-

المبحث الأول : في معنى الإيمان وأركانه.

المبحث الثاني : الإيمان بالله (التوحيد) وأقسامه.

المبحث الثالث : الإيمان بالملائكة.

المبحث الرابع : الإيمان بالكتب.

المبحث الخامس : الإيمان بالرسل.

المبحث السادس : الإيمان باليوم الآخر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفصل الأول

قضايا العقيدة في ضوء سورة غافر

سورة غافر هي احدى السور التي تعد من ديباج[1] القرآن وعرائسه ولبابه .

(يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - " ال حم ديباج القرآن "، وقال[2] ابن عباس - رضي الله عنهما - : " ان لكل شيء لبابا ، ولباب القرآن آل حم)[3] . وقال " مسعر بن كدام " : " كان يقال لهن العرائس "[4].

وما أجدرها بذلك .. فقد جمعت بين أصول الايمان وأركانه .

تحدثت عن قضايا الايمان ، وبخاصة قضية التوحيد والتي هي روح الاسلام كله ، وأصل عقائده جميعا ، ومن هنا كانت هذه القضية هي قطب الرحى الذى دارت حوله السورة .

لقد تحدثت عن قضايا الايمان ، ولكن ليست بالطريقة التي رتبنا لها بل بطريقة القرآن المتكاملة المترابطة ، والتي يخدم بعضها بعضا ..

---

(١) الديباج : ضرب من الثياب ، والديج : النقش والتزيين . (انظر لسان العرب ، ابن منظور ، ٢/ ٢٦٢) .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ٤٣٧ ، وسكت عنه الحاكم والذهبي .

(٣) أورده السيوطي في تفسيره وعزاه الى أبي عبيد في فضائله (انظر الدر المنثور ٥/ ٣٤٤) .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه جـ٢ كتاب فضائل القرآن باب " في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ص ٤٥٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تحدثت عن قضية اليوم الآخر ، ورسمت صورا لأهوالها فجاءت مناسبة كنهاية للباطل وأهله.

ومن هنا كثرت الآيات حول قضيتي الايمان بالله واليوم الآخر ..

جاء الحديث عن الايمان بالله كبداية تقود الانسان العاقل ، وتقول له الى أين ؟؟ ياكل هذه الأشياء المرئية والمحسوسة في ذاتك وحولك تحت وهج النهار وعتمة الليل ... وهل بعد هذا تتساءل أين الله ؟ وهل له شريك في ملكه أم لا ؟؟ إن آيات الايمان بالله رسمت الدرب لمن كان بلا درب ، وحملت من كان بلا أقدام ليكتشف أبعاد الايمان .. قال تعالى :

" ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ " (١)

وجاء الحديث عن اليوم الآخر لتصوير نهاية المرء الذى امتدت خطواته بلا هدف ، وجال في دروب الحياة بلا غاية ، وفتح ذراعيه لكل ناعق بلا حذر ، وعاش في ظل كل طاغوت صاغرا ليجد نفسه أمام أهوال القيامة لايملك الا أن يكبح أنفاسه وهو يحاول أن يخرج من بين كل تلك الأهوال ، ولكنها آمال لا تعرف لها اتجاها وليس لها صدى

---

(١) سورة غافر آية ٦١- ٦٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الا في نفوسهم ، يقول تعالى :

" إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ " (١)

أما ذكر الملائكة فقد كان في غيرها من السور مفصلا .. أما هنا - في سورة غافر - فقد جاء ليشعر أهل الحق أنهم ليسوا وحدهم ، بل معهم الله قبل كل شيء ، ثم معهم ملائكة يستغفرون ويدعون لهم : " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ " (٢)

أما بالنسبة للكتب فقد اقتصر الأمر على القرآن والتوراة ، أما القرآن فلأن سورة غافر من أولها إلى آخرها مبنية على لزوم حجة القرآن والتنبيه على معجزته .

وأما التوراة فلأن سورة غافر تضم جانبا كبيرا من قصة موسى عليه السلام ، فكان ذكر التوراة في معرض النعم التي أنعمها الله على بني اسرائيل والتي منها وراثتهم التوراة ليكون لهم كتاب هداية وذكرى .

---

(١) سورة غافر آية ٧١ - ٧٢ .
(٢) سورة غافر آية ٧ - ٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما بالنسبة للرسل فقد ورد ذكر بعضهم كنوح ، وهود ، وصالح ، ويوسف عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، ورد ذكرهم في معرض التوجيه من قبل الله لرسوله بالصبر على قومه ، والانتظار عليهم ، فقد أرسل رسلا كثيرين من قبله وكان لهم أقوام كقومه تقلبوا ... وتحركوا ... وملكوا ... واستمتعوا ... وطغوا ... والنهاية معروفة .

أما ما يتعلق بسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، فقد كان له النصيب الأوفر من آيات السورة ، لأن موضوع السورة يستدعي ذلك ، ويكفي في ذلك أن مؤمن آل فرعون والذى هو عنوان السورة ظهر في عصر موسى عليه السلام فاستلزمت الآيات أن تسلط الأضواء على جوانب من قصته وجزء من حياته مع قومه .

وهكذا ظهرت لنا سورة غافر في موضوعها العقدى أبدع ظهور لخدمة الجو العام للسورة .

وعليه كان مدار هذا الباب في أصل الاعتقاد بوجود الله ، وما يستتبعه هذا الاعتقاد من الايمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، واثبات كل ذلك بأدلته النقلية ، والأخرى العقلية ، فكانت من أجل ذلك المباحث التالية :

المبحث الأول : تمهيد في معنى الايمان وأركانه .

المبحث الثاني : الايمان بالله (التوحيد وأقسامه) .

المبحث الثالث : الايمان بالملائكة .

المبحث الرابع : الايمان بالكتب .

المبحث الخامس : الايمان بالرسل .

المبحث السادس : الايمان بالبعث بعد الموت .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الأول :

تمهيد في معنى الإيمان وأركانه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الأول

تمهيد في معنى الايمان وأركانه

إذا نظرنا الى العقيدة التي ينادى بها الاسلام من خلال نصوصه وجدناها ترتكز على أصول ستة هي : الاعتقاد بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره على أنه من الله تعالى . وهذه هي الأصول المعلن عنها في كثير من الآيات والأحاديث .

وهذا الجانب الاعتقادى هو ما يسمى في الاصطلاح الاسلامي بـ "الايمان" وعلى ذلك جاءت الآيات الكثيرة تستعمل لفظة "الايمان" ومشتقاتها .

معنى الايمان :

(آمن من باب سَلِم ، ويقال آمنه فهو آمن ، وآمنه غيره من الأمن والأمان ، وقوله تعالى : (١)

"وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣"

قال الأخفش (٢) يريد البلد الآمن وهو من الأمن .

---

(١) سورة التين آية ٣ .

(٢) هو هارون بن موسى بن شريك التغلبي ، أبو عبدالله : شيخ القراء بدمشق كان أخفش "صغير العينين ضعيف البصر" يعرف بالأخفش الدمشقي ، وكان قيما بالقراءات السبع ، عارفا بالتفسير والنحو والمعاني والغريب والشعر ، وصنف كتبا في القراءات العربية ، توفى سنة ٢٩٢ هـ (انظرترجمته في طبقات المفسرين للداودى خ ، الأعلام ٨/٦٣) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والايمان ، هو التصديق ، والله تعالى المؤمن ،لأنه آمن عباده أن يظلمهم ،والأمن : ضد الخوف) .(١)

وفي لسان العرب : (أمن أى الأمان ،والأمانة وهي بمعنى ،وقد أمنت ،فأنا آمن ،وآمنت غيرى من الأمن والأمان ،والأمن ، ضد الخوف والايمان : ضد الكفر .

والايمان بمعنى التصديق ، ضده التكذيب ،يقال : آمن به قوم ،وكذب به قوم ،فأما آمنته المتعدى فهو ضد أخفته ،وفي التنزيل العزيز :

" وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ " (٢)

وفي التهذيب : الايمان هو مصدر آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن ، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم على أن معنى الايمان التصديق ، قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف لأبيهم :

" وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ " (٣)

فلم يختلف أهل التفسير في أن معناه : ما أنت بمصدق لنا .والأصل في الايمان : الدخول في صدق الأمانة التي ائتمن عليها ،فاذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن) .(٤)

---

(١) مختارالصحاح ، الرازى ص ٢٦ .

(٢) سورة قريش آية ٤ .

(٣) سورة يوسف آية ١٧ .

(٤) انظر لسان العرب ، ابن منظور جـ ١٣ ص ٢١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعلى هذا فخلاصة معنى الايمان في كتب اللغة هو التصديق بما يطلب من الانسان اعتقاده ، تصديقا جازما لا شك فيه ولا تردد .

ولقد كثر الكلام في حقيقة الايمان ، وصنف في ذلك الكثير من الكتب ، وما سنذكره هنا هو ما يستفاد من كلام الله مع ما يستفاد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ،لنصل الى ما نريد من نفس كلام الله ورسوله فان هذا هو المقصود فنقول :

لقد تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى الإيمان كما يرويه أبو هريرة " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس، اذ أتاه رجل يمشي فقال : يا رسول الله ما الايمان ؟ قال : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر ، قال يا رسول الله ما الاسلام ؟ قال : الاسلام : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان . قال : يا رسول الله ما الاحسان ؟ قال : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك .. الى أن قال : هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم ". (١)

---

(١) صحيح البخاري جـ١ كتاب الايمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان .. " من رواية أبي هريرة ص١٨ ، صحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان .." حديث رقم ٥ ص ٣٩ ، كما روى في صحيح مسلم من رواية عبدالله بن عمر جـ ١ كتاب الايمان باب الايمان والاسلام والاحسان .. حديث رقم ١ ص ٣٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إلا أنه يشكل عليه حديث وفد عبد القيس الذى أورده مسلم في صحيحه عن أبي حمزة قال :" كنت أترجم بين يدى ابن عباس وبين النـاس فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجر فقال : إن وفد عبد القيس أتـوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم من الوفد من القوم ؟ قالوا : ربيعة ،قال مرحبا بالقوم أو بالوفد غيـر خزايا ولا ندامى قال ، فقالوا : يا رسول الله ، نأتيك من شقة بعيدة وان بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ،وإنا لا نستطيع أن نأتيـك إلا في شهر حرام ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل بـه الجنة ،قال : فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع ،قال : أمرهم بالايمان بالله وحده ،وقال : هل تدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ،قال : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا الخمس من المغنم ... " الى آخر الحديث . (١)

فنجد أن حديث جبريل قد فسر الاسلام بما جعله حديـث وفد عبد القيس تفسيرا للايمان . وبيان الأمر كما أراه هو ما ذهـب اليه صاحب كتاب حد الاسلام وحقيقة الايمان حينما قال: (إن الرسول الكريم في حديث وفد عبد القيس قد أمرهم بأربع : اقام الصـلاة، ايتاء الزكاة ، صوم رمضان ، وأداء الخمس من المغنم ،وبالرغم من أنه ذكر الشهادتين الا أنه لم يعد الشهادتين من الأربع لأنها تفسير لمـا

---

(١) صحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان باب ٦ الأمر بالايمان باللـه تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين ..) حديث رقم ٢٤ ص ٤٧ ، ٤٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قبلها ،والأربع تخرج عنها وتقوم عليها وتقبل وتصح بها.

فاذا كان حديث جبريل قد فسر الاسلام بما جعله حديث عبدالقيس تفسيرا للايمان ، الا أن لفظي الايمان والاسلام يلتقيان في دلالتهما على قاعدة الأعمال وأصل الدين وهي أن يعبد الله ولا يشرك به شيئ وهذا هو معنى التوحيد ،وهذا هو تحقيق الشهادتين وان كان اللفظان يختلفان في غير ذلك من الدلالات.

وعلى هذا فالايمان المطلق يدخل فيه الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس ،ولهذا قال من قال من السلف : كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا).(١)

وأما اذا قرن لفظ الايمان بالعمل أوبالاسلام ، فانه يفرق بينهما كما في قوله تعالى :

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"

وهو في القرآن كثير (٢) ، وكما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم لك أسلمت وبك آمنت .. الحديث) (٣) وكما في حديث جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان، ففرق في ذلك بين الاسلام والايمان ، حيث خص الايمان بالأعمال القلبية الاعتقادية ،والاسلام بالأعمال الظاهرة.

---

(١) انظر حد الاسلام وحقيقة الايمان ،الشيخ عبد المجيد الشاذلي ص ١٨٦-١٩٠.

(٢) كما في سورة الكهف آية ١٠٧ ،وسورة النحل آية ٩٧ ،وسورة العصر آية ١-٢.

(٣) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والاستغفار ،باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل جـ٤ص ٢٠٨٦ / ح ٦٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهذا ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله حين قال : (فالتحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاسلام والايمان ، ففسر الاسلام بالأعمال الظاهرة ، والايمان بالأصول الخمسة ، فليس لنا اذا جمعنا بين الاسلام والايمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما اذا أفرد اسم الايمان فانه يتضمن الاسلام ، واذا أفرد الاسلام فقد يكون مع الاسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب). (١)

والحقيقة أن موضوع الايمان والاسلام وهل هما مترادفان أو متغايران - كما يقول محقق كتاب الايمان - من أكثر الموضوعات بحثا ، وقد اختلف العلماء في ذلك ، وصنفوا فيه الكتب والمقالات.

(فمن القائلين بالفرق بينهما ، وأن الاسلام غير الايمان : الامام أحمد بن حنبل (٢) ، وحماد بن (٣) زيد ،

---

(١) الايمان / ص ٢٤٦.

(٢) هو الامام الجليل أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي ، أحد الأئمة الأربعة الأعلام ، ولد ببغداد ونشأ بها ، وطلب العلم وسمع الحديث فيها ، وسافر في سبيل العلم أسفارا كثيرة. فضائله وخصاله ومناقبه لا تكاد تعد ، توفي سنة ٢٤١هـ. (أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢ ، وفيات الأعيان ١/ ٤٧ ، حلية الأولياء ٩/ ١٦١).

(٣) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي ، أبواسماعيل ، البصري ، الأزرق ، قال ابن حبان " كان ضريرا ، وكان يحفظ حديثه كله " وقال ابن مهدي " أئمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان ومالك والأوزاعي وحماد بن زيد " وهما حمادان ، حماد ابن زيد ، وحماد بن سلمة ، والأول أحفظ وأثبت في أيوب ،

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والزهري (١) وغيرهم . وقد ذكر "ابن منده" (٢) أدلتهم بالتفصيل في كتابه "الايمان" .

أما القائلون بالترادف ،فمنهم الامام "البخاري" و"محمد بن نصر المروزي" (٣) مؤيدا من "ابن تيميه" و"ابن منده" وغيرهم

=== وكان من أهل الورع والدين توفي سنة ١٧٩ هـ (انظرترجمته في : طبقات الحفاظ ص ٩٦ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٨ ،شذرات الذهب ١/ ٢٩٢ ،حلية الأولياء ٦/ ٢٥٧) .

(١) هو محمد بن مسلم بن عبدالله بن عبدالله بن شهاب ،الزهري ،أبو بكر ،المدني التابعي ، أحد الأعلام نزل الشام ، روى عن الصحابة والتابعين ،رأى عشرة من الصحابة ،وكان من أحفظ أهل زمانه ،وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار ،فقيها فاضلا ،وكان يأتي دور الأنصار فلا يبقى فيها شابا الا سأله ،ولا كهلا ،ولا أنثى ، ولا عجوزا الا سأله ، قال الشيرازي : كان أعلمهم بالحلال والحرام" توفي سنة ١٢٤هـ (انظر ترجمته في : طبقات الحفاظ ص ٤٢ ، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٨ ، حلية الأولياء ٣/ ٣٦٠ ،وفيات الأعيان ٣/ ٣١١ ، شذرات الذهب ١/ ١٦٠٢) .

(٢) هو محمد بن اسحاق بن محمد بن زكريا بن يحيى بن منده ، أبو عبدالله ،الامام الحافظ ،محدث العصر ،الأصبهاني العبدي ، مكثر في الحديث مع الحفظ والمعرفة والصدق ، وله مصنفات كثيرة ،ورحل كثيرا ،وكان ختام الرحالين ،وفرد المكثرين ،توفي سنة ٣٩٥ هـ (انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣١ ، طبقات الحفاظ ص ٤٠٨ ، شذرات الذهب ٣/ ١٤٦) .

(٣) هو محمد بن الحجاج بن عبد العزيز ،أبو بكر المروزي وهو المقدم من أصحاب الامام أحمد لورعه وفضله ، قال ابن العماد" كان أجل

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولهم أدلتهم من الكتاب والسنة)[١].

وخلاصة الأمر الذى أختاره هو خلاصة ما وصل اليه محقق كتاب الايمان والذى قال فيه مايلي :

(أولا : بالنظر الى المعنى اللغوى ،فلا شك أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر ، فالاسلام هو الاستسلام والانقياد ، لقوله تعالى :

" وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣ "[٢]

أى انقاد ،والايمان هو التصديق ،لقوله تعالى :

" وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا "[٣]

أى بمصدق .

ثانيا : أما بالنظر الى الايمان الشرعي فأقرب الأقوال هو القول بالتلازم بينهما ، لأنه يفيد أن معنى أحدهما غير معنى الآخر، ويضاف الى هذا بأنه اذا اجتمعا افترقا ،كما في حديث جبريل عليه السلام فقد خص فيه الايمان بالأعمال القلبية ، والاسلام بالأعمال الظاهرة واذا انفرد أحدهما شمل الآخر بالتلازم كما في حديث وفد عبد القيس (أتدرون ما الايمان) ثم فسره بما فسر به الاسلام في حديث

=== أصحاب الامام أحمد ،اماما في الفقه والحديث ، كثير التصانيف ،توفى سنة ٢٧٥ هـ (انظر ترجمته في طبقات الحنابلة ١/ ٥٦ ومابعدها ، شذرات الذهب ٢/ ١٦٦) .

(١) انظر كتاب الايمان لابن منده جـ١ ص ٣٢٤ والذى ذكر ابن منده أدلتهم هناك بالتفصيل جـ١ ص ٣١١ ومابعدها .

(٢) سورة آل عمران آية ٨٣ .

(٣) سورة يوسف آية ١٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جبريل عليه السلام ، وكما في قوله تعالى :

" وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ " (١)

فلا يمكن أن يكون هذا الاسلام المقبول الا ملازما للايمان) . (٢) وعلى هذا (فالايمان تصديق وقول وعمل ، أما التصديق : فهو تصديق القلب ، وأما القول : فهو قول باللسان ، وأما العمل : فهو عمل الجوارح) . (٣)

ومنه قوله تعالى :

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ " (٤)

وقوله :

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا " (٥)

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الايمان بضع وستون شعبة ، أعلاها قول لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان) . (٦)

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٢) الايمان / محمد بن اسحق بن منده ص ٣٢٥ -٣٢٦ ، جـ١ ، تحقيق د . علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

(٣) انظر العقيدة الواسطية / تقي الدين أحمد بن تيميه ص ٢٥ .

(٤) سورة الحجرات آية ١٥ .

(٥) سورة الأنفال آية ٢- ٤ .

(٦) صحيح البخاري جـ١ كتاب الايمان باب أمور الايمان ..)ص ٨١ ، ٨٢ وصحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان باب ١٢ بيان عدد شعب الايمان وأفضلها وأدناها حديث رقم ٥٧ وحديث رقم ٥٨ قريبا منه ص ٦٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واذا نظرنا الى العقيدة التي تعرضهـا سورة غافر من خلال نصوصها وجدناها ترتكز على أصول خمسة هي : الاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو المعنى الذى ذهب اليه شيخ الاسـلام ابن تيميه في كتابه "الايمان"(١) ، وهذه الأصول هي المعلن عنهـا في آيات السورة بمصطلحها الاسلامي "الايمان" ، وعلى ذلك جـاءت الآيات تستعمل لفظة الايمان ومشتقاتها : آمن ، آمنوا ، آمنا ، يؤمن ، مؤمن ، يؤمنون .

قال تعالى : "وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾"(٢)

وقال : "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾"(٣)

وقال : "فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾"(٤)

وقال : "وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾"(٥)

وقال : "وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾"(٦)

وقال : "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ"(٧)

---

(١) ص ٢٤٦ .
(٢) سورة غافر آية ٣٠ .
(٣) سورة غافر آية ٥٨ .
(٤) سورة غافر آية ٨٤ .
(٥) سورة غافر آية ٢٧ .
(٦) سورة غافر آية ٤٠ .
(٧) سورة غافر آية ٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهي بكل صورها هنا أتت بمعنى التصديق والذى ضده التكذيب ، وهو كما يرى صاحب اللسان (الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها فاذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن) . (١)

وهذا هو المعنى المذكور في آيات سورة غافر التي تلتقي في دلالتها على قاعدة الأعمال وأصل الدين ، وهي عبادة الله وحده ، دون شريك والذى هو معنى التوحيد .

وهو المعنى الذى فصله شيخ الاسلام عندما شرح الايمان بأنه تصديق وقول وعمل . (٢)

وفي ضوء ذلك ورد لفظ الايمان في السورة بمحاوره الثلاثة :

التصديق بالقلب :

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (٣)

والتصديق بالقول :

" فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ " (٤)

والتصديق بالعمل بالجوارح :

" وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ " (٥)

وقال :

" وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ " (٦)

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ١٣ ص ٢١ .
(٢) انظر العقيدة الواسطية ص ٢٥ .
(٣) سورة غافر آية ٢٧ .
(٤) سورة غافر آية ٨٤ .
(٥) سورة غافر آية ٤٠ .
(٦) سورة غافر آية ٥٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كل ذلك كما أشرنا آنفا معتمدا على قاعدة الأعمال وأصل الدين وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخاصة أن سورة غافر قائمة على اثبات لا اله الا الله ، وهي تعالج قضية الايمان والكفر ، منهية الى الدلائل الكثيرة على تفرده سبحانه بالألوهية اجمالا ، والتي ستتعمق الدراسة فيها من خلال المبحث القادم ان شاء الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثاني :

الإيمان بالله (التوحيد) وأقسامه .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : توحيد الربوبية .

المطلب الثاني : توحيد الألوهية .

المطلب الثالث : توحيد الاسماء والصفات .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الثانـــي

الايمان بالله (التوحيد وأقسامه)

(الواحد هو الذى لا يتجزأ ، ولا يثنى ، ولا يقبل الانقسام ، ولا نظير له ولا مثل (١) . والوحدة هي : الانفراد ، واذا وصف الله تعالى "بالواحد" فمعناه هو الذى لا يصح عليه التَّجزِي ، ولا التكثر ، فلا ثاني له ،

ولصعوبة هذه الوحدة قال تعالى :

" وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ " (٢) (٣)

وعلى هذا فالتوحيد هو الايمان بالله وحده لا شريك له .

- والتوحيد في الاصطلاح يطلق ويراد به المعنى المصدرى ، وقد يطلق ويراد به الفن المدون المسمى بهذا الاسم ، وأما الثاني فقـــد اختلفت عبارات القوم في تعريفه (٤) ، وليس هنا مكان بحثها وما يهمنا هنا هو المعنى المصدرى : (وهو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له ،

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣ / ٤٥٠ .
(٢) سورة الزمر آية ٤٥ .
(٣) انظر المفردات للراغب الاصفهاني ص ٥١٤ .

(٤) لم أقف أمام المعنى الاصطلاحي الثاني لكثرة اختلاف عبارات القوم حوله ، حيث أن منهم من توسع في مدلول الكلمة حتى جعلها تشمل جميع مباحث العقيدة ، سواء ما تعلق منها بالله عز وجل وصفاته ، أم بالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، من حيـــث ما يجب لهم وما يجوز ، ويمتنع عليهم ، أم باليوم الآخر وتفصيل ما يقع فيه وجميع أخبار الغيب التي وردت في الكتاب والسنـــة ومنهم من يجعله قاصرا على البحث في ذات الله وصفاته ومنهم من قصره على الصفات وسماه علم الصفات (دعوة التوحيد / هراس ص ٨) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وسمى هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه وهي اثبات الوحدة لله في الذات ، والفعل في خلقه الأكوان ، وأنه وحده مرجع كل كون ، ومنتهى كل قصد ، وهذا المطلب كان هو الغاية العظمى من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كما تشهد به آيات الكتاب العزيز)[١] الا أن هذه الوحدة كان لها متعلقات ، جعلها أقساما وتحدث عنها شارح الطحاوية فقال : (ان التوحيد الذى دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان : توحيد في الاثبات والمعرفة ، وتوحيد في الطلب والقصد .

فالأول : هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثله شيء في ذلك كله كما أخبر به عن نفسه ، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح ، كما في أول (الحديد) ، و (طه) ، وآخر (الحشر) ، وأول (الم تنزيل السجدة) ، وأول (آل عمران) ، وسورة (الاخلاص) بكمالها ، وغير ذلك .

والثاني : وهو توحيد الطلب والقصد ، مثل ما تضمنته سورة (قل يا أيها الكافرون) ، و : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾[٢] وجملة سورة الأنعام)[٣] .

---

(١) رسالة التوحيد / الشيخ محمد عبده ص ٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية / ابن ابي العز الحنفي / تحقيق : جماعة من العلماء ص ٨٨ - ٨٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول صاحب كتاب " دعوة التوحيد " معلقا : (وواضح أن هذا التقسيم الذى ذكره شارح الطحاوية انما هو باعتبار ما يجب على الموحد ،فأحيانا يطلب منه مجرد العلم والمعرفة بعقيدة التوحيد ، وأحيانا يطلب منه توجيه القصد والارادة واخلاص العبادة لله).(١)

أما تقسيم التوحيد باعتبار متعلقه فيذكره شارح الطحاوية في مكان آخر حيث يقول (فان التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع :

أ - أحدها الكلام في الصفات .

ب - والثاني ،توحيد الربوبية ،وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

جـ - والثالث : توحيد الالهية ،وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له).(٢)

(وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد ، بل كل سورة في القرآن ،فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبرى ،وإما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادى الطلبي (٣) وإما أمر ونهي والزام بطاعته

---

(١) دعوة التوحيد / محمد خليل هراس ص ١٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز الحنفي / تحقيق جماعة من العلماء ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) وقد تحدث عنه الامام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين جـ١ ص ٢٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ،واما خبر عن اكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيده ،واما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وكذلك الله شهد لنفسه بهذا التوحيد ،وشهدت له به ملائكته ، وأنبياؤه ،ورسله ، قال تعالى :

" شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " (١)

فتضمنت هذه الآية الكريمة اثبات حقيقة التوحيد والرد على جميع طوائف الضلال ، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به) . (٢)

دلائل السورة على التوحيد :

ان سورة غافر التي نحن بصددها في هذا البحث جاءت متضمنة لكل أنواع التوحيد ،ففيها الخبر عن الله وأسمائه وصفاته ،وهو التوحيد المأخوذ من قوله تعالى :

" حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ " (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨-١٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي /تحقيق جماعة من العلماء ص ٨٨، ٨٩.

(٣) سورة غافر آية ١ - ٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفيها الدعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه ، وهو توحيد مأخوذ من قوله تعالى :

" فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ " (١)

وقوله : " هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ " (٢)

وفيها أمر ونهي والزام بطاعته وهي من حقوق التوحيد ومكملاته ، قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم :

" قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ " (٣)

وقوله : " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ " (٤)

وقوله : " فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ " (٥)

وفيها خبر عن أهل الشرك والكفر وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب والذى هو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، قال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ " (٦)

وقوله : " أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ " (٧)

---

(١) سورة غافر آية ١٤.
(٢) سورة غافر آية ٦٥.
(٣) سورة غافر آية ٦٦.
(٤) سورة غافر آية ٧٧.
(٥) سورة غافر آية ٥٦.
(٦) سورة غافر آية ١٠-١١.
(٧) سورة غافر آية ٢١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله : " وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ " (١)

وقوله : ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ (٢) "

وعلى هذا فالسورة كلها في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وسيظهر تفصيل ذلك في المباحث القادمة ان شاء الله .

وقد استخدمت السورة من أجل أساس هذه القضية - قضية التوحيد - عدة طرق للاستدلال منها المنطقي ومنها الواقعي ، على أن أغلبها يمتزج فيها المنطق بالواقع المحس ، فيكونان معا منطقا مستمدا من الواقع ، قال تعالى : " ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ " (٣)

ثم تذكر السورة دليلا آخر أكثر واقعية :

" هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ " (٤)

---

(١) سورة غافر آية ٤٧ - ٥٠ .
(٢) سورة غافر آية ٧٠ - ٧٦ .
(٣) سورة غافر آية ٦١ - ٦٤ .
(٤) سورة غافر آية ٦٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومع ذلك كله هناك من يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ، ولكن القرآن لا يترك قضية التوحيد تمر هكذا بل يستمر في تقديم الأدلة ولكن لمن يسمع ويعقل :

" وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ " (١)

و تفصيل الأمر كما أشرنا آنفا سيظهر واضحا من خلال المطالب القادمة :

المطلب الأول : توحيد الربوبية .

المطلب الثاني : توحيد الألوهية .

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات .

---

(١) سورة غافر آية ٥٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الأول : توحيد الربوبيـــة

لو جلس كل منصف الى نفسه وأخذ يفكر في أمر الكون - وهذا ما يجمل بكل عاقل أن يفعله ، معطيا لنفسه حقها من الصدق والأمانة ، من غير أن يعبث التعصب بفكره فلن يفرغ من التفكير حتى يشعر برهبة الله تملأ كل جوانبه ، وحده الله دون شريك ، أما لماذا وحده ؟؟ فلأن وحدة نظام الكون بكل ما فيه ساكنه ومتحركه ، بكل جزء فيه على حده ، ثم بكـــل تلك الأجزاء مجتمعة دون تفاوت هي التي تحكم بذلك والا لظهر التباين والتعارض في قوانين الكون . وحيث أنه لا تباين ولا تعارض فلا بد عقلا من أن يكون المهيمن واحداً لا يشركه في أمره شريك ، هذه النتيجة حين تتحول الى عقيدة يطلق عليها توحيد الربوبية ولكي نزيد الأمر وضوحا لا بد من معرفة مدلول كلمة " الرب " التي اشتق منهـــا لفظ الربوبية .

ان لفظ الرب يطلق على عدة معان ، منها (المالك ، والسيد ، والمدبر ، والمربي ، والقيم ، والمنعم ، والمعبود بحق سبحانه وتعالى)(١) ومن هذه المعاني الكثيرة للفظ الرب اشتق اسم الربوبية ، والتـــــي تعني : الخلق ، والرزق ، والملك ، والسيادة ، والتربية ، والاصلاح ، والتدبير . يقول شيخ الاسلام رحمه الله (والرب : هو الذي يربي عبده ، فيعطيه خلقه ، ثم يهديه الى جميع أحواله من العبادة وغيرها)(٢) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ١ ص ٣٩٩ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله جـ١ ص ٢٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولكون الله هو الرب الحق للعالمين اختص بالربوبية دون سواه، ووجب توحيده فيها وامتنع عنه الشريك بحيث لا تصلح الربوبية لغيره، يقول شيخ الاسلام رحمه الله (والرب سبحانه وحده هو الذى لا شريك له ولا ند ، بل ما شاء كان ،وما لم يشأ لم يكن ،ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقا ولا ربا مطلقا ونحو ذلك ،لأن ذلك يقتضي الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع ،وليس ذلك الالله وحده) (١).

ومن هنا أصبح معنى الربوبية نفي الشريك عنه تعالى في صفات الربوبية الحقة والتي هي الخلق والرزق والملك والتدبير الذى من لوازمه المنع والعطاء والاعزاز والاذلال والاماته والاحياء .

وعقلاء الناس في كل زمان ومكان يتحاشون دائما نسب أى شيء من صفات الربوبية لغير الله تعالى الرب الحق الذى لا رب سواه ولا اله غيره ،وذلك لما يعلمه الانسان العاقل ذو الفطرة السليمة من عدم صلاحية المخلوقين للاتصاف بصفات الربوبية وعجزهم عنها ،لأن المخلوق لا يَخلق ،والمملوك لا يَملك.

(ولكن لما وجد في الناس من ينازع في توحيد الربوبية ويجعل لغير الله عز وجل شيئا من الشركة معه في الخلق أو التدبر ، لم يهمل القرآن الكريم الاحتجاج له ،بل قرره أبدع تقرير) (٢) يقول شيخ الاسلام رحمه الله وتوحيد الربوبية (هذا مما لم ينازع في أصله أحد من بني آدم ،وانما نازعوا في بعض تفاصيله ،كنزاع المجوس ،والثنويه ، والطبيعية ،والقدرية ،وأمثالهم من ضلال المتفلسفة والمعتزلة ،ومن يدخل فيهم) (٣).

---

(١) المرجع السابق نفسه جـ٢ ص ٣٥.

(٢) انظر دعوة التوحيد / د. محمد خليل هراس ص ٣٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جـ٢ ص ٣٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وسورة المؤمن - سورة مكية - كان لها وقفة رائعة لتقرر أمر الوحدانية في هذا الجانب . (تقرر أن هذه الحقائق مسلمة من كل من في الوجود وكل ما في الوجود ، ففطرة الوجود كله مرتبطة بهذه الحقائق ، متصلة بها الاتصال المباشر الذى لا تجادل فيه ولا تماحل ، والوجود كله مقتنع بآيات الله المشاهدة بحقيقته ووحدانيته ، وما من أحد يجادل فيها الا الذين كفروا وحدهم ، شذوذا عن كل ما في الوجود وكل من في الوجود ، فهم وحدهم من بين هذا الوجود الهائل يشذون وهم وحدهم من بين هذا الخلق ينحرفون وهم أصغر وأضأل من هذا الكبر ، ومن ثم نجد الآيات توجه القلوب الى هذا الوجود الكبير ، لعل المتكبرين يتصاغرون أمام عظمة خلق الله ، وتتفتح بصائرهم فلا يكونوا عميا :

" وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ " (١)

فتراه تارة يعرض بعض آيات الله الكونية التي يمرون عليها غافلين ، وتارة يذكرهم بأنفسهم وقد صورهم فأحسن صورهم ، ليصل بهم الى دعوة الله وحده مخلصين له الدين ، وبعد ذلك يأتي العجب من أمر الذين يجادلون في الله) . (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٥٨ .

(٢) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٦٧-٣٠٦٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

آيات الله في الكون والآفاق والأنفس

جمع الله تعالى ذكر دلالتي النفوس والآفاق في قوله تعالى :

" سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ " (١)

(فإن الأرض والسماوات بسائر تعقيداتهما ، والحياة في شتى صورها ، وأخيرا الانسان بكل قدراته العليا ، كل هذا أشد تعقيدا من أن يتصور الانسان أنه حدث هكذا وحده أو بمحض الصدفة ، من الله خالق وراء كل ذلك) (٢) وخالق واحد فقط - فالكون والآفاق بكل ما فيها من سماء وأرض وليل ونهار ، هذان الخلقان الكونيان وتلك الظاهرتان الكونيتان نراهما في معرض الحديث عن (تصوير الله للبشر واحسان صورهم ومع رزق الله لهم من الطيبات ، تعرض كلها في معرض نعم الله وفضله على الناس ، وفي معرض الوحدانية واخلاص الدين لله .. فيدل هذا على ارتباط هذه الظواهر والخلائق والمعاني ، وعلى وجود الصلة بينهما ، ووجوب تدبرها في محيطها الواسع ، وملاحظة الارتباط بينهما والاتفاق) . (٣)

(هذا التدبر والفكر هو النظر المأمور به ، وعلى ذلك درج السلف من غير ترتيب المقدمات على قانون أهل المنطق ، بل قد شهد كتاب الله على أن ذلك يفيد البيان ، حيث قال :

" سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ") (٤) (٥)

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣ .

(٢) انظر " الله يتجلى في عصر العلم " / نخبة من العلماء الأمريكيين ص ١١١ .

(٣) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٩٢ .

(٤) سورة فصلت آية ٥٣ .

(٥) انظر ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق / ابن الوزير ص ٤٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فاذا ما تأملنا الآيات وجدنا طرقا متعددة تدل على وجـــود الخالق ووحدانيته ،والتي منها :

طريق العناية ، فالعالم كله (اذا نظر الانسان الى ما فيـه من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي هي سبب الليل والنهار ،وسبب عمارة أجزاء الأرض ،ووجود الناس ،وسائر الكائنات ،وكون الأرض موافقة لسكنى الناس فيها وسائرالحيوانات ،علم على القطع أنه ليس يمكن أن تكون هـــذه الموافقة التي في جميع أجزاء العالم للانسان والحيوان والنبات بالاتفاق ،بل ذلك من قاصد قصده ،ومريد أراده ،وهو الله عز وجل) . (١)

ومما استجيد في هذا المعنى ،وتناقله السلف الصالـــح قول زيد بن عمرو بن نفيل (٢) رحمه الله تعالى :

---

(١) انظر فلسفة ابن رشد / ابن رشد الأندلسي / تصحيح ومراجعة عبد الجواد عمران ص ١٠٩.

(٢) هو زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوى ،والد سعيد بن زيـــد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ،كان زيد يتعبد في الفترة قبل النبوة على دين ابراهيم ،ويوحد الله ،ويعيب على قريش الذبح على الأنصاب ويقول : يا معشر قريش ،ما أصبح منكـــم أحد على دين ابراهيم غيرى ، وينهى قريشا عن الزنا ،لأنه يورث الفقر ،وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ؟ فقال : "يبعث يوم القيامة أمة وحده" توفي قبل النبوة ورثاه ورقـــة ابن نوفل ، قال ابن حجر : ذكره البغوى وابن منده في الصحابة وفيه نظر ،لأنه مات قبل البعثة بخمسين سنة (انظـــر : الاصابة ١/ ٥٦٩ ، تهذيب الأسماء ١/ ٢٠٥).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رضيتُ بك اللهم رباً فلن أرى
أدين(١) الها غيرك الله(٢) ثانيا

وأنت الذى من فضلِ منٍّ ورحمة
بعثت الى موسى رسولاً منادياً

فقلت له : يا اذهب(٣) وهارون فادعوا
إلى الله فرعون الذى كان طاغيا

وقولا له أأنت سوّيت هذه
بلا وتد حتى اطمأنّت كما هيا ؟

وقولا له : أأنت رفعت هذه
بلا عمد ؟ أرفق إذاً بك بانيا !(٤)

وقولا له : أأنت سوّيت وسطها
منيراً اذا ما جنّه الليل هاديا ؟

وقولا له : من يُرسل الشمس غُدوةً
فيصبح ما مسّت من الأرض ضاحيا

وقولا له : من يُنبت الحبّ في الثرى
فيصبح منه البقل يهتزّ رابيا

ويخرُج منه حبّه في رؤوسه
وفي ذاك آيات لمن كان واعيا(٥)

---

(١) أدين الها : أى أدين لاله ، وحذف اللام وعدى الفعل لأنه في معنى أعبد الاها .

(٢) غيرك الله ، يريد : يا ألله .

(٣) يا اذهب : على حذف المنادى كأنه قال : ألا ياهذا اذهب .

(٤) ارفق : فعل التعجب (انظر السيرة النبوية جـ١ ص ٢٤٢-٢٤٣) .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام / تحقيق مصطفى السقا وآخر جـ١ ص ٢٤٢-٢٤٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أولا : من آيات الله في الكون والآفاق :

آيات الله في الكون والآفاق كثيرة جدا ، ونحن لا نستطيع أن نوفيها حقها في هذه العجالة ، وانما نقف في المكان الذى وقفت عنده سورة غافر فنقصر الأمر على آيتي السماء والأرض ، وظاهرتي الليل والنهار .

أ - بالنسبة لآيتي السماء والأرض :

يقول الله تعالى في سورة غافر :

" ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ " (١)

السماء :

هي احدى الآيات التي تدل على خلق الله ، وأنه وحده الخالق ، وأول ما يرد ذكرها نجد سؤالا يفرض نفسه - كيف تقف السماء بأحجامها وأوزانها الهائلة في الفضاء بهذا التوازن العجيب ؟

فيجيبنا القرآن :

" ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا " (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٦٤ .
(٢) سورة الرعد آية ٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كما يقول سبحانه :

" إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا " (١)

و يجيب العلم بقوله :لم يعرف الانسان مقدار ارتفاع السماء الا بعد كشفه عن مواقع بعض النجوم ، فيعرف أن السماء مرتفعة وليست قريبة كما يظن النظر المجرد) (٢) ، وهذا الامساك يحصل بقوة الجاذبية التي شاهد العلماء آثارها ،وأحصوا أطوارها ، ومسوا سطوحها ،ولم يسبروا أغوارها ،وعرفوا قوانينها و نواميسها ،ولم يعرفوا مدى أسرارها . يقول الشيخ "نديم الجسر" : (الحق ما قالوا ، فالجاذبية حق ،وقوانينها المحسوبة المتزنة المتناسبة المحكمة الدقيقة حق ،ولكن هل يكون القانون الدقيق المحكم أثرا من آثار المصادفة العمياء) (٣) ؟؟

" وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَالسَّمَوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ " (٤)

و هذه حجة أجمع عليها الكفرة مع المسلمين ، (فقد ثبت بضرورة العقل أن الثقيل لا يستمسك في الهواء الا بممسك ،وأن هذا الامساك الدائم لا يكون بما لا يعقل من الرياح كما زعمت الفلاسفة ،

---

(١) سورة فاطر آية ٤١ .
(٢) كتاب توحيد الخالق / عبد المجيد الزنداني جـ٣ ص ٥٧ .
(٣) قصة الايمان / نديم الجسر ص ٣١١ .
(٤) سورة الزمر آية ٦٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على أن الرياح تحتاج الى خالق يخلقها ،ثم مدبر يقدرها مستويـــة الأنفاس ،موزونة القوة ، لا يزيد منها شيء على شيء حتى تعتدل اعتدالا أتم من اعتدال الفاعل المختار ،فلو قصد الاعتدال التام حتى يستوى علـى رأسه جفنة مملوءة ماء لم يستطع الاعتدال الا برياضة شديدة ،فكيـف تعتدل عواصف الرياح وتقع موزونة حتى يستوى عليها ثقل الأرض والجبال من غير رب واحد عظيم قدير عليم مدبر حكيم)[١] خاصة (وقد أثبت التقدم العلمي أن أجرام السماء كأحجار في بناء واحد يشد بعضـــه بعضا ،ويقوم كل على الآخر ،فاذا اختل النظام في جرم أو أجـرام اختل البناء كله)[٢] حقا (فالسموات تشهد بجلال الله ،وإحكامها يدل على بديع صنعتـه)[٣].

أما الأرض :

اذا نظرت الى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها ومبدعها (فأرضنا التي مَنَّ الله علينا في آيات كثيرة بخلقها ، وذكرنا بما في هذا الخلق من دلائل القصد والحكمة والنظام هي السيـــار الوحيد الذى جعله الله صالحا للحياة[٤] فقربها من الشمس معتدلا ،

---

(١) انظر ايثار الحق على الخلق / ابن الوزير ص ٥٣- ٥٤.
(٢) كتاب توحيد الخالق / عبد المجيد الزنداني ص٥٧.
(٣) الله يتجلى في عصر العلم / نخبة من العلماء الأمريكيين ص ٤٦.
(٤) والحقيقة أن هناك سبع سيارات كبارا أخرى هـــي : (عطارد ،الزهرة ،المريخ ،المشترى ، زحل ،أورانوس ، نبتون ، بلوتو) ،منها ما هو أقرب للشمس من أرضنا ،ومنها ما هو أبعد

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والحرارة التي تصل اليها معتدلة ،وكثافتها تفوق كثافة كل السيارات ، حتى الشمس وجاذبيتها معتدلة ودورتها اليومية معتدلة وكافية لاحداث نهار وليل معتدلين صالحين للسعي والراحة ،ودورتها السنوية معقولة وكافية لاحداث فصول معتدلة صالحة للحياة)[1] (خلقها الله سبحانه فراشا ومهادا ،وذللها لعباده ،وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم ،وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعل لها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم ،ووسع أكنافها ،ودحاها[2] فمدها وبسطها ،وطحاها[3] فوسعها من جوانبها وجعلها كفاتا[4] للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء وكفاتا للأموات تضمهم في بطنها اذا ماتوا ،فظهرها وطن للأحياء ، وبطنها وطن للأموات ، وقد أكثر تعالى من ذكر الأرض في كتابه ، ودعا عباده

=== ومنها ما هو أكبر من أرضنا ،ومنها ما هو أصغر ،ومنها ما هو أسرع من أرضنا دورانا حول الشمس وحول محوره ،ومنها ما هو أبطأ ، وكلها لا تصلح للحياة لأسباب فصل فيها علم الفلك ولا مجال لذكرها هنا ،ولمزيد من المعلومات حول هذا الجانب راجع قصة الايمان / نديم الجسر ص ٣١٦ ومابعدها الطبعة الثالثة لعام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م وكتاب طريق الايمان / سميح عاطف الزين ص ٥٠-٥٣ / الطبعة التاسعة لعام ١٩٨٣م.

(١) قصة الايمان / نديم الجسر ص٣١٧-٣١٨.

(٢) دحا الشيء بسطه ووسعه ،يقال دحا الله الأرض أي بسطها ووسعها (انظر المعجم الوسيط ١/٢٧٣).

(٣) طحاها : الطحو كالدحو وهو بسط الشيء والذهاب به (انظر المفردات ص٤٣٣).

(٤) الكفت : القبض والجمع ،والأرض كفاتا ،أي تجمع الناس أحياءهم وأمواتهم (انظر المفردات ص٤٣٣).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(*)

الى النظر والتفكر في خلقها ، فقال تعالى : " قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ "
وقال : " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا " (١)

وقال :

" ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا " (٢)

وقال :

" وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ " (٣)

وهذا كثير في القرآن) . (٤)

ب - وأما بالنسبة لليل والنهار :

فيقول تعالى في سورة غافر : " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ " (٥)

يقول الامام ابن القيم من قبل مئات السنين حول هذا الجانب (ان من آياته سبحانه وتعالى الليل والنهار وهما من أعجب آياته وبدائع مصنوعاته ، ولهذا يعيد الله ذكرهما في القرآن ويبديه ،

(*) سورة يونس آية ١٠١ .
(١) سورة غافر آية ٦٤ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٢ .
(٣) سورة الذاريات آية ٤٨ .
(٤) انظر مفتاح دار السعادة/ابن القيم / جـ١ ص ١٩٩-٢٠٠ ، وقد كانت للشيخ الزنداني حفظه الله وقفة دقيقة متسائلة أمام هذه الآية ملخصا فيها الأدوات والوسائل التي أعدت بها الأرض لتصلح للحياة (انظر كتاب التوحيد جـ٣ ص ٢٧-٣١ وكتابه توحيد الخالق جـ٣ ص ٤٨-٤٩ ، ٥٧ ، وانظر كتاب العلم يدعو للايمان كريس موريسون ترجمة محمود صالح الفلكي ص ٥١ ومابعدها ، وكتاب الله يتجلى في عصر العلم لنخبة من العلماء الأمريكيين ، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان ص ٦-١٠ .
(٥) سورة غافر آية ٦١ ، ٦٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كقوله تعالى :

" وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ " (١)

وقوله :

" وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧ " (٢)

و هذا كثير في القرآن ،فانظر الى هاتين الآيتين وما تضمناه من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته كيف جعل الليل سكنا ولباسا يغشى العالم فتسكن فيه الحركات و تأوى الحيوانات الى بيوتها والطير الى أوكارها ،و تستجم فيه النفوس و تستريح من كد السعي والتعب ، حتى اذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها و تطلعت الى معايشها و تصرفها جاء فالق الاصباح سبحانه و تعالى بالنهار يقدم جيشه بشيرا لصباح . فهزم تلك الظلمة ومزقتها كل ممزق ،وكشفها عن العالم فاذا هم مبصرون) . (٣)

وبعد كل تلك السنين يتقدم العلم الحديث ليقول : (ان النوم سنة حيوية وضرورة يعتمد عليها الانسان كأى كائن حي لراحة جسمه وفكره وقلبه ، حتى يستطيع متابعة حياته بعزيمة ونشاط متجددين . أما كيفية حدوثه فقد دامت أبحاث العلم والطب وقتا طويلا لتجد تعليلا لظاهرة النوم ،وايجاد تفسير لما يحدث في النوم ،الا أن أسرار ذلك

---

(١) سورة فصلت آية ٣٧ .

(٢) سورة الفرقان آية ٤٧ .

(٣) انظر مفتاح دار السعادة /ابن القيم جـ١ ص ٢٠٣- ٢٠٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النهائية لم تكشف حتى الآن وإن كان العلماء قد عدوا أن ما وصلوا اليه من العلم من اعتبار أن النوم طرح روحي موقت نصر ما بعده نصر) (١) .

(وفي الحقيقة يعتبر النوم مهما جدا للكائن الحي ، لأنه قد تبين أن الجسيمات العصبية الموجودة داخل الخلية العصبية لها علاقة بالتعب والراحة ، حيث وجد أنها تنقص وتميل الى الاختفاء في التعب والمجهود الفكرى ، ولكنها في الراحة والنوم ترجع كما كانت .

ولذا فلا عجب اذا كان الانسان يقضي ما يقرب من عشرين سنة من حياته في النوم ، لأن ثلث العمر يمضي في النوم ، وكما أن العضلات ترجع الى طبيعتها بالراحة كذلك فإن راحة الجهاز العصبي هي النوم) (٢) ومن هنا كان الفرق كبيرا بين نوم الليل ونوم النهار حيث (اكتشف أخيرا أن الغدة الصنوبرية في الدماغ تقوم بإفراز مادة " الميلاتونين " ويزداد افراز هذه المادة في الظلام ، بينما يثبط الضوء افرازها ، وقد وجد أن للميلاتونين تأثيراً مباشراً على النوم ، والظلمة بما يرافقها من سكون الليل تهيء للانسان أحسن الظروف للسكن والراحة . وهكذا تظهر نواميس الحياة التي تهيمن على حركة الكون والخلق وهي منطلقة من مصدر واحد ، وموجه واحد ، ومسير واحد ، وتبدو حركة الشمس والقمر ، ويبدو تعاقب الليل والنهار مسخرات لخدمة هذا الانسان ،

---

(١) انظر كتاب القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل ص ٩٦-١٠١ ، مع الطب في القرآن الكريم عبد الحميد دياب وآخر ، ص ١٠٤-١٠٧ ، الطب محراب الايمان ، خالص حلبي جـ١ ص ١٤٥-١٥٠ .

(٢) انظر الطب محراب الايمان ، خالص جلبي جـ١ ص ١٤٦-١٤٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال تعالى : " وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ " (١)

كما نبه القرآن على أهمية تعاقب الليل والنهار أو الظلام والضياء حين دعا الى التأمل في حقيقة ما لو كان الليل سرمدا أو كان النهار سرمدا :

" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ " (٢) (٣)

فهذه الآيات كلها تظهر مرتبطة متناسقة كما رأينا ، (ومن ثم يذكرها القرآن في مكان واحد من سورة غافر ،بهذا الترابط ، ويتخذ منها برهانه على وحدانية الخالق ،وبوجه في ظلها القلب البشرى الى دعاء الله وحده مخلصا له الدين ، ويقرر ان الذى يصنع هذا ويبدعه بهذا التناسق هو الذى يليق أن يكون الها وحده وهو الله رب العالمين ، فكيف يُعرض الناس عن هذا الحق الواضح المبين). (٤)

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٣-٣٤.

(٢) سورة القصص آية ٧١-٧٣.

(٣) أنظر مع الطب في القرآن الكريم / عبد الحميد دياب ،أحمد قرقوز / ص ١٠٠-١٠٧.

(٤) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٤ ص ٢٠٩٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثانيا : من آيات الله في الأنفس

يقول تعالى في سورة غافر : " وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ " (١)

ثم نجده سبحانه في آية أخرى من سورة غافر نفسها ، يزيد الأمر وضوحا و تفصيلا فيما يتعلق بموضوع الأنفس فيقول سبحانه :

" هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ " (٢)

أما الآية الأولى ، فشواهدها كثيرة على أن الانسان في أفضل وأحسن وأكمل صورة كما قال سبحانه :

" لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ " (٣)

(فالانسان اذا ما نظرنا الى أبعاده أو شكله أو تركيبه الداخلي أو تراكيب أعضاءه الخارجية نجده حقا في أحسن تقويم) . (٤)

أما كيف أصبح في مرحلة أحسن تقويم - مرحلة حسن الصورة فالقرآن يقص علينا قصتها في آيات (تحوى على ايجازها أهم أطوار تخلق الجنين في بطن أمه ، وهي (النطفة ، والعلقة ، والمضغة ومرحلة تخلق الأجهزة ، ثم الخلق الآخر) ، هذه الأطوار التي استخدم لها

---

(١) سورة غافر آية ٦٤- ٦٥ .

(٢) سورة غافر آية ٦٧- ٦٨ .

(٣) سورة التين آية ٤ .

(٤) انظر القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل ص ١١٩- ١٢٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القرآن ألفاظا لم يستطع العلم الحديث الا أن يستخدمها ، وبذلك نجد أن الآيات القرآنية قد جاءت اضافة لاعجازها العلمي باعجاز بلاغي فريد ومدهش)(١) وهي - أي الايات القرآنية - تقص علينا رحلة الانسان التي تبدأ من التراب وتنتهي الى التراب :

" هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ "(٢)

كما يقول سبحانه أيضا في آية أخرى :

" وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ "(٣)

وفي آية ثالثة يقول :

" وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا "(٤)

وفي آية رابعة يقول :

" وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ "(٥)

وفي الآيات السابقة اشارة الى أن أصل الانسان ومعدنه الأساسي هو من طينة هذه الأرض ومن معدنها ، وهذا ما يتضح من التحليل المخبرى اذ يقرر انه لو أرجعنا الانسان الى عناصره الأولية لوجدناه أشبه بمنجم صغير ، يشترك في تركيبه حوالي (٢٢) عنصرا ، كلها موجودة في تراب الأرض ، لا تبلغ في القيمة سوى ما يعادل أربعين قرشا (٦) ولكن السر لا يكمن في نوعية المواد ، وانما يكمن في كيفية

---

(١) انظر مع الطب في القرآن الكريم /د. عبد الحميد دياب / أحمد قرقوز ص ٨٠.

(٢) سورة غافر آية ٦٧.

(٣) سورة الروم آية ٢٠.

(٤) سورة الفرقان آية ٥٤.

(٥) سورة المؤمنون آية ١٢.

(٦) اربعين قرشا بالعملة السورية تعادل حاليا : ٨ قروش سعودى تقريبا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تركيب هذه المواد بعضها الى بعض)[١] في جسم الانسان في أطواره المختلفة والتي أشار اليها القرآن في سورة غافر (ليتخذ - أي القرآن - من هذه الحياة مقدمة لتقرير الحياة كلها بين يدى الله ، فهذه النشأة فيها ما لم يدركه علم الانسان ، لأنها كانت قبل وجود الانسان ، وفيها ما يشاهده ويراقبه ولكن هذا انما تم حديثاً بعد نزول القرآن بقرون)[٢] (فالناظر اليوم في هذه الايات البينات وهو يضع نصب عينيه حقائق القرن العشرين عن علم الأجنة يشعر بأن الله تبارك وتعالى انما خصه هو بهذه الآيات لأنها تخاطبه باللغة التي يتباهى بها اليوم)[٣] . ولم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع فقط لفظ النطفة والعلقة والمضغة ، ولا لنتكلم بها فقط ، ولا لمجرد تعريفنا بذلك ، بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب واليه جرى ذلك الحديث .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله (فانظر الى النطفة بعين البصيرة وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر ، لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت ، كيف استخرجها رب الأرباب من بين الصلب والترائب الى أن ساقها الى مستقرها ومجمعها ، وكيف جمع سبحانه بين الذكر

---

(١) انظر مع الطب في القرآن الكريم ، عبد الحميد دياب ، أحمد قرقوز ص ٧٢-٣ ، الطب محراب الايمان ، خالص حلبي جـ١ ص ٥٩ .

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص ٦٠٩٥ .

(٣) مع الطب في القرآن الكريم ص ٨٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والأنثى وألقى المحبة بينهما ،وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة الى الاجتماع الذى هو سبب تخليق الولد وتكوينه ، وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين في موضع واحد جعله لهما قرارا مكينا لا يناله هواء يفسده ولا برد يجمده ولا آفة تتسلط عليه).(١)

ويقول العلم الحديث عن هذه النطفة (ان الله حين قال في كتابه : " فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ "(٢)

قدم فيها دعوة بل أمرا الى دراسة ما خلق منه الانسان ،وهي النطفة التي هي خلية حية ، وبالرغم من صغرها فهي كيان عضوى معقد أشد التعقيد ، وتعقيدها الظاهرى شديد جدا ،أما تعقيدها الحقيقي فأشد ، كما يقول أحد كبار الأطباء العالميين وهو الدكتور " الكسيس كاريل " الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة ، وفي اللحظة التي يتم فيها الاخصاب تقرر هذه الخلية الصغيرة- بتسخير من الله - بدقة تامة نوع المخلوق البشرى الذى يجرى انتاجه ،حتى لون عينيه وتموجات شعره ،وان العلم ما زال قاصرا عن ادراك الأسباب والدوافع التي تدفع بالبويضة الى أن تتخلص من نصف مادتها بعد أن تبلغ درجة النضج وتصل الى الرحم ،وأن يتخلص الحيوان المنوى كذلك من نصف ما به ،حتى اذا اتحد النصفان كونا خلية واحدة صغيرة بالغة من الصغر حدا كبيرا ،اذ يبلغ وزنها خمسة عشر جزءا من عشرة ملايين جزء من الجرام).(٣)

---

(١) مفتاح دارالسعادة / ابن القيم جـ١ ص ٢٠٣.

(٢) سورة الطارق آية ٥.

(٣) انظر القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل ص ١١٤-١١٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويذكر الامام ابن القيم المرحلة الثانية من مراحل تكوين الجنين فيقول (ثم انظر كيف قلب تلك النطفة البيضاء المشربة علقة حمراء تضرب الى سواد) . (١)

ويقول العلم الحديث : (ما ان يتم التحام النطفة بالبييضة حتى تباشرالبييضة الملقحة بالانقسام وهي في طريقها الى الرحم لتعلق هناك ، وتستمر عملية العلوق مدة أربع وعشرين ساعة ، وبذلك تنتهي مرحلة تشكل العلقة ، ولا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة "بالعلقـــة" الا من شاهد تلك الكتلة الخلوية وهي عالقة علوقا - وليس التصاقا - وسبحان من : " خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ") (٢) (٣)

(ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها) (٤) وهي المرحلة الثالثة (وتحمل بداخلها مرحلتين ، مرحلة المضغة غيـــر المخلقة حيث لم يتشكل فيها أى عضو أوجهاز ، ومرحلة المضغة المخلقـــة حيث يتم فيها تمييز الأجهزة المختلفة عن طريق الوريقات الثلاث ، والتـــي تحمل كل منها زمرة خلايا تأخذ كل واحدة على عاتقها تشكيل واحد من أجهزة الجسم أو أعضائه ، وذلك في اطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة وهي تنمو وتتطور ليكون الانسان في أحسن تقويم ، وتنتهى عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث تقريبا ، فسبحان الله ، من الذى

---

(١) مفتاح دار السعادة / ابن القيم جـ١ ص ٢٠٣ .

(٢) سورة العلق آية ٢ .

(٣) انظر مع الطب في القرآن الكريم / عبد الحميد دياب / أحمد قرقوز ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) مفتاح دار السعادة / ابن القيم جـ١ ص ٢٠٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

دفع هذه الخلايا المتماثلة الضعيفة لتعطي كل هذا من مراكز التفكير والشعور والابداع ؟ انه الأمر الذى حير وما زال يحير كل علماء الدنيا حتى يعلموا أن المبدع والموجه في هذه الحياة هو الله)(١) ،

(ثم جعلها -أى المضغة - عظاما مجردة لا كسوة عليها مباينة للمضغة، ثم انظر كيف قسم تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية الى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين وبين ذلك في القرآن الكريم ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشده وأبعده عن الانحلال ،وكيف كساها لحما ركبه عليها وجعله وعاء لها وغشاء وحافظا وجعلها حاملة له مقيمة له ،فاللحم قائم بها وهي محفوظة به ،وكيف صورها فأحسن صورها وشق لها السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ ، ومد اليدين والرجلين وبسطها وقسم رؤوسها بالأصابع ثم قسم الأصابع بالأنامل ، وركب الأعضاء الباطنية من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والأمعاء كل واحد منها له قدر يخصه ومنفعة تخصه)(٢) (وبهذا الاستعراض السريع نجد أن تلك المضغة قد أخذت بُعداً آخر ،اكتسبت فيه قدرة على الحركة ،وابتدأ بها القلب بالنبضان بلا توقف ،ولهذا البعد أشار القرآن بعد عرضه لسلسلة أطوار تخلق الجنين حيث قال :

" ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ)(٣)

وقد وقف السياق -في سورة غافر - عند بعض مراحل خلق الانسان

---

(١) انظر مع الطب في القرآن الكريم / عبد الحميد دياب / احمد قرقوز ص ٨٢.

(٢) مفتاح دارالسعادة / ابن القيم جـ١ ص ٢٠٤ .

(٣) مع الطب في القرآن الكريم ص ٨٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

البارزة (مرحلة الطفولة ، ثم بلوغ الأشد حوالي الثلاثين ، ثم الشيخوخة ، وهي المراحل التي تمثل أقصى القوة بين طرفين من الضعف ، و منكم من يتوفى من قبل أن يبلغ هذه المراحل جميعا أو بعضها :

" وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى "

مقدرا معلوما لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون " ولعلكم تعقلون " فمتابعة رحلة الجنين ، ورحلة الوليد وتدبر ما تشير اليه من حسن الخلق والتقدير مط للعقل فيه دور كبير .

ورحلة الجنين ورحلة الطفل بعدها كلتاهما توقع على الحس البشرى وتلمس القلب الانساني في أى بيئة وفي أى مرحلة من مراحل الرشد العقلي ، وكل جيل يحس لهذه اللمسة وقعها على طريقته وحسب معلوماته ، فيخاطب القرآن بها جميع أجيال البشر ، فيحسون ، ثم يستجيبون أو لا يستجيبون ، وهو يعقب عليها بعرض حقيقة الاحياء والاماتة ، وحقيقة الخلق والانشاء جميعا :

" هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ " (١) (٢)

وختاما هذا ما كان من أمر الربوبية في ضوء سورة غافر ، الى مابعدها
الا أننا وقبل الانتقال / نؤكد حقيقة هامة وهي أن توحيد الربوبية

---

(١) سورة غافر آية ٦٨ .

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٩٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحده لا يكفي لتحقيق معنى التوحيد المطلوب شرعا ، لأن مجرد اعتقاد أن الله هو رب كل شيء وخالقه ومليكه وأنه المدبر للأمور جميعا لا يكفي وحده ، فهذا ما كان يقر به المشركون الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم ،فلا بد إذاً أن يكون مع ذلك توحيد الالوهية الذى هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

يقول ابن تيمية (ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم الى الاله المعبود وقصدهم اياه لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة ،كان اقرارهم بالله من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ،وكان الدعاء له والاستعانة به والتوكل عليه فيهم أكثر من العبادة له والانابة اليه ،ولهذا انما بعث الرسل بدعوتهم الى عبادة الله وحده لا شريك له الذى هو المقصود المستلزم للاقرار بالربوبية ،وقد أخبر عنهم أنهم :

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " (١)

وانهم اذا مسهم الضر ضل من يدعون الا اياه وقال :

" وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " (٢)

فأخبر أنهم مقرون بربوبيته) . (٣)

---

(١) سورة الزخرف آية ٨٧.

(٢) سورة لقمان آية ٣٢.

(٣) التوحيد / لابن تيمية / ص ١٠٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويقول في موضع آخر (فأما توحيد الربوبية الذى أقر به الخلق وقرره أهل الكلام ،فلا يكفي وحده بل هو من الحجة عليهم وهذا معنى ما يروى " يا ابن آدم خلقت كل شيء لك وخلقتك لي / فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له "). (١)

---

(١) المرجع السابق نفسه / لابن تيمية / ص ٧٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثاني: توحيد الألوهية

(الإله مأخوذ من أَلِه يألَه اذا تحير العبد في عظمة الله ، وأصل إلٰهٍ : وِلاهٌ فقلبت الواو همزة فصارت إله ومعنى وِلاهٍ : أن الخلق يَوْلَهُون اليه في حوائجهم كما يوله الطفل الى ثدى أمه عند احساسه بالجوع)(١) (اذ الإله هو الذى يوله له فيعبد محبةً وانابةً واجلالاً واكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً)(٢).

وتوحيد الالوهية : هو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، وافراده وحده بالعبادة كلها ، واخلاص الدين لله وحده ، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما(٣) لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال ، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة . فانه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ، ولما أسداه الى خلقه من الفواضل والافضال ، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.(٤)

---

(١) لسان العرب / ابن منظور / جـ١٣ ص ٤٦٨.

(٢) انظر كتاب التوحيد / ابن تيمية ص ٧٣ ، اغاثة اللهفان / ابن القيم جـ١ ص ٢٧ .

(٣) هذه العبارة جاءت بناءً على ما ورد في كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ترتيب لأنواع التوحيد ، فجعل أولهم توحيد الأسماء والصفات ، ثم توحيد الربوبية ، ثم توحيد الالوهية .

(٤) كتاب التوحيد / محمد بن عبد الوهاب ص ١٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال صاحب كتاب عقيدة المسلمين (توحيد الألوهية هو توحيد الله تعالى بأفعال العباد التي تعبدهم الله بها كالنحر ، والنذر ، والدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة والرهبة ، والانابة ، والخشوع والخشية ، والاستعاذة ، والاستعانة ، والاستغاثة ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي شرعها الله ، وأمر بها عباده ، فيجب صرفها لمن يستحقها وهو الله جل وعلا)[١].

ومقصود دعوة الرسل من أولهم الى آخرهم الدعوة الى هذا التوحيد وأن الله ما خلق الخلق الا لعبادته والاخلاص له ، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم ، فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا الى هذا التوحيد ونهوا عن ضده من الشرك ، وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا القرآن الكريم ، فانه أمر به ، وفرضه ، وقرره أعظم تقرير وبينه أعظم بيان وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة الا بهذا التوحيد وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والنفسية أدلة وبراهين على الأمر بهذا التوحيد ووجوبه)[٢].

---

(١) عقيدة المسلمين / صالح بن ابراهيم البليهي جـ١ ص٣٢٩-٣٣٠.

(٢) كتاب التوحيد الذى هوحق الله على العبيد / الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤ و ١٥. وقد وجدت لهذا الكتاب شروحات كثيرة مفيدة قام بها نخبة من العلماء الأفاضل منهم حفيد المصنف " سليمان بن عبدالله بن محمد " وسماه تيسير العزيز في شرح كتاب التوحيد و" الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب والذى اختصر الشرح وهذبه وجعله " غاية المطالب ونهاية المآرب " وله مسمى آخر

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال شارح الطحاويه مؤكدا على هذا النوع من التوحيد أنه أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله) . (١)

قال تعالى :

" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (٢)

وقال تعالى :

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ " (٣)

ومن الأحاديث التي تعبر عن خصائص الألوهية أصدق تعبير، وتبين لنا أن الملك والخلق والتقدير لله وحده لا شريك له ما رواه أبو ذر جندب بن جناده (٤) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

=== آخر وهو " فتح المجيد " شرح كتاب التوحيد ، ثم جاء تلميذه " حمد بن علي بن محمد بن عتيق " فجمع كتاب أبطال التنديد باختصار شرح التوحيد فكان كالعجالة لطالب العلم، وهناك أيضا " افادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد " للشيخ عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي ".

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ص ٧٤ .

(٢) سورة النحل آية ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

(٤) هو الصحابي جندب بن جنادة بن سفيان ، الغفاري الحجازي ، أبو ذر ، اختلف في اسمه ، كان من السابقين الى الاسلام ، ورجع الى قومه باذن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم هاجر الى المدينة وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ، وكان زاهدا متقللا من

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : " يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر ، يا عبادى انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ". (١)

(وقد أثبت الله لذاته المقدسة الوحدانية في عشرات المواضع من آياته) (٢) ولهذه الأهمية ومن منطلقها نجد القرآن قد سلك الى هذا المطلب الأعظم أساليب متعددة يجدها القارئ

=== الدنيا ، قوالا للحق ، صادق اللهجة . وكان يوازى ابن مسعود في العلم ، توفي بالربذة سنة ٣٢هـ (انظر ترجمته في الاصابة ٦٣/٤) الاستيعاب ٦١/٤ ، تهذيب الأسماء ٢٢٩/٢ ، شذرات الذهب ٣٩/١ ، حلية الأولياء ١٥٦/١ ، ٣٥٢) .

(١) أخرجه مسلم ج ١٦ كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم حديث رقم ٥٥ ص ١٣١ - ١٣٤ . كما أخرجه الامام أحمد في مسنده جـ٥ ص ١٦٠ (قريبا منه) .

(٢) انظر عقيدة المسلمين / صالح بن ابراهيم البليهي ص ٣٣١ ، ٢٤١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في كل القـــــــرآن ، فكان لسورة غافر حظ عظيم والتي منها :

١ - سوق آيات الربوبية في الخلق والتدبير ، والملك ، والحفظ ، والرعاية والاحسان والرحمة ، وجعل ذلك دليلا على الوحدة في الألوهية (١) (والقرآن كله تذكير بآلاء الله) (٢) ، وفي الصفحات السابقة خير شاهد شارح لذلك .

٢ - التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله ، واظهار حالها من العجز والتشنيع والفقر البالغ والغفلة عمن يدعوها ويفزع اليها كقوله تعالى في سورة غافر على لسان موءمن آل فرعون :

" وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ " (٣)

وما يزيد هذه الآيات وضوحا قوله تعالى :

" أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ " (٤)

---

(١) دعوة التوحيد د. محمد خليل هراس ص ٣٩ ، وانظر اغاثة اللهفان / ابن قيم الجوزية جـ٢ ص ١٣٥ .

(٢) الحسنة والسيئة / تقي الدين ابن تيمية ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) سورة غافر آية ٤١ - ٤٣ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٩١ - ١٩٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(فهذا انكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأوثان ، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة لا تملك شيئا من الأمر ، ولا تضر ، ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تنتصر لعابديها ، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم ، وبطشهم ، بل الأمر أشد من ذلك ولا يقتصر على اله واحد من معبوداتهم بل ان جميع تلك الالهة لو اجتمعت عن آخرها لخلق أحقر شيء وهي الذبابة لما استطاعوا خلقها ، بل لو سلبتهم الذبابة شيئا من حقير المطاعم وطارت لما استطاعوا انقاذه منها ، قال تعالى :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ " (١)

وبعد ذلك ، فمن هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر؟) (٢) (فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا ، والعاجز لا يصلح أن يكون الها ، قال تعالى :

" أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ " (٣) (٤))

(بل ان هذه الالهة لا تفرق بين من دعاها ومن دحاها كما قال " ابراهيم " عليه السلام :

" يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ " (٥)

---

(١) سورة الحج آية ٧٣ .
(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٢٧٦ .
(٣) سورة النحل آية ١٧ .
(٤) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي ص ٨٧ .
(٥) سورة مريم آية ٤٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكما كان "معاذ بن عمرو بن الجموح" و"معاذ بن جبل" (١) رضي الله عنهما يفعلان وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطبا للأرامل ليعتبر قومهما بذلك ويرتوا لأنفسهم، وكان "لعمرو بن الجموح" (٢) وكان سيدا في قومه صنم يعبده ويطيبه، فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ويلطخانه بالعذرة، فيجي عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفا ويقول له انتصر، ثم يعودان لمثل ذلك ويعود الى صنيعه أيضا حتى أخذاه مرة فقرناه مع كلب ميت ودلياه في حبل في بئر هناك، فلما جاء "عمرو بن الجموح" ورأى ذلك نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل وقال :

تالله لو كنت الها مستدن

لم تك والكلب جميعا في قرن

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمن الصحابي الأنصاري الخزرجي، الامام المقدم في علم الحلال والحرام قال أبو نعيم عنه "امام الفقهاء، وكنز العلماء، شهد العقبة وبدرا والمشاهد وكان أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وسخاء، أمره النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن ولاية القضاء، قدم من اليمن في خلافة أبي بكر، ولحق بالجهاد والجيش الاسلامي في بلاد الشام، وكانت وفاته بالطاعون سنة ١٧ أو ١٨هـ (انظر ترجمته في الاصابة ٣/ ٤٢٦، صفة الصفوة ١/ ٤٨٩، تهذيب الأسماء ٢/ ٩٨).

(٢) هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي، كان سيد قومه، شهد أحدا واستشهد بها (انظر ترجمته في الاصابة ٢/ ٢٢، صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٦٤٣ ومابعدها).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم أسلم فحسن اسلامه ، وقتل يوم أحد شهيدا ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنة الفردوس مأواه)(١).

ففي هذه الآيات السابقة بيان شاف لحال هذه الآلهة الباطلة من العجز والمهانة ، حتى أنها أقل شأنا من عابديها ، لا تملك ما يملكون من أسماع وأبصار وقوى العقل والارادة والبيان ، فكيف إذاً تصلح للالهية ، ومن هنا كان لا بد من توحيد الله ، (فيجب افراده ، واخلاص العمل له في كل أنواع العبادة ، قال تعالى :

" فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ "(٢) (٣))

٣ - ومنها التشنيع بحال العابدين لهذه الالهة الباطلة ، ورميهم بالضلال والسفه حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، ولا تغني شفاعتهم عنهم شيئا ، وهو لا شأنهم كما قال تعالى :

" لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ "(٤)

وللتأكيد على أن مدار الأمر كله هو التوحيد (قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (له دعوة الحق) أي التوحيد وقال ابن عباس " و" قتادة " و" مالك " عن " محمد بن المنكدر " (له دعوة الحق) لا اله الا الله .

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٢ ص ٢٧٦ .
(٢) سورة غافر آية ١٤ .
(٣) عقيدة المسلمين / صالح بن ابراهيم البليهي جـ١ ص ٢٤١ .
(٤) سورة الرعد آية ١٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فنجد القرآن يعجب من حال هؤلاء العابدين لتلك الآلهة الباطلة ويرميهم بالسفه ، يقول علي بن أبي طالب " مثلهم كمثل الذى يتناول الماء من طرف البئر بيده ، وهو لا يناله أبدا فكيف يبلغ فاه ؟ " وقال " مجاهد " (١) " كباسط كفيه يدعو الماء بلسانه ويشير اليه فلا يأتيه أبدا ".

ومعنى الكلام كما يقول " ابن كثير " رحمه الله " ان الذى يبسط يده الى الماء اما قابضا واما متناولا له من بعد ، انه لا ينتفع بالماء الذى لم يصل الى فيه الذى جعله محلا للشرب ، فكذلك هؤلاء المشركين الذين يعبدون مع الله الها غيره لا ينتفعون بهم أبدا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولهذا قال تعالى :

" وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝ " (٢) (٣)

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد في الدنيا بل انهم (ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون وذلك عندما باشروا من عذاب الله تعالى ما لا قبل لأحد به فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التي كانت

---

(١) هو مجاهد بن جبر المكي المخزومي مولاهم ، أبو الحجاج ، الامام التابعي الشهير ، قال النووى : " اتفق العلماء على امامته وجلالته وتوثيقه ، وهو امام في الفقه والتفسير والحديث توفي سنة ١٠٣هـ وقيل غير ذلك (انظر ترجمته في : تهذيب الأسماء واللغات ٨٣/٢ ، شذرات الذهب ١٢٥/١ .

(٢) سورة غافر آية ٥٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٢ ص ٥٠٧ ، وانظر التذكرة / القرطبي ص ٤٨٨ - ٤٩٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سبب دخولهم الى النار ، فأخبرتهم الملائكة عند ذلك " اخبارا عاليا بأن مقت الله لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الايمان فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة ، قال " قتادة " : نعم ان مقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الايمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه أكثر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة)(١) ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ "(٢)

٤ - ومنها : (تصوير ما سيكون يوم القيامة بين العابدين والمعبودين ، وبين الأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعاداة وتنصل المعبودين من جناية هؤلاء العابدين ، وانكارهم أن يكون لهم يد في اضلالهم وشركهم)(٣) قال تعالى :

" وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ "(٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٤ ص ٧٢ .

(٢) سورة غافر آية ١٠-١٢ .

(٣) دعوة التوحيد / محمد خليل هراس ص ٤٣ .

(٤) سورة غافر آية ٤٧-٥٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذه صورة لتلك المحاجاة في النار ، والخصام (حيث يقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء إنا أطعناكم فيما دعوتمونا اليه في الدنيا من الكفر والضلال فهل أنتم تحملون قسطا من العذاب ؟ فيرد عليهم المستكبرون في محاولة للتنصل : إنا لا نتحمل عنكم شيئا كفى بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال ، فالله قد قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا ، ولم يجدوا أمامهم الا سجانيهم في النار فتوجهوا اليهم يدعون لهم الله تعالى أن يخفف عنهم ولو يوما واحدا من العذاب ، فيقول لهم الخزنة أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل ؟؟ إذاً فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم براء) . (١)

ويقول الله تعالى في موضع آخر من سورة غافر :

" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ " (٢)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٣ ، ثم انظر وقفة سيد قطب أمام هذه الايات في كتابه " مشاهد القيامة في القرآن " ص ١٦١ - ١٦٦ ، يقظة أولى الاعتبار / صديق حسن خان / تحقيق أحمد حجازي السقا ص ١٠٧-١٥٢ .

(٢) سورة غافر آية ٦٩- ٧٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم " أين ما كنتم تشركون من دون الله " أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله ، هل ينصرونكم اليوم ؟؟ قالوا : ذهبوا فلم ينفعونا " بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا " أي جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمته :

" ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ " (١)

وفي هذا الشأن يقول تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ (٢)

٥ - ومنها (بيان انفراده سبحانه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا يكون لها الا من اتصف بها ، وذلك لأن الإله يجب أن يكون كاملا حائزا لجميع صفات الكمال ، فإن النقص ينافي للالهية ، فاذا ثبت اختصاصه سبحانه بهذه الأسماء والصفات دل ذلك على تفرده بالالهية) . (٣)

وذلك مثل قوله تعالى :

" وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ " (٤)

وقوله في آية الكرسي " : اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ " (٥)

---

(١) سورة الأنعام آية ٢٣ .
(٢) سورة البقرة آية ١٦٥- ١٦٧ .
(٣) دعوة التوحيد / محمد خليل هراس ص ٤٥ .
(٤) سورة البقرة آية ١٦٣ .
(٥) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله تعالى :

" هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ " (١)

وسيأتي المزيد من الحديث والتوضيح حول هذه النقطة في المبحث القادم ان شاء الله .

كيف تحقق توحيد الألوهية من خلال سورة غافر :

اذا كان توحيد الألوهية يقوم على صرف جميع العبادات لله (٢) والاخلاص فيها بغير شائبة توجه بشيء منها الى غيره أصلا فقد وجدنا الكثير من هذه النماذج في سورة غافر على لسان موسى عليه السلام وعلى لسان مؤمن آل فرعون الذى توجه لربه وحده بالحب .. والخوف .. والاخلاص .. والتوكل .. والصبر .. والدعاء .. والاستعاذة .. والاستغاثة . فهذا موسى عليه السلام يتوجه بالاستعاذة لله تعالى وحده فيقول سبحانه على لسانه :

" وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (٣)

(أى لما بلغه قول فرعون :

" ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ " (٤)

---

(١) سورة الحشر آية ٢٢- ٢٣ .

(٢) سواء منها العبادات القلبية كالحب والخوف والاخلاص والتوكل والصبر، أو العبادات القولية كالدعاء والذكر والتسمية والاستعاذة والاستغاثة والحلف ، أو العبادات البدنية كالجهاد بالنفس والصلاة والصيام والحج والعمرة ، أو العبادات المالية كالزكاة وصدقة التطوع والنذر والذبح . وهذه العبادات بتفاصيلها يجدها القارئ في كتاب " مدارج السالكين / ابن القيم جـ١ ص ١٠٩ ومابعدها .

(٣) سورة غافر آية ٢٧ .

(٤) سورة غافر آية ٢٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال موسى عليه السلام : استجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله ومن كل متكبر عن الحق ، مجرم لا يؤمن بيوم الحساب)[١] (قالها موسى واطمأن وسلم أمره الى المستعلي على كل متكبر ، القاهر لكل متجبر القادر على حماية العائذيـــن به من المستكبرين ، مشيرا الى وحدانية الله ربه وربهم ، لم ينسها أو يتركها أمام التهديد والوعيد)[٢].

وهذا كما يقول ابن القيم رحمه الله (علامة توحيد الالهية في القلب)[٣].

ثم نرى مؤمن آل فرعون يضرب لنا نموذجا للخوف حين يتحول الى عباده : فهو لم يخف من بأس فرعون - رغم بطشه وجبروته ، بل وقف أمامه حين قال :

(ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ)

وقف أمامه بعد أن أخذته غضبة لله وقال :[٤]

" أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ "

يقول ابن كثير رحمه الله : (ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون)[٥] الا أننا نجده في موضع آخر يخاف كأشد ما يكون الخوف حيـــن يقول :

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٧٧.
(٢) في ظلال القرآن / سيد قطـــب جـ٥ ص ٣٠٧٨.
(٣) مدارج السالكين جـ١ ص ٤١١.
(٤) سورة غافر آية ٢٨.
(٥) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٧٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

" يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا " (١)

وقوله :

" يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ " (٢)

وقوله :

" وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ " (٣)

فهو لم يعرف للخوف معنى حين كان الأمر متعلقا بغير الله - فرعون وجنوده - بل أقدم عليه في الكلام كأشد ما يكون الإقدام ، أما حين كان الأمر متعلقا بالله فقد كان ذلك المؤمن خائفا كأشد ما يكون الخوف وفي حسه قوله تعالى :

" وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ " (٤)

يقول ابن القيم رحمه الله ما معناه : (حين يتقدم خوف الله في القلب جميع المخوفات ،فتتساق المخاوف كلها تبعا لخوفه ، فهذا علامة توحيد الالهية في هذا القلب). (٥)

ثم نرى في موضع آخر من السورة صورة لذلك القلب بعد أن تغلغل فيه حب الله والاخلاص له - وهي صورة لا نراها الا في قلوب الرسل . عليهم السلام ومن سار على دربهم :

" وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ " (٦)

---

(١) سورة غافر آية ٢٩.
(٢) سورة غافر آية ٣٠.
(٣) سورة غافر آية ٣٢.
(٤) سورة الأنفال آية ٢٥.
(٥) مدارج السالكين جـ١ ص ٤١١ بتصرف .
(٦) سورة غافر آية ٤١- ٤٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صورة القلب بعد أن يملأه الرجاء في الله والثقة به :

" لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ " (١)

يقول شيخ الاسلام مشيرا الى المعنى السابق:فهذا التوحيد -توحيد الالهية - يتضمن فعل المأمور وترك المحظور .. فيقتضى أن لا يسأل العبد غيره ،ولا يتوكل الا عليه ، ولا يستعين الا به). (٢)

وهذا هو مقام العبادة والاستعانة علما وحالا .. والتي ثبّت فيها مؤ من آل فرغون قدمه ، مرتقيا من توحيد الربوبية ، صاعداً الى توحيد الألوهية (فاذا به يتيقن أن الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والهدى والضلال ،والسعادة والشقاء كل ذلك بيد الله لا بيد غيره ،وأنه الذى يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء ،وأنه لا موفق الا من وفقه وأعانه ،ولا مخذول الا من خذله وأهانه وتخلى عنه ،وأن أصح القلوب وأسلمها وأقومها وأرقها وأصفاها وأشدها وألينها من اتخذه وحده الها ومعبودا ،فكان الله أحب اليه من كل ما سواه ،وأخوف عنده من كل ما سواه ،وأرجى له من كل ما سواه .. وهذا علامة توحيد الألوهية في ذات القلب ،والباب الذى دخل اليه منه توحيد الربوبية ،أى باب التوحيد الالهية ،هو توحيد الربوبية). (٣)

---

(١) سورة غافر آية ٤٣-٤٥.

(٢) الحسنة والسيئة / تقي الدين ابن تيمية ص ١٢٦.

(٣) انظر مدارج السالكين ،ابن القيم / تحقيق محمد حامد الفقي جـ١ ص ٤١١ " بتصرف ".

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثالث : توحيد الأسماء والصفات

(ومن الايمان بالله ، الايمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل نؤمن بأن الله سبحانه : "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾" (١)

فلا يُنفى عنه ما وصف به نفسه ، ولا يُحرَّف الكلم عن مواضعه ، ولا يُلحد في أسماء الله وآياته ، ولا يكيَّف ، ولا يُمثَّل صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي ولا كفء ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلا ، وأحسن حديثا من خلقه ، ثم رسله صادقون مصدقون) (٢) كما يؤكد ذلك ابن تيمية رحمه الله في فتاواه حيث قال (ومذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ، لا سيما اذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والارشاد) (٣) بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ، ولهذا قال : "سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾" (٤)

ولهذا يقول ابن قدامة (٥) (وكل ما جاء في القرآن ، أو صح عن

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) شرح العقيدة الواسطية / ابن تيمية ص ١٧-٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى جـ٥ ص ٢٦.

(٤) سورة الصافات آية ١٨٠-١٨٢.

(٥) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي موفق الدين أبو محمد أحد الأئمة الأعلام. قال ابن النجار : "كان ثقة حجة نبيلا ، غزير الفضل ، كامل العقل ، شديد التثبت ، دائم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الايمان به ، وتلقيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وما أشكل من ذلك وجب اثباته لفظا ، وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه الى قائله ، ونجعل عهدته على ناقله ، اتباعا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه :

" وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا " (١)

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله :

" فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ " (٢)

ولذلك قال الامام أبو عبدالله أحمد بن حنبل (٣) رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله ينزل الى سماء الدنيا (٤) أو إن الله

=== السكوت ، حسن السمت ورعا عابدا على قانون السلف ، على وجهه النور ، وعليه الوقار والهيبة .. الخ " وقد ألف التصانيف النافعة ، توفي سنة ٦٢٠ هـ (انظر ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة ١٣٣/٢ ومابعدها ، شذرات الذهب ٨٨/٥) .

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ٧ .

(٣) هو الامام الجليل أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي أحد الأئمة الأربعة الأعلام ولد ببغداد ونشأ بها ، وطلب العلم وسمع الحديث فيها ، وسافر في سبيل العلم أسفارا كثيرة فضائله ومناقبه وخصاله لا تكاد تعد ، توفي سنة ٢٤١ هـ . (انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٤١٢/٤ ، وفيات الأعيان ٤٧/١ حلية الأولياء ١٦١/٩) .

(٤) فتح الباري جـ١١ كتاب الدعوات باب ١٤ " الدعاء نصف الليل "

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يرى في القيامة (١) وما أشبه هذه الأحاديث ، نؤمن بها ونصدق بها ، ولا نرد شيئا منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حد ولا غاية :

" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ " (٢)

وقال الامام الشافعي (٣) رضي الله عنه : آمنت بالله ، وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله .

=== حديث رقم ٦٣٢١ ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، جـ ١٣ كتاب التوحيد باب ٣٥ قول الله تعالى " يريدون أن يبدلوا كلام الله " حديث رقم ٧٤٩٤ ص ٤٦٤ / صحيح مسلم بشرح النووى جـ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها " صلاة الليل مثنى مثنى .." ص ٣٦-٣٩ قريبا منه .

(١) فتح البارى جـ١٣ باب قول الله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " حديث رقم ٧٤٣٤ ، ٧٤٣٩ ص ٤١٩-٤٢١ ، صحيح مسلم جـ١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ٣٧ " فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما " حديث رقم ٢١١-٢١٢ ص ٤٣٩-٤٤٠ .

(٢) سورة الشورى آية ١١ .

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن ادريس بن العباس بن شافع القرشي المطلبي ، الامام الجليل ، صاحب المذهب المعروف والمناقب الكثيرة ، توفي سنة ٢٠٤ هـ (انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٤٤ ، طبقات الشافعية للسبكي ١/ ١٩٢ ، شذرات الذهب ٢/ ٩ ، وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥ ، طبقات المفسرين للداودى ٢/ ٩٨) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم كلهم متفقون على الاقرار والإصرار والاثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله)(١).

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله (وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها ،وهو الكيف المجهول الذى قال فيه السلف - كمالك وغيره - الاستواء معلوم ،والكيف مجهول ، فالاستواء معلوم - يُعلم معناه ويُفسَّر ويُترجم بلغة أخرى - وهو من التأويل الذى يعلمه الراسخون في العلم ، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذى لا يعلمه الا الله تعالى)(٢).

وما دام هذا هو نهج السلف فقد أمرنا باقتفاء آثارهم والسير على منوالهم ،فقد قال صلى الله عليه وسلم " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ،فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "(٣).

---

(١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص ٤ - ٨ وقد صدر عن مؤسسة الرسالة شرح لتلك اللمعة للشيخ محمد صالح العثيمين سماه شرح لمعة الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ٥ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) أخرجه الامام أحمد جـ٤ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، سنن أبي داود ، كتاب السنة / باب في لزوم السنة جـ٤ ص ٢٠١ قريبا منه / سنن الترمذى / كتاب العلم باب ١٦ " ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع جـ٥ ص ٤٤ حديث رقم ٢٦٧٦ " قريبا منه " وقال عنه الترمذى : حديث حسن صحيح / سنن ابن ماجه / مقدمه / باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين حديث رقم ٤٣٠٤٢ جـ١ ص ١٥ ، ١٦ " قريبا منه " ، سنن الدارمي ،مقدمة باب ١٦ "باب اتباع السنة" جـ١ ص ٤٤ " قريبا منه " .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مظاهر هذا النوع من التوحيد من خلال السورة :

حين نُتْلى آيات سورة غافر نجدها تقف بنا للتعريف ببعض صفات الله (وهي مجموعة من الصفات ذات علاقة موضوعية بمحتويات السورة كلها وقضاياها ، فالعزة ، والعلم ، وغفران الذنب ، وقبول التوب ، وشدة العقاب ، والفضل ، والإنعام ، والعلو ، والكبر ، والقهر ، والسمع ، والبصر ، ووحدانية الالوهية ، ووحدانية المصير والمرجع ، كلها تتعلق بتلك المعاني)(١) . التي تتحدث عنها سورة غافر ، والتي يدور رحاها حول معنى العبودية لله رب العالمين .

يقول ابن القيم رحمه الله (والأسماء الحسنى ، والصفات العلا مقتضية لآثارها من العبودية ، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء والاماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا . وعلمه بسمعه تعالى وبصره ، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه ، وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضى الله ، بل يُصبح تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه ، فيثمر له ذلك الحياء باطنا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح .

وعلمه بغناه ، وجوده ، وكرمه ، وبره ، واحسانه ورحمته ، تثمر له سعة الرجاء .

وعلمه بجلال الله وعظمته ، وعزه ، تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة .

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب جـ٤ ص ٣٠٦٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعلمه بكماله ، وجماله ، وصفاته العلى يوجب له المحبة .

وبذلك فقد رجعت العبودية كلها الى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها) .(١)

وفي هذا الاطار ، ومن هذا المنطلق جاءت أسماء الله وصفاته موزعة بين آيات سورة غافر ، بعد أن تصدرتها بقوله تعالى :

" حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ " (٢)

(أما العزيز : فهو الذى يقهر ولا يُقهر ، وأما كونه عليما ، فهذا وصف في حق الله : الذى لا يخفى عليه شيء) .(٣)

يقول " ابن كثير " في ذلك : العزيز العليم (ذو العزة والعلم ، فلا يرام جنابه ، ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجابه) .(٤)

وغافر الذنب : (فالغفران ، والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب والغافر والغفور في وصف الله الذى يعفو عن الذنوب ، فيغفر ما سلف ، بما يعلمه سبحانه من استحقاقهم للغفران) .(٥)

(قابل التوب : يقبل التوبة في المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه .

شديد العقاب : الذى يدمر على المستكبرين ، ويعاقب المعاندين ممن تمرد منهم وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتى عن أوامر الله تعالى

---

(١) مفتاح دار السعادة جـ٢ ص ٩٠ .
(٢) سورة غافر آية ١ - ٣
(٣) انظر المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٣٣٣ .
(٤) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٧٠ .
(٥) انظر المفردات / الاصفهاني ص ٣٦٢ / تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ٤ ص ٧٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبغى من الذين لا يتمون ولا يستغفرون)." (١)

ذى الطول : (الطول :خص به الفضل والمن) (٢) (وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : ذى الطول : يعني السعة والغنى ، وكذا قال مجاهد وقتادة (٣) ،وقال يزيد بن الأصم (٤) : ذى الطول ، يعني الخير الكثير ،والمعنى أنه المتفضل على عباده ، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والانعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها .

لا اله الا هو : أى لا نظير له في جميع صفاته ،فلا اله غيره ، ولا رب سواه . اليه المصير : فيجازى كل عامل بعمله)." (٥)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٧١ ، في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٤ص ٣٠٦٨ .

(٢) المفردات / الأصفهاني ص ٣١٢.

(٣) هو قتادة بن دِعَامة أبو الخطاب ،السدوسي ،البصرى ،الأكمه ، التابعي أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه واتقانه وفضله ، قال سعيد بن المسيب " ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة " وكان عالما بالتفسير واختلاف العلماء ،واما في النسب ،وراسا في العربية وأيام العرب ،توفي بواسط في الطاعون سنة ١١٧ هـ (انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢ ، تهذيب الأسماء ٢/٥٧ ، طبقات المفسرين ٢/ ٤٣ ،وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٨ ، حلية الأولياء ٢/ ٣٣٣).

(٤) هو عمرو بن عبيد البكائي الكوفي ،نزيل الرقة ،ذكره ابن حبان في الثقات مات سنة احدى ومائة وقيل غير ذلك ،وهو ابن ثلاث وسبعين سنة (انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١١/ ٣١٣، تقريب ٢/ ٣٦٢).

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ ٤ ص ٧١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتقف بنا سورة غافر بين الحين والآخر عند العديد من أسماء الله وصفاته ، ولكل منها مكانها المناسب ، والذى يعطي لذلك الاسم وتلك الصفة معنى ، يجعل المؤمن يعرف الله عن طريقه فيعبده عن علم ومعرفة .

قال تعالى : " وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ " (١)

وقوله : " إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ " (٢)

فالآيتان قد ختمتا بصفتي السمع والبصر ، الا أن في الآية الأولى بياناً لعلة الشريك الذى لايستطيع أن يقضي بشيء ، وكيف يقضي والقضاء من الزم صفاته السمع والبصر حتى لا يقع الظلم وهي - أى الآلهة - لا تسمع ولا تبصر فجاءت هاتان الصفتان منسوبتين لله في موقعهما الطبيعي والمناسب ، تنسب لله سمعا وبصرا يليقان بجلاله .

وفي الثانية : كان الحديث عن الكبر الذى في الصدور ، والذى له تفاعلات يسمعها الله ، وله مظاهر يبصرها سبحانه ، والكبر يقع من صاحبه دون أن يعترف صاحبه أنه تكبر ، بل يجادل ويمارى ليقنع من حوله أن الدافع له على ذلك هو الحق ، فناسب أن يقول له القرآن ، اذا كنت قد موهت على بعض من حولك مداريا على ما تحمله نفسك فإن الله سميع بصير .

ثم ينتقل بنا المقام الى موضع من السورة تختم آياته بصفتي العزة والحكمة ، قال تعالى على لسان الملائكة : " رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ " (٣)

---

(١) سورة غافر آية ٢٠ .
(٢) سورة غافر آية ٥٦ .
(٣) سورة غافر آية ٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(وانما ذكروا في دعائهم هذين الوصفين لأنه لولم يكن عزيزا بل كان بحيث يغلب ويمنع ، لما صح وقوع المطلوب منه ، ولولم يكن حكيما لما جعل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة) (١) فقولهم:

" إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ " (٢)

(أى الملك الذى لا يغلب فأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة) (٣) وهذا ما ينبغي أن يدركه العبد عن ربه.

وحين تختم الآيات في موضع آخر بصفتي العلو والكبر في قوله تعالى : " ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ " (٤)

(فانهما تجيئان هنا لتصب في جانب التحذير ، وبث مشاعر الخوف من كل ما يحدث ، بايثار صفتي " العلي ، والكبير " بالذكر هنا ، لأن معناهما مناسب لحرمانهم من الخروج من النار ، فالعلى بمعنى شرف القدر وكماله ، ومن جملة ما يقتضيه ذلك تمام العلم وتمام العدل ، فلذلك لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والعدل ، والكبير ، يقتضي منه الغنى عن الجور) (٥).

وفي ظل هذا المشهد تستطرد السورة الى شيء من صفة الله تناسب موقف الاستعلاء وبالتالي استحقاقه أن يتوجه اليه بالدعاء وحده

---

(١) التفسير الكبير / الرازى جـ٢٧ ص ٣٧.
(٢) سورة غافر آية ٨ .
(٣) الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤١٧.
(٤) سورة غافر آية ١٢.
(٥) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٠٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مخلصين له الدين " هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ "(١)

وفي ذلك يقول صاحب التحرير والتنوير (وتجيء صفتا الوحدانية والقهر هنا بالذات لأن لمعنييهما مزيد مناسبة بقوله (لمن الملك اليوم) حيث شوهدت دلائل الوحدانية لله وقهره جميع الطغاة)(٢).

ومن هنا كان الاستعلاء الذى يظهر واضحا في اليوم الذى (يتضاءل فيه المتكبرون ، وينزوى المتجبرون ، ويقف الوجود كله / خاشعا والعباد كلهم خضعا ، ويتفرد مالك الملك الواحد القهار بالسلطان ، وهو سبحانه متفرد به في كل آن ، فأما في هذا اليوم فيكشف هذا للعيان بعد انكشافه للجنان ، ويعلم هذا كل منكر ويستشعره كل متكبر وتصمت كل نأمة(٣) وتسكن كل حركة ، وينطلق صوت جليل رهيب ، يسأل ويجيب ، فما في الوجود كله يومئذ من سائل غيره ، ولا مجيب " لمن الملك اليوم ؟؟ لله الواحد القهار ")(٤).

ومن تلك الصفات تتضح صلته بعباده ، وصلة عباده به ، تتضح في مشاعرهم وتصوراتهم وادراكهم فيعرفون كيف يعاملونه في يقظة ،

---

(١) سورة غافر آية ١٣-١٦.

(٢) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ ٢٤ ص ٢١١.

(٣) النأمة : النغمة والصوت وأسكت الله تعالى نأمته : أى أماته (انظر القاموس المحيط مادة : نأم جـ ٤ ص ١٧٩) دار الفكر ، بيروت.

(٤) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٥ ص ٣٠٧٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي حساسية ،وفي ادراك لما يغضبه وما يرضيه (وقد كان أصحاب العقائد الأسطورية يعيشون مع الهتهم في حيره ،لا يعرفون عنها شيئا مضبوطا ،ولا يتبينون ماذا يسخطها ،وماذا يرضيها ،ويصورونها متقلبة الأهواء غامضة الاتجاهات ،شديدة الانفعالات ،و يعيشون معها في قلق دائم ،و يتحسسون مواضع رضاها بالرقي والتمائم والضحايا والذبائح ولا يدرون سخطت أم رضيت الا بالوهم والتخمين !

فجاء الاسلام واضحا ناصعا يصل الناس بالههم الحق ،ويعرفهم بصفاته ، و يبصرهم بمشيئته ،ويعلمهم كيف يتقربون اليه ،وكيف يرجون رحمته ،ويخشون عذابه ، على طريق واضح ماضٍ مستقيم).(١)

---

(١) المرجع السابق نفسه جـه ص ٣٠٦٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثالث :

الإيمان بالملائكة .

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد : معنى الإيمان بالملائكة .

المطلب الأول : جانب من وظائفهم في السماء والذي اقتصر على حملة العرش .

المطلب الثاني : جانب من عباداتهم بعد إثبات حقيقة إيمانهم وهي التسبيح بحمد الله .

المطلب الثالث : جانب من وظائفهم في الأرض والذي اقتصر على الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الثالث

الايمان بالملائكـــــــــة

تمهيد : معنى الايمان بالملائكة :

لفظ الملائكة مشتق من الملك بضم اللام والملك من ذلك لأن معنى الملك الرسول والايمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة الاسلامية، ومعناه (الاعتقاد والاقرار الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور ، وأنهم لايعصون الله ما أمرهم ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله القيام بها)(١) سواء منهم الملائكة الذين وردت أسماؤهم في الكتاب أو في السنة بالتفصيل (كجبريل وميكائيل واسرافيل - رؤساؤهم الثلاث)(٢) أوالملائكة الذين لم يرد ذكرهم والذين يجب أن نؤمن بهم بصورة اجمالية ، ونؤمن بما ذكر من أوصافهم ، وأفعالهم في القرآن والسنـــة (هذه المعاني تحدث عنها الامام البيهقي (٣) في " شعب الايمان " حين قال (والايمان بالملائكة ينتظم في معان :

أحدها : التصديق بوجودهم .

والثاني : انزالهم منازلهم ، واثبات أنهم عباد الله وخلقـــه كالانس والجن ، ، مأمورون ، مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه ،

---

(١) الأسئلة والأجوبة الأصولية / عبد العزيز المحمد السلمان ص ٢٥ .

(٢) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / ابن قيم الجوزية جـ٢ ص ١٢٧ .

(٣) هو أحمد بن الحسين بن علي الخسرو جردى الشافعي ، الحافظ صاحب التصانيف ومنها السنن الكبرى والصغرى ، توفى سنة ٤٥٨هـ (انظر شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤- ٣٠٥) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والموت عليهم جائز ، ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى اشراكهم بالله تعالى ، ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل)(١).

وقد قال تعالى في صفة عقيدة المؤمنين :

" ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ " (٢)

كما أن هناك الكثير من الأحاديث التي تنص على وجوب الايمان بهم والتي منها ما جاء في الحديث المشهور الذى أخرجه مسلم عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه والبخارى " عندما سأل جبريل عليه السلام عن الايمان فقال صلى الله عليه وسلم : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره "(٣).

يثبت هذا في الوقت الذى يثبت فيه ضلال من كفر بهم ، فإنكار وجودهم يعد كفرا باجماع المسلمين بل ينص على ذلك القرآن العظيم، قال تعالى :

" وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ " (٤)

و قد اقتضت حكمة الله أن يسخر الملائكة لكثير من الوظائف الثابتة في القرآن الكريم والسنة الشريفة سواء ما يتعلق منها / بعبادة الله تعالى ، أو بالكون

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك / السيوطي / تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ص ٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ ص ١٥٧ ، واخرج البخارى نحوه عن أبي هريرة في صحيح البخارى مع فتح البارى جـ١ ص ٩٦-٩٧ ، سبق تخريجه كاملا .

(٤) سورة النساء آية ١٣٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أو بالانسان خاصة وهذا ما أشار اليه الامام البيهقي في " شعب الايمان " وهو يتحدث عن المعنى الثالث والأخير من حقائق الايمان بالملائكة فقال :

(والثالث : الاعتراف بأن منهم رسلا يرسلهم الى من يشاء من البشر وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض ، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش ، ومنهم الصافون ، ومنهم خزنة الجنة ، ومنهم خزنة النار ، ومنهم كتبة الأعمال ، ومنهم الذين يسوقون السحاب ، وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره) . (١)

ولقد كان لسورة غافر نصيب ومشاركة حول هذا الجانب العقدي ، وهي مشاركة جاءت لتؤدي غرضها في مكانها ، وهي تتلخص في نقطتين والله أعلم .

النقطة الأولى : الملاحظ أن الجو العام لسورة غافر مشحون بمعركة حامية بين الحق وأتباعه والباطل وأتباعه .. والذين لا ينقصهم شيء فهم مكتملون قوة وعتادا وملكا ودولة ، وأهل الحق في ذلك الوقت قلة مستضعفة ... فذكر الملائكة في السورة جاء مطمئنا لأصحاب ذلك الحق ، وتلك هي الغاية ، فهم ليسوا وحدهم ، بل معهم ملائكة السماء ، الحافين بالعرش ، يدعون ربهم ليتكرم على عباده المؤمنين بالمغفرة بعد اعلانهم ايمانهم بربهم ، فإذا اجتمع أهل الكفر والجدال على كفرهم وجدالهم فقد اجتمع أهل الايمان على ايمانهم ، وما يتبع ذلك من دعاء لإخوة الايمان بالمغفرة والنعيم والفلاح .

---

(١) الحبائك في أخبار الملائك / السيوطي / تحقيق بسيوني زغلول ص ٩ - ١٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النقطة الثانية : أنهم بحكم رابطة الايمان - لأن حملة العرش ومن حوله هم من بين القوى المؤمنة في هذا الوجود - فبحكم هذه الرابطة كان من حقها عليهم أن يذكروا المؤمنين من البشر عند ربهم ، ويستغفرون لهم ، و يستنجزون وعد الله اياهم.

قال تعالى " : ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ "(١)

واذا أردنا أن نقف أمام المطالب العقدية حول هذه الآيات ، نجد أنها تناولت ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : يتناول جانبا من وظائفهم في السماء ، وقد اقتصرت على حمل العرش .

المطلب الثاني : يتناول جانبا من عباداتهم بعد اثبات حقيقة ايمانهم ، وهي التسبيح بحمد الله .

المطلب الثالث : يتناول جانبا من وظائفهم في الأرض ، وقد اقتصرت في هذه الآية على الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم.

---

(١) سورة غافر آية ٧ - ٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

المطلب الأول : جانب من وظائفهم في السماء

أولا: إن الجانب الأول من تلك الوظائف كان في سورة غافر عبارة عن مجرد اشارة إلى حملهم العرش :

" ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ "

هذه الاشارة وقفت عندها آية الحاقة في قوله تعالى :

" وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ " (١)

يقول الامام ابن كثير في تفسيره (انهم ثمانية من الملائكة وقد أورد عن سعيد بن جبير (٢) في قوله تعالى :

" وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾

قال : ثمانية صفوف من الملائكة) (٣) (وهذا ما ذهب إليه صاحب التفسير الكبير) (٤).

والى هنا فأنا أكتفي بهذا القدر من هذا الجانب العقدي ، مبتعدة عما ورد من استطرادات في التفاسير وفي غيرها من الكتب حول أسماء حملة العرش من الملائكة ، والخلافات حول ما اذا كانوا ملائكة أم لا ؟ وما يدور حول أشكالهم وأوصافهم ، لأن الآيات صريحة في كونهم ملائكة ، ولأنها من الغيبيات التي يجب أن نقف فيها عند خبر الصادق عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الحاقة آية ١٧ .

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي ، أبو عبدالله ، من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع ، قتله الحجاج ظلما سنة ٩٥ هـ (انظر ترجمته في : تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢١٦ ، شذرات الذهب ١/ ١٠٨) .

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٧٢ - ٧٣ .

(٤) الامام الفخر الرازي ، جـ ٢٧ ، ص ٣١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثاني

جانب من عباداتهم

فنحن نؤمن بأن الملائكة نوع من مخلوقات الله ، التي لا تعرف الا الله ، بل انها ما خلقت الا لتعرف الله وتتوجه اليه بالعبادة ، وقد أورد لنا القرآن الكريم ، وكذلك السنة الكثير من عباداتهم فتحدثنا مثلا عن :

أ - صلاتهم كما قال تعالى على لسانهم :
"وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾" (١)

ب - كما تحدثنا عن حجهم ، قال تعالى :
"وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾" (٢)

وقد قال ابن كثير في هذه الآية ، ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الاسراء بعد مجاوزته السماء السابعة : "ثم رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم". (٣)

---

(١) سورة الصافات آية ١٦٥.

(٢) سورة الطور آية ٤.

(٣) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج جـ٧ ص ٢٠١-٢٢٠ ، صحيح مسلم كتاب الايمان باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات جـ٢ ص ٢٢٥ وما قبلها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جـ - والتسبيح الذى هو أحد عباداتهم ، وقد كان لسورة غافر وقفة أمام هذا الجانب ، فقال تعالى :

" ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ " (١)

كما قال تعالى في كثير من سور القرآن الأخرى :

" وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ " (٢)

وقال :

" يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ " (٣)

وقال على لسانهم :

" وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ " (٤)

وقال :

" وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ " (٥)

وقال على لسانهم :

" وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ " (٦)

---

(١) سورة غافر آية ٧ .
(٢) سورة الشورى آية ٥ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٢٠ .
(٤) سورة الصافات آية ١٦٥-١٦٦ .
(٥) سورة الزمر آية ٧٥ .
(٦) سورة البقرة آية ٣٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(والتسبيح هوعبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي ،والتحميد : الثناء عليه بالفضيلة) (١) ،فمعنى نحن نسبح بحمدك : (أى ننزهك ونبرئك مما يضيفه اليك أهل الشرك بك) (٢) (فأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من اضافة ما ليس من صفاته إليه ،والتبرئة له من ذلك) (٣) وقد أورد الطبرى أن التسبيح هو صلاة الملائكة ، فعن سعيد بن جبير قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، فمر رجل من المسلمين على رجل من المنافقين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يصلى وأنت جالس ، فقال له : امض إلى عملك إن كان لك عمل ، فقال ما أظن الا سيمر عليك من ينكر عليك ، فمر عليه عمر بن الخطاب فقال له يا فلان ،النبي صلى الله عليه وسلم يصلى وأنت جالس ، فقال له مثلها ، فقال ،هذا من عملي ،فوثب عليه فضربه حتى انتهى ، ثم دخل المسجد فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ،فلما انفتل النبي صلى الله عليه وسلم قام اليه عمر فقال : يا نبي الله مررت آنفا على فلان وأنت تصلى فقلت له :

---

(١) المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني ص ٢٢١ ، ١٣١.
(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ١ ص ٧٢-٧٣.
(٣) جامع البيان في تفسير القرآن جـ١ ص ١٦٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النبي يصلي وأنت جالس ، فقال : سر الى عملك ان كان لك عمل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهلا ضربت عنقه ،فقام عمر مسرعا فقال : يا عمر ،ارجع ، فان غضبك عز ورضاك حكم ،إن لله في السموات السبع ملائكة يصلون له غني عن صلاة فلان ، فقال عمر : يا نبي الله وماصلاتهم؟ فلم يرد عليه شيئا ، فأتاه جبريل فقال : يا نبي الله سألك عمر عن صلاة أهل السماء ، قال : نعم . فقال : اقرأعلى عمر السلام ،وأخبره أن أهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون : سبحان ذى الملك والملكوت ،وأهل السماء الثانية ركوع الى يوم القيامة يقولون : سبحان ذى العزة والجبروت ، وأهل السماء الثالثة قيام الى يوم القيامة يقولون : سبحان الحي الذى لا يموت". (١)

والحقيقة أنه لا عجب في أن يكون للتسبيح هذا الشأن الكبير والفضل العظيم ليكون صلاة الملائكة . وفي الحديث يروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم". (٢)

وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "أى الكلام أحب إلى الله عز وجل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ما اصطفى الله سبحانه لملائكته : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم". (٣)

---

(١) أخرجه الطبرى في تفسيره جـ١ ص١٦٧.

(٢) متفق عليه ،أخرجه البخارى في صحيحه ،كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ١٦٨/٧ ، صحيح مسلم جـ٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء حديث رقم ٣١ ص ٢٠٧٢.

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب فضل "سبحان الله وبحمده" حديث رقم ٨٥ ص ٢٠٩٣-٢٠٩٤- قريبا منه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(وانما ذكروا هنا بهذه العبارة ليقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ،ولهذا شرع لنا السجود ها هنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل ،كما جاء في الحديث " ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ، يتمون الصفوف ،الأول فالأول ،ويتراصون في الصف "(١) لذا قال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ "(٢)

مذكراً ابن آدم أن لا يستكبر عن عبادة ربه ، فهؤلاء الملائكة لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع ،وذلك هو العبادة)(٣) بل انهم دائمو التسبيح لله :

" يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ "(٤)

وقد قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية ، (ان الملائكة لا يستنكفون عن عبادته ،ولا يتعبون أو يملون ،فهم دائبون في العمل ليلا ونهارا ، مطيعون قصدا وعملا ،قادرون عليه ،كما قال تعالى :

" لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ "(٥) (٦))

فحري بالانسان أن يقتدى بهم خوفا من الله ورهبة ، قال تعالى :

" وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ "(٧)

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٢٨٢ ،عند تفسير قوله تعالى " ان الذين عند ربك لا يستكبرون ... الآية " والحديث أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب تحريم سبق الامام بركوع وسجود ونحوها جـ٤ ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٦.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن / الطبري جـ١٢ ص ٨٣.

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٠.

(٥) سورة التحريم آية ٦.

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ١٧٥.

(٧) سورة الرعد آية ١٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثالث : جانب من وظائفهم في الأرض

هذا هو الجانب الثالث الذى تعرضت له آيات سورة غافر وهي تتحدث عن حملة العرش ، قال تعالى : "وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩" (١)

وهذا الجانب يمثل واحدا من مواقفهم الكثيرة مع المؤمنين ، والتي سخرهم الله لها ، وهو الاستغفار لهم والدعاء ، قال تعالى : "وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥" (٢)

وفي الحديث عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا دخل شهر رمضان أمر الله تعالى حملة العرش أن يكفوا عن التسبيح ويستغفروا لأمة محمد والمؤمنين ". (٣)

والاستغفار من الملائكة هو الدعاء ، كما ورد عن ابن كثير في تفسيره للآية ما نصه (إن الله قيض ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب كما قال تعالى :

"هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣" (٤) (٥)

---

(١) سورة غافر آية ٧ - ٩ .
(٢) سورة الشورى آية ٥ .
(٣) انظر كنز العمال جـ ٨ حديث رقم ٣٧١٦ وانظر كنز العمال بهامش مسند الامام احمد بن حنبل ٣/ ٣٣٤ والذى عزاه الى الديلمي عن علي .
(٤) سورة الأحزاب آية ٣
(٥) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٧١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكما أسلفنا فان الأمر لا يقف عند مجرد الدعاء لهم بل نجدهم يؤمنون على دعاء المؤمن اذا دعا ، وفي الحديث عن أم سلمة قالت : " لا تدعوا على أنفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون ".(١)

كما يقومون بتبشير المؤمن بالخير ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال : " زار رجل أخا له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ ، قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فاني رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه ".(٢)

كما أنها تقوم بتسديده ، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من سأل القضاء وكل الى نفسه ، ومن أجبر عليه ينزل الله عليه ملكا فيسدده ".(٣)

---

(١) صحيح مسلم جـ٢ كتاب الجنائز باب في اغماض الميت والدعاء له اذا حضر حديث رقم ٧ ص ٦٣٤ بلفظه وحديث رقم ٦ من نفس الباب " قريبا منه " ص ٦٣٣.

(٢) صحيح مسلم جـ ٤ كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله حديث رقم ٣٨ ص ١٩٨٨ " بلفظه ".

(٣) سنن الترمذى بلفظه من رواية أنس جـ ٢ أبواب الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاضي حديث رقم ١٣٣٨ ص ٣٩٢ وحديث رقم ١٣٣٩ من نفس الصفحة " قريبا منه " ، وقال عنه الترمذى ، هذا حديث حسن غريب ، كما أخرجه الامام أحمد في مسنده بلفظه جـ٣ برواية أنس بن مالك ص ١١٨ وص ٢٢٠ " قريبا منه "

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أما كيفية تسديده فالله أعلم به ، ومن هذا الباب ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال سليمان بن داود عليهما السلام ، لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله ، فقال الملك : قل ان شاء الله ، فلم يقل ونسي ، فأطاف بهن ولم تلد الا امرأة منهن نصف انسان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته "(١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى " ووهبنا لداود سليمان " جـ٦ ص ٤٥٨ حديث رقم ٣٤٢٤ ، قريبا منه ، وقال فيه سبعين امرأة ، كما أخرجه في كتاب الجهاد باب من طلب الولد جـ٦ ص ٣٤ حديث رقم ٢٨١٩ (انظر فتح الباري جـ٦ ص ٣٤) وأخرجه في كتاب التوحيد باب في المشيئة والارادة حديث رقم ٧٤٦٩ (انظر فتح الباري جـ١٣ ص ٤٤٦ - ٤٤٧ ، كما أخرجه بلفظه في كتاب النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي ، حديث رقم ٥٢٤٢ (انظر فتح الباري جـ ٩ ص ٣٣٩).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الرابع :
الإيمان بالكتب .

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد : معنى الإيمان بالكتب

المطلب الأول : وجوب الإيمان بالكتب السماوية إجمالاً وتفصيلاً

المطلب الثاني : وجوب الإيمان بها شرعاً وعقلاً

المطلب الثالث : اتفاق هذه الكتب السماوية في الأصول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الرابع

الايمان بالكتب

التمهيد : معنى الايمان بالكتب :

(هو التصديق الجازم بأن لله كتبا أنزلها على أنبيائه ورسله وهي من كلامه حقيقة ،وأنها نور وهدى وأن ما تضمنته حق وصدق ، ولا يعلم عددها إلا الله ،وأنه يجب الايمان بها اجماليا الا ما ورد منها مفصلا فانه يجب الايمان بها على التفصيل). (١)

المطلب الأول : وجوب الايمان بالكتب السماوية اجمالا وتفصيلا :

أما المفصلة فهي صحف ابراهيم ،وصحف موسى ،وأربعة كتب هي (توراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى وفرقان محمد عليهم السلام.

قال تعالى :

" إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ " (٢)

وقال تعالى :

" إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ " (٣)

وقال تعالى :

" وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ " (٤)

---

(١) الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية / عبد العزيز المحمد السلمان ص ٢٥-٢٦.

(٢) سورة الأعلى آية ١٨-١٩.

(٣) سورة المائدة آية ٤٤.

(٤) سورة الاسراء آية ٥٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال تعالى :

" ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ " (١)

وقال سبحانه مخاطبا رسوله محمدا :

" وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ " (٢)

وقوله تعالى :

" حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ " (٣)

وأما المجملة فقد وجب الايمان بها باجمالها بدون معرفة أسمائها ولا أسماء من أنزلت عليهم من منطلق قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ .. " (٤)

وقوله تعالى :

" كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ " (٥)

يقول شارح الطحاوية : (وأما الايمان بالكتب المنزلة على المرسلين ، فنوع من بما سمى الله تعالى منها في كتابه ، من التوراة والانجيل والزبور ، ونوع من بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها الا الله تعالى .

---

(١) سورة الحديد آية ٢٧ .
(٢) سورة المائدة آية ٤٨ .
(٣) سورة غافر آية ١-٢ .
(٤) سورة الحديد آية ٢٥ .
(٥) سورة البقرة آية ٢١٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما الايمان بالقرآن ،فالإقرار به ،واتباع ما فيه ،وذلك أمر زائد على الايمان بغيره من الكتب).(١) فالايمان بالكتب السماوية الالهية واجب شرعا وعقلا .

المطلب الثاني : وجوب الايمان بها شرعا وعقلا

أما شرعا : فقد قال تعالى :" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ "(٢)

فهذه الآية كافية في الدلالة على وجوب الايمان بكتب الله عامة ، وبالقرآن الكريم خاصة ،وفي تحريم التكذيب بها ، كما هو واضح في سورة غافر حيث قال سبحانه في تقرير انزال القرآن :

" تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ "(٣)

يقول الامام ابن كثير (أى تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذى العزة والعلم فلا يرام جنابه ولا يخفى عليه الذر وان تكاثف حجابه).(٤)

كما يقول صاحب كتاب التحرير والتنوير هي: (فاتحة أنيقة في التنويه بالقرآن جعلت مقدمة لهذه السورة لأن القرآن جامع لما حوته وغيره من أصول الدين ، و" تنزيل " : مصدر نزّل المضاعف وهو شعر بأنه أنزله منجما ،واختيار هذه الصيغة هنا للرد على الطاعنين لأنهم من جملة ما تعللوا به قولهم :

" لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً "(٥)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ابن ابي العز الحنفي ص ٢٨٥-٢٨٦.
(٢) سورة النساء آية ١٣٦.
(٣) سورة غافر آية ٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٦٩.
(٥) سورة الفرقان آية ٣٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والتعريف في الكتاب " للعهد " وهو القرآن المعهود بينهم عند كل تذكير وكل مجادلة (فهو ليس منقولا ولا مما يجوز أن يكذّب به)(١).

وأجرى على اسم الجلالة الوصف بـ" العزيز ، العليم " .

أ - (للايمان الى أن ما ينزل منه يأتي على ما يناسب الصفتين ، فكتابه عزيز ، قال تعالى : (٢)

" وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ "

أى القرآن ، عزيز غالب بالحجة لمن كذب به ، وغالب بالفضل لما سواه من الكتب من حيث أن الغلبة تستلزم التفضل والتفوق ، وغالب لبلغاء العرب اذ أعجزهم عن معارضة سورة منه .

ب - كما هو تعريض بأن منكرى تنزيل الكتاب مغلوبون مقهورون وبأن الله يعلم ما تكنه نفوسهم فهو محاسبهم على ذلك .

جـ - وهو رمز الى أن القرآن كلام العزيز العليم فلا يقدر غير الله على مثله ولا يعلم غير الله أن يأتي بمثله .

د - وفي ذكرهما رمز الى أن الله أعلم حيث يجعل رسالته وأنه لا يجارى أهواء الناس فيمن يرشحونه لذلك من كبرائهم :

" وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ " (٣) (٤)

---

(١) تفسير القرطبي جـ١٥ ص ٢٩٠ .

(٢) سورة فصلت آية ٤١ .

(٣) سورة الزخرف آية ٣١ .

(٤) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٣ ص ٣١٤ ، جـ ٢٤ ص ٧٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن هنا كان التشديد على من كذب بعد ذلك بالقرآن وبما سبقه من كتب كما تذكر آيات سورة غافر

" الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ " (١)

(فالكتاب هو القرآن ، وعطف " وبما أرسلنا به رسلنا " يجوز أن يكون على أصل العطف مقتضيا المغايرة ، فيكون المراد : وبما أرسلنا به رسلنا من الكتب قبل نزول القرآن فيكون تكذيبهم ما أرسلت به الرسل مرادا به تكذيبهم جميع الأديان كقوله تعالى :

" وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ " (٢) (٣))

ولهذا أصل عند صاحب التفسير الكبير ، سبقه اليه صاحب الكشاف حين قالا : ان المقصود بالكتاب : القرآن ، و" بما أرسلنا به رسلنا " من سائر الكتب) . (٤)

يقول الامام الطبرى عند تفسير هذه الآية (يقول تعالى ذكره : ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون ، الذين كذبوا بكتاب الله وهو هذا القرآن ، وكذبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من اخلاص العبادة لله والبراءة مما يعبدونه من الآلهة والأنداد والاقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب ، فسوف يعلم هؤلاء حقيقة ما تخبرهم به يا محمد وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم) . (٥)

---

(١) سورة غافر آية ٧٠ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .
(٣) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٢٠١ .
(٤) انظر الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٦ ، التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٨٧ .
(٥) تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٨٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأما عقلا ، فان الرسول المبلغ عن الله شرائعه وأحكامه يحتاج غالبا في اثبات رسالته إلى كتاب من الله تقوم به الحجة له على تلك الأمة التي أرسل اليها حتى يؤمنوا به ، ويصدقوه ، ويتبعوه ويعملوا بما جاءهم به ، وقبل ذلك هو محتاج إلى معجزة لاثبات رسالته .

ومن هنا كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزة القرآن ولا أدل على ذلك من سورة غافر والتي هي من أولها الى آخرها مبنية على لزوم حجة القرآن ، والتنبيه على معجزته وذلك يتضح فيما يلي :

أولا : قوله تعالى :

" حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ " (١)

فبعد أن قرر سبحانه تنزيل الكتاب - القرآن - دلل على أن الجدال في تنزيله كفر والحاد .

ثانيا : قوله تعالى :

" الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ..... " (٢)

فلولا أنه برهان قاهر لم يذم الكفار على العدول عنه ، ولم يحمد المؤمنين على المصير اليه .

ثالثا : قوله تعالى :

" رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝١٥ " (٣)

---

(١) سورة غافر آية ١-٢ .

(٢) سورة غافر آية ٧-٩ .

(٣) سورة غافر آية ١٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فجعل القرآن والوحي به كالروح ، لأنه يؤدي الى حياة الأبد ، ولأنه لا فائدة للجسد من دون الروح ، فجعل هذا الروح سببا للانذار، وعلما عليه ، وطريقا إليه ، ولولا أن ذلك برهان بنفسه لم يصح أن يقع به الانذار والاخبار عما يقع عند مخالفته ، ولم يكن الخبر عن الواقع في الآخرة عن ردهم دلالته من الوعيد حجة ولا معلوما صدقه ، فكان لا يلزمهم قبوله .

رابعا - قوله تعالى :

" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ..... " (١)

ضرب المثل بمن خالف الآيات وجحد الدلالات والمعجزات ، ثم بين أن عاقبتهم صارت إلى السوآى لأن رسلهم كانت تأتيهم بالبينات ، وكانوا لا يقبلونها منهم ، فعلم أن ما قدم ذكره في السورة بينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خامسا - قوله تعالى :

" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ ..... " (٢)

بيان عاقبة الذين يجادلون في آيات الله ومن جملة آياته هذا الكتاب) . (٣)

---

(١) سورة غافر آية ٢١-٢٢ .

(٢) سورة غافر آية ٦٩- ٧٦ .

(٣) انظر اعجاز القرآن / الباقلاني ص ١٠-١١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثالث : اتفاق هذه الكتب السماوية في الأصول .

إن كل هذه الكتب حق من الحق تبارك وتعالى موافق بعضها بعضاً ، لا تناقض ولا اختلاف بينها في الأسس والأصول التي تجمع وحدة الدين ، فيجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته ، وأن ما نسب اليها مما يخالف ذلك انما هو من تحريف البشر وصنعهم ، قال تعالى عن القرآن الكريم كما يحكيه لنا شيخ الاسلام رحمه الله : (الحمد لله .. الذي أنزل الكتاب تفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين : " مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ") (١) (٢)

كما قال تعالى عن الانجيل قبله :

" وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ " (٣)

كما قال سبحانه عن التوراة قبلهما :

" إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ " (٤)

يقول شارح الطحاوية (فعلينا الايمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أنتهم من عند الله ، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء) . (٥)

---

(١) سورة يوسف آية ١١١ .

(٢) فتاوى شيخ الاسلام جـ٣ ص ٢٩٥- ٢٩٦ .

(٣) سورة المائدة آية ٤٦ .

(٤) سورة المائدة آية ٤٤ .

(٥) ابن أبي العز الحنفي ص ٢٨٥- ٢٨٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهذا ما تقرره سورة غافر في قوله تعالى :

" وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۝ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ (١) "

ويقول الامام الطبرى إنّ الهدى : (ما آتاه الله من البيان للحق) (٢) والذى فسره القرطبي بأن المقصود به : (التوراة والنبوة) (٣)

وهذا ما ذهب اليه صاحب التفسير الكبير حين قال أن المراد بالهدى (يجوز أن يكون انزال التوراة عليه ، ويجوز أن يكون المراد هو النبوة التي هي أعظم المناصب الانسانية) (٤) بل ذهب الى أعم من ذلك حين قال إنّ المراد بالهدى (يجوز أن يكون ما آتاه الله من العلوم الكثيرة النافعة في الدنيا والآخرة) (٥).

وما نراه أن المقصود بالهدى هنا هو التوراة ، سميت بذلك لما فيها من هدى و نور لقوله تعالى :

" إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ " (٦)

وهذا ما أورثه بني اسرائيل كما تحكى الآية :

" وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۝ " (٧)

(أى التوراة فعلمناهموها) (٨) (تذكيرًا لأهل العقول الصحيحة

---

(١) سورة غافر آية ٥٣ - ٥٤.
(٢) تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٧٦.
(٣) تفسير القرطبي جـ١٥ ص ٣٢٣.
(٤) انظر الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٧٧.
(٥) المرجع السابق جـ ٢٧ ص ٧٧.
(٦) سورة المائدة آية ٤٤.
(٧) سورة غافر آية ٥٣.
(٨) انظر تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٧٦ ، تفسير القرطبي جـ١٥ ص ٣٢٣ ، الكشاف للزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

السليمة)[١].

(والفرق بين الهدى والذكرى : إن الهدى ما يكون دليلا على الشيء وليس من شرطه أن يذكر شيئا كان معلوما ثم صار منسيا وأما الذكرى فهي الذى يكون كذلك فكتب أنبياء الله مشتملة على هذين القسمين. بعضها دلائل في نفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية المتقدمة)[٢].

---

(١) انظر تفسير الطبرى جـ١٢ ص ٧٦ ، تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٤ .

(٢) التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٧٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الخامس :

الإيمان بالرسل .

وفيه تمهيد ومطلبان :

التمهيد : معنى الإيمان بالرسل .

المطلب الأول : عدد الانبياء والرسل .

المطلب الثاني : بعض وظائف الرسل عليهم السلام .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الخامس

الايمان بالرسل

تمهيد : في معنى الايمان بالرسل :

من أركان العقيدة الاسلامية الايمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والايمان بجميع ما أنزل عليهم ، قال تعالى :

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (١)

والقاعدة العامة في ذلك : أن نؤمن بأن الله قد أرسل رسلا سماهم بأسمائهم في كتابه الكريم ، أو أخبرنا بهم رسوله الأمين (٢) فهؤلاء لا يجوز أن نكذب بهم ، ولا حتى بواحد منهم ، لأن الكفر برسول

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٢) هناك أنبياء عرفناهم من السنة فقط وهم :

(أ) - شيث ، يقول ابن كثير في البداية والنهاية جـ١ ص ٩٩ " وكان نبيا بنص الحديث الذى رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعا أنه أنزل عليه خمسون صحيفة (انظر الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان جـ١ حيث أخرجه هناك مطولا في كتاب البر والاحسان باب ما جاء في الطاعات وثوابها ، حديث رقم ٣٦٢ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٩ .

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واحد كفر بجميع الرسل ، قال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا " (١)

ولأن الايمان بواحد منهم يعني الايمان بجميع الأنبياء والرسل الصادقين ، فموجب الايمان بالكل واحد .

=== (ب) - يوشع بن نون : يقول ابن كثير في البداية والنهاية جـ ١ ص ٣٢٣ ، قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر بن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن ، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها ، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها ، فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علي شيئا فحبست عليه حتى فتح الله عليه (أخرجه البخاري بنحوه جـ ٦ كتاب فرض الخمس باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " أحلت لكم الغنائم " حديث رقم ٣١٢٤ ص ٢٢٠ ، وفي جـ ٩ مختصراً في كتاب النكاح باب من أحب البناء قبل الغزو حديث رقم ٥١٥٧ ص ٢٢٣ ، وأخرجه مسلم بلفظه جـ ١٢ كتاب الجهاد باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ص ٥٢ ، وأخرجه الامام أحمد بلفظه جـ ٢ ص ٣١٨) وقد أورد ابن كثير في نفس الصفحة أن هذا النبي هو يوشع بن نون حين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار الى بيت المقدس) ، أخرجه الامام أحمد جـ ٢ ص ٣٢٥ .

(١) سورة النساء آية ١٥٠-١٥١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي الوقت نفسه نؤمن بأن لله رسلاً وأنبياء لا نعلمهم (أما من شكك في نبوتهم كذى القرنين وتبع فالأفضل أن نتوقف في اثبات النبوة لهما لأنه صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما أدرى تبع أنبياكان أم لا، وما أدرى ذا القرنين أنبيا كان أم لا) (١) (٢) .

وقد كان لسورة غافر اشارات جانبية أحيانا وأساسية أحيانا أخرى والتي تتضح في المطالب الآتية :

المطلب الأول : حول عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المطلب الثاني : بعض جوانب من وظائف الرسل عليهم السلام.

أما بالنسبة للمطلب الأول في السورة حول هذا الموضوع فقد قال تعالى فيه : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ " (٣)

فما لا شك فيه أنه (لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدى الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث

---

(١) أخرجه الحاكم كتاب الايمان باب "تبع وذا القرنين كانا نبيين أم لا" جـ١ ص ٣٦ ، وقال عنه صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
وأخرجه البيهقي كتاب الأشربة والحد فيها باب الحدود والكفارات جـ٨ ص ٣٢٩ .

(٢) انظر الرسل والرسالات د. عمر سليمان الأشقر ص ٢١-٢٤ .

(٣) سورة غافر آية ٧٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على التفضيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الاعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال (١) لذا كثر عددهم وكثر انتشارهم بين الأمم ، قال تعالى :

" وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢) "

ولقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الكثرة كما رواه أحمد في مسنده عن أبي ذر قال " قلت يا رسول الله ، كم المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا " (٣) وفي رواية أبي أمامة ، قال أبوذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا " (٤) ، ونحن لا نعرف من هذا العدد الكبير والجم الغفير الا من صرح لنا بأسمائهم القرآن ، وهم خمسة وعشرين نبيا ورسولا ، والقاعدة فيها قوله تعالى :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ " (٥)

وقال :

" وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ " (٦)

أما من قصصهم علينا القرآن فهم خمسة وعشرون رسولا ورد ذكر ثمانية عشر منهم في موضع واحد من سورة الأنعام .

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد / محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية جـ١ ص ١٥ .

(٢) سورة فاطر آية ٢٤ .

(٣) مسند الامام أحمد جـ٥ ص ١٧٨-١٧٩ .

(٤) مسند الامام أحمد جـ٥ ص ٢٦٥-٢٦٦ . وقال صاحب الفتح الرباني معلقا : (هذا الحديث اورده الهيثمي في مجمع الزوائد في باب "السؤال للانتفاع وان كثر" من كتاب العلم ، وقال : رواه احمد والطبراني في الكبير ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف) كما ذكر صاحب الفتح الرباني تضعيف ابن كثير لبعض رجاله وكذلك الحافظ في التقريب (انظر باب ما جاء في أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وقصة أسلامه ٢٢/٣٧٢) .

(٥) سورة غافر آية ٧٨ .

(٦) سورة النساء آية ١٦٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال تعالى : " وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ "(١)

وورد ذكر السبعة الباقين في مواضع متفرقة من القرآن ، قال تعالى :

" إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ "(٢)

وقال :

(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا)(٣) ، (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا)(٤) ، (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا)(٥)

" وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ "(٦) ، " مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ "(٧)

وقد أشارت سورة غافر إلى خمسة منهم وهم :

نوح عليه السلام ، هود عليه السلام ، صالح عليه السلام ، يوسف عليه السلام ، موسى عليه السلام .

(١) أما نوح ، فهو النبي الرابع ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام ، قال تعالى : " إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ "(٨)

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٣ - ٨٦ .
(٢) سورة آل عمران آية ٣٣ .
(٣) سورة هود آية ٥٠ .
(٤) سورة هود آية ٦١ .
(٥) سورة هود آية ٨٤ .
(٦) سورة الأنبياء آية ٨٥ .
(٧) سورة الفتح آية ٢٩ .
(٨) سورة نوح آية ١ - ٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهو أول الرسل كما في حديث الشفاعة عن أبي هريرة " يا نوح أنت أول الرسل في الأرض "(١) وقد أرسل إلى قوم عكفوا على عبادة غير الله تعالى ، واتخذوا لهم أصناما يعبدونها من دونه ، ليدعوهم الى توحيد الله ، لكنهم قوم يقودهم الكبر ، وما كان منهم الا التكذيب والاحتقار له ولمن اتبعه ، بالرغم من أنه بذل معهم منتهى وسعه ، واجتهد بغاية امكانه أن يتبعه قومه في الايمان بالله ، والاقلاع عن عبادة تلك الأصنام.

وعندما يئس من ايمانهم توجه الى ربه بالدعاء عليهم ، فأمره الله تعالى بعمل الفلك لتكون أداة نجاته ومن معه من الغرق ، فلما أتم نوح عدته ورأى الأمارة التي بينه وبين ربه على ابتداء أمر الطوفان دخل السفينة وأهله الا ابنه ، ومن كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين ، فلما استووا على ظهر السفينة حلت عزاليها(٢) السماء ، وانفجرت عيون الأرض وغرق كل ما عليها من انسان وحيوان ، وخرج من كان في السفينة ، وبارك الله فيهم ، فكثروا وملأوا الأرض ، قال تعالى :

" حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ ..... "(٣)

وقال :

" قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ "(٤) (٥)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه مطولا جـ ٤ كتاب الأنبياء باب ٣ قول الله عز وجل " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه " ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) عزاليها جمع عزلاء ويقال : ارسلت السماء عزاليها : انهمرت بالمطر ، وأرخت الدنيا عزاليها : كثر نعيمها (انظر المعجم الوسيط ٢/ ٦٠٥).

(٣) سورة هود آية ٤٠. (٤) سورة هود آية ٤٨

(٥) انظر قصص الأنبياء / النيسابوري ص ٤٥ ، قصص الأنبياء / ابن كثير تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ص ٦٤-٨١ ، قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار ص ٣٠ - ٣٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(٢) هود عليه السلام :

هو رسول من رب العالمين ، أرسله الى قبيلة عاد ليبلغهم رسالة ربه : "وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾" (١)

وقد كان قومه أهل زرع وضرع ، عمروا البلاد وأذلوا العباد ، اتخذوا لهم أوثانا يعبدونها من دون الله ، قال تعالى على لسان هود عليه السلام:

"أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾" (٢)

انذار و ترهيب تارة و تذكير وترغيب تارة أخرى ، الا أن موقفهم لم يكن بأحسن من موقف غيرهم ، فقد كذبوه ، بل اتهموه في عقله ، فحذرهم هود عليه السلام بأنهم اذا تولوا معرضين عن قوله ، فانه قد قام بواجبه الذى كلف به من ربه ، وأن الله سيبيدهم ويستخلف قوما غيرهم ، ولكنهم ظلوا على عتوهم وعصيانهم وتكذيبهم وجحدهم آيات ربهم ، فما كان من الله الا أن أرسل عليهم الريح العقيم ، سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٥ - ٦٨ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٢٨ - ١٣٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حسوما ،فأهلكهم الله وأبادهم ،وصارت أجسامهم كأنها أعجاز نخـــل منقعر ،ونجى الله هودا والذين آمنوا معه قال تعالى، :

" فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ "(١) (٢)

---

(١) سورة فصلت آية ١٥ - ١٦.

(٢) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ص ٤٧ - ٥٥ ،تاريخ الأنبياء ،محمد الطيب النجار ص ٨١- ٨٢ ،الأنبياء في القرآن، سعد صادق محمد ص ٧٩-٨٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٣ - صالح عليه السلام :

كانت قبيلة ثمود تدين بعبادة الأصنام ، يشركونها مع الله في العبادة ، فأرسل الله اليهم صالحا واعظا ومذكرا لهم بنعم الله وآياته الدالة على توحيده وأنه لا شريك له ، وأقام لهم الأدلة القاطعة والبينة الواضحة على ضلالهم في عبادتهم وعلى أن الله هو الذى يجب افراده بالعبادة دون سواه ، فآمن له المستضعفون من قومه ، وكفر الملأ منهم كبرا وعنادا طالبين منه آية على صدقه ، فأتاهم بالناقة وأمرهم ألا يمسوها بسوء ، ويذروها تأكل في أرض الله ، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ، الا أن ذلك كبر عليهم ، فعتوا عن أمر ربهم وأجمعوا على عقرها ، ولما أرادوا تنفيذ عزمهم جاءوا الى صالح يرصدون الفرصة للايقاع به وأهله فأهلكهم الله ، وكان تدميرهم بالصاعقة ، وقد عبر الله تعالى عنها تارة بالرجفة ، وتارة بالطاغية ، وتارة بالصيحة ، أما صالح والذين آمنوا معه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب ، قال تعالى :

" كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ " (١) (٢)

---

(١) سورة الشعراء آية ١٤١-١٥٩.

(٢) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ص ٥٨ - ٦٦ ، تاريخ الأنبياء ص ٩٠ - ٦ ، الانبياء في القرآن ص ٩١-١٠٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٤ - يوسف عليه السلام :

هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام ، كان نبيا يدعو الى دينه مبينا أن ذلك من تعاليم الهه ، بعد أن أعلن تركه ومجانبته ملة الأقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، متبعا ملة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب ، يقول تعالى على لسانه مبينا شناعة ماعليه أهل مصر من تعديد الالهة وتكثير الأرباب ، وأن دينه - دين التوحيد - هو الدين القيم ، ولكن الناس في غفلة عنه :

" إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ "(١)(٢)

---

(١) سورة يوسف آية ٣٧-٤٠

(٢) انظر قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار ص ١٢٠-١٤٠ ، تاريخ الأنبياء ، محمد الطيب النجار ص ١٣٣-١٦٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٥ - موسى عليه السلام :

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازربن لاوى بن يعقوب بن ابراهيم عليهم السلام ، أرسله الله الى فرعون وملئه ، قال تعالى :

" وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ "(١)

وقام بأمر الرسالة خير قيام ، فذهب الى فرعون وأدّى مقالته بواسطة هارون ، إلا أن فرعون كان رجلًا عاتيا تدين الأمة المصرية بعبادته ، وتذعن بقداسته ، ففوجيء من موسى بأمر لا يقره ولا يرضاه وهو محاولة انزاله عن عرش الربوبية ، وأخذ على اثر ذلك يحاور موسى فعلم موسى عدم ارعواء فرعون عن غيه وتماديه في ادعاء الربوبية وأنه مكذب لا محالة ، بعد كل البينات والدلائل على صدق دعوته ، ومع ذلك فقد الح عليه وملأه بالدعوة الى الايمان بالله تعالى ، فكانت عصارة تلك الدعوة كلها أن فريقا من بني اسرائيل قد آمنوا له ، ولما لم يغد العلاج مع فرعون ، أمر الله موسى أن يتخذ لبني اسرائيل بيوتًا للعبادة في مصر و يقيم فيها الصلاة لله تعالى ، قال تعالى : " فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ "(٢)

---

(١) سورة مريم آية ٥١ - ٥٣ .

(٢) سورة يونس آية ٨٣-٨٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إلاّ أنّ فرعون خاف من ترك موسى يفسد في الأرض على حسد زعمه فخلص هو وملأه إلى الائتمار به وقتله ، ولما كان الحق لا يعدم نصيرا ، قام رجل ـ مؤ من آل فرعون ـ يدافع عن موسى إلاّ أنهم هموا به كما هموا بموسى فوقاه الله سوء عطهم وكانت عاقبته السعادة وعاقبة آل فرعون النار بعد استمرارهم في الاعنات ببني اسرائيل وتماديهم في الكذب وردهم لكل آياته واتهامه بالسحر ، فكانت البطشة العظمى بهم وهي اغراق فرعون ومن معه في اليم ونجاة بني اسرائيل ، قال تعالى :

" وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ " (١)

وهنا انطلق موسى بقومه بني اسرائيل من أرض مصر ذاهبا الى فلسطين وفي خلال ذلك حنوا الى وثنيتهم فطلبوا من موسى وقد مروا على قوم يعبدون الأصنام ـ أن يتخذ لهم الها كما لهؤلاء القوم آلهة ، فكان جواب موسى لهم تجهيلا ولوما على طلبهم الها سوى الله بعد كل ما حدث ، وهنا أوصى الله موسى أن يصعد الى الجبل ويمكث فيه أربعين ليلة ، حتى اذا أتمها أعطاه الله ألواحا وكتب له فيها الوصايا التي يأخذ بها بنو اسرائيل أنفسهم وأعقابهم من بعدهم الا أن ربه بلغه بأن قومه فتنوا عن دينهم وأن السامرى أضلهم ، فرجع موسى الى قومه غضبان حزينا ، وأمرهم بالتوبة ، وبعدها أراد أن يدخل بهم أرض فلسطين لكنهم أبوا وقالوا لموسى :

" فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ " (٢)

---

(١) سورة القمر آية ٤١-٤٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٢٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحكم عليهم سبحانه بالتيه اربعين سنة واستمر موسى يكابد في معالجة شئون بني اسرائيل ويسوس ذلك الشعب المشاغب ويأتيهم بالعجائب محتملا صلفهم وطغيانهم ولم يترك وسيلة من وسائل استرضائهم الا فعلها وهم لا يزيدون الا عنادا ومخالفة عن أمره ،فأمره الله أن يذهب الى جبل " نبو " وأن ينظر الى الأرض المقدسة ولا يدخلها وهناك مات ودفن .(١)

أما كيف جاء ذكر اولئك الخمسة في السورة ،ولما اكتفت السورة بهم فنقول وبالله التوفيق :

لقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم الى قومه بالرسالة ، لكنهم رفضوها وأصروا على كفرهم فجاءت السورة - كغيرها من السور المكية - تتحدث عن الكافرين الذين يجادلون في آيات الله بغير حق ،والمغترين بما هم عليه من قوة وسلطة ،وتضرب أمثلة بهم ، فتقص على الرسول قصتهم والتي جاءت : ١ - مرة خطاباً من الله لنبيه مباشر في العرض يذكره بقوم نوح خاصة ومن جاء بعدهم عامة .

٢ - وجاءت في الثانية من خلال القصة في السورة - قصة موسى مع فرعون -على لسان مؤمن من آل فرعون لقومه يذكرهم بقوم نوح وقوم هود وقوم صالح ،ومن جاء بعدهم عامة ،والذين كان دأبهم الكفر والتكذيب ،وقد علل صاحب كتاب " التحرير والتنوير " تخصيصهم بالذكر فقال : (ان القبط كانوا على علم بما حل بقوم نوح وعاد وثمود ،فأما قوم نوح فكان طوفانهم مشهورا ،وأما عاد وثمود فلقرب بلادهم من البلاد المصرية وكان عظيما لا يخفى على مجاوريهم).(٢)

---

(١) انظر القصص ،ابن كثير ص ٢٣٧-٣١٩ ، قصص الأنبياء ،عبد الوهاب النجار ص ١٥٥-٢٩٨ .

(٢) محمد الطاهر عاشور جـ ٢٤ ص ١٣٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثم ورد ذكر يوسف عليه السلام على لسان ذلك المؤمن (لتذكيرهم بأنهم من ذرية قوم كذبوا يوسف لما جاءهم بالبينات ،فتكذيب المرشدين الى الحق شنشنة معروفة في أسلافهم فتكون سجية فيهم)."(١)

هذه الأمثلة وردت كما قلنا من قبل العظة للمشركين في ذلك الوقت خاصة ،وأن الجميع مشتركون في :

(١) تكذيب الرسل ، (٢) المجادلة بالباطل ، (٣) التجاوز عن التكذيب الى غاية الأذى من الهم بالقتل. ومن هنا جعلت أيامهم جميعا يوما واحدا ،مع أن لكل حزب منهم ، يوماً خاصاً به ،وفي ذلك يقول صاحب الظلال (ولكل حزب كان يوم ،ولكن الرجل المؤمن يجمعها في يوم واحد " مثل يوم الأحزاب " فهو اليوم الذى يتجلى فيه بأس الله وهو يوم واحد في طبيعته على تفرق الأحزاب ".(٢)

---

(١) محمد الطاهر عاشور جـ٢٤ ص ١٣٨.

(٢) انظر سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٨٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطلب الثاني : من وظائف الرسل عليهم السلام

أما المطلب الثاني الذى تعرضت له سورة غافر فقد ألقت فيه الأضواء على بعض الجوانب من وظائف الرسل عليهم السلام ، قالت فيه : ان الله سبحانه وتعالى هيأ رسله ورباهم على عينه ،فكانوا رجالا موحدين : "قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾" (١) موقنين أنهم يعملون بأمر من الله ،وأنه ليس لهم من الأمر شيء ، قال تعالى :

"وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾" (٢) متسلحين بالصبر والاستغفار والتسبيح فهو زادهم في الطريق ، قال تعالى :

"فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾" (٣) ثم بعد ذلك دعمهم بالبراهين والمعجزات ،قال تعالى :

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾" (٤) ،وقال : "وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ" (٥) كل ذلك ليؤدوا الدور الذى كانوا من أجله رسلا ويقوموا بوظائفهم خير قيام .

وقد وقفت بنا السورة أمام بعض تلك الوظائف وهي :

---

(١) سورة غافر آية ٦٦ .
(٢) سورة غافر آية ٧٨ .
(٣) سورة غافر آية ٥٥ .
(٤) سورة غافر آية ٢٣ .
(٥) سورة غافر آية ٣٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

١ - الدعوة الى الله :

فطر الله تعالى الانسان على فطرة الايمان بالله تعالى وتوحيده ، يقول ابن القيم رحمه الله (ان الله لا يألف من الأعمال الا أطيبها وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية مثل ان يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)[١] ولكن الانسان قد تخدعه مظاهر ،أو تربية ،أو ضلالات وخرافات ،فيؤمن بمن لا يستحق الايمان به من انسان أو حيوان أو مظهر من مظاهر الطبيعة أو أرض أو دم أو كوكب أو نجم ،لأن العقل البشرى وحده في قصور عن ادراك المعرفة المتصلة برب العالمين ،يقول صاحب كتاب تاريخ الأنبياء (أما الغالبية العظمى من الناس فلا يستطيعون وحدهم أن يهتدوا الى الحق ويعرفوا الله ومن هنا كانت حاجة البشر الى من يعرفهم بربهم الذى يخلق ويرزق ويحيى ويميت ،ويبصرهم بالطريق المستقيم ويرشدهم الى الحق على هدى وبصيرة ،وتلكم هي مهمة الأنبياء والمرسلين ،فالأنبياء والمرسلون هم السفراء بين الله وبين عباده)[٢] لأنه (اذا كنا في العلم البشرى لا نأخذ الا عن مصادر يعول عليها ،ففي علم الغيب لا ينبغي أن نأخذ الا عمن يملكون حق الحديث عن الله)[٣] وفي هذا المقام يقول الشيخ محمد عبده[٤] (ان الله تعالى أخذ على

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد جـ١ ص ٥١.

(٢) محمد الطيب النجار ص ١٣-١٤.

(٣) الله في العقيدة الاسلامية / احمد بهجت ص ٥٢.

(٤) هو ابن خير الله مفتى الديار المصرية ،صاحب المصنفات الكثيرة المتوفى سنة ١٣٢٣هـ (انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي ٧/ ١٣١).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نفسه ارسال الرسل رحمة بالناس ،اذ لو ترك الناس وشأنهم ما عرفوا طريق الحق والشياطين تقعد لهم كل مرصد ، وقد ركب الله في الانسان القوة الشهوية التي تدفعه الى اللذة الجسدية أولذة جمع المال أو الجاه وركب فيه كذلك القوة الغضبية التي بها يظلم ويطغى ،والصراع دائم ما دامت الحياة الا من عصم الله ،وقد جعل الله تعالى رسله وسيلة للتبصير والهداية ،وتلك مهمتهم ،ومن ذلك نرى أن ارسال الرسل اقتضته الحكمة الالهية) .(١)

فالغرض الأساسي اذا من بعثة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه منذ بزوغ فجر الرسالة الالهية من لدن نوح عليه السلام الى رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الدعوة لله تعالى والهداية اليه ، يقول صاحب كتاب الله في العقيدة الاسلامية (هدف الأنبياء والرسل واحد - وهو هداية الناس الى الحق ... واذا كان الله تعالى هوالحق ، فان هدف رسالات الرسل ودعاوى الأنبياء هو الدعوة الى الله) (٢) لأنه (وقبل أى شيء أراد سبحانه أن يعبد في الأرض كما عبد في السماء فقال سبحانه :

" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ " (٣)

من أجل هذه الحقيقة تكرر النداء للأمم أن تعبد الله وحده) .(٤)

---

(١) رسالة التوحيد ،تحقيق محمد أبو ريه ص ٦٩.
(٢) أحمد بهجت ص ٥١.
(٣) سورة الذاريات آية ٥٦.
(٤) سيرة نبي الهدى والرحمة / عبد السلام هاشم حافظ ص ١٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فجاء على لسان أول رسول قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ " (١)

كما جاء على لسان آخر رسول قوله تعالى :

" قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ " (٢)

فلا تقف مهمة الرسل عند بيان الحق وابلاغه ،بل عليهم دعوة الناس الى الأخذ بدعوتهم والاستجابة لها ،وتحقيقها في أنفسهم اعتقادا وقولا وعملا وهم في ذلك ينطلقون من منطلق واحد :

" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ " (٣)

وقد بذل الرسل في سبيل دعوة الناس الى الله جهودا عظيمة ،وحسبنا في هذا أن نقرأ سيرة الأنبياء في القرآن الكريم كله فهو يوضح الجهد الذى بذلوه على مدار حياتهم باستعمال أساليب الدعوة كلها محاولين تفتيح العقول وتوجيهها الى ما في الكون من آيات ،بغض النظر عن اعراضهم). (٤)

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٩.

(٢) سورة غافر آية ٦٦ .

(٣) سورة النحل آية ٣٦.

(٤) الرسل والرسالات / عمر سليمان الأشقر ص ٤٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢ - الانذار والتبشير :

ما بُعث الرسل الالتقويم حياة الناس واصلاح معوجها والوصول بهم الى بر الأمان ، وهذا وسيلته التبشير والانذار (فأول الأمر في أصول وظيفة الرسل هو ، تحقيق كلمة " لا اله الاالله " ثم تبشير الناس بحسن العاقبة لمن يعمل منهم الصالحات وانذار الناس بسوء العاقبة لمن يكفر منهم بالله وبتشريعاته ، ويفسد في الأرض)[١].

ولوجود هذا الارتباط بين أصل وظيفتهم وبين التبشير والانذار فقد جعل القرآن مهمة الرسل أحيانا مقتصرة على هذا الجانب العام ، فقال تعالى :

" وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ "[٢]

وتبشير الرسل وانذارهم دنيوى وأخروى (لانه كما أسلفنا لا سبيل الى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة الا على أيديهم ولا سبيل الى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل الا من جهتهم ولا ينال رضا الله البته الا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس الا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز

---

(١) الأنبياء في القرآن / سعد صادق محمد ص ٢٨.

(٢) سورة الكهف آية ٥٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أهل الهدى من أهل الضلال)(١) فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة

" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً "(٢)

وقوله تعالى :

" فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ "(٣)

ويعدونهم بالعز والتمكين والأمن :

" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا "(٤)

ويخوفون العصاة بالشقاء الدنيوى :

" وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا "(٥)

ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوى :

" فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ "(٦)

وفي الآخرة يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها :

" وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ "(٧)

ويخوفون المجرمين والعصاة عذاب الله في الآخرة :

" وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ "(٨) (٩)

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ، ابن قيم الجوزية جـ١ ص ١٥.
(٢) سورة النحل آية ٩٧.
(٣) سورة طه آية ١٢٣.
(٤) سورة النور آية ٥٥.
(٥) سورة طه آية ١٢٤.
(٦) سورة فصلت آية ١٣.
(٧) سورة النساء آية ١٤.
(٨) سورة النساء آية ١٤.
(٩) الرسل والرسالات / عمر سليمان الأشقر ص ٤٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومن هنا (فقد جعل الله من حق البشر عليه اذا لم يبعث لهم الرسل يـ يبينون الحق من الباطل والحلال والحرام ،جعل من حقهم أن يطالبوه برفع العذاب عنهم اذا ما انزلقوا الى الذنوب والآثام ،وذلك انجازا لوعـده حيث قال في محكم كتابه :

" وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝ " (١) (٢)

---

(١) سورة الاسراء آية ١٥.

(٢) تاريخ الأنبياء / محمد الطيب النجار ص ١٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٣ - اقامة الحجـــة :

الأصل أن ارسال النبي رحمة (لأن الله لو لم يرسل أنبياءه ورسله لألزم الناس حجته لسببين :

السبب الأول : أخذه العهد عليهم يوم خلق الخلق وهم ذرات في ظهر أبيهم.

السبب الثاني : حديث الله الرحيم المستمر الى الناس ، وآياته في الكون وفي أنفسهم .. ولو تأمل الانسان تنفسه فحسب . لو أدرك أنـــه يعيش في كل نفس عالة على هواءٍ خَلَقهُ الله.. لو أدرك الانسان هذا لأدرك أن الحجة تلزمه دون ما حاجة لارسال الرسل .

وهذه هي الفطرة ما لم تتلوث ، واذن - لا تفسير لارسال الأنبيـاء غير الرحمة .. محض كرم من الله ورحمته أنه أرسل أنبياءه ، ومحض كـــرم من الله ورحمته أنه قضى القضاء الرحيم التالي :

" وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ " (١) (٢)

لأنه لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى ، فالله جل جلاله يقول :

" رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ " (٣)

---

(١) سورة الاسراء آية ١٥.

(٢) الله في العقيدة الاسلامية / أحمد بهجت ص ٥٢.

(٣) سورة النساء آية ١٦٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد أخبر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أنه تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام حتى يبشروا من أطاع بخيرات طاعته ، وينذروا من خالف وكذب رسله بعقاب وعذاب ربه ، وذلك حتى لا يكون لمعتذر عذر يعتذر به يوم القيامة ، يقول الامام ابن جرير (أرسل الله تعالى رسلا الى عباده مبشرين ومنذرين لئلا يحتج من كفر به تعالى وعبد الأوثان والأصنام من دون الله ، أوضل عن سبيله ، بأن يقول إن أراد الله عقابه : يا رب لو أرسلت الينا رسولا في الدنيا كنا قد اتبعناه ، وبذلك قطع الله عز وجل عذر كل مبطل ملحد في توحيد الله تعالى وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة ، لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه)[١] يقول سبحانه وتعالى في ذلك :

" وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ "[٢]

فبين (لنا سبحانه وتعالى الحجة التي كانت تكون للناس عليه لو عذبهم دون انذارهم على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام)[٣] لذلك كانت القاعدة العامة :

" وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ "[٤]

وهنا يظهر (كمال ربوبيته وكمال حكمته وعلمه وعدله ورحمته فيعلم اعداؤه أنهم كانوا هم المفترين الكذابين لا رسله البررة الصادقون)[٥] .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ٦ ص ٣٠ .

(٢) سورة طه آية ١٣٤ .

(٣) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم / أبي السعود ، جـ١ ص ٢٥٦ .

(٤) سورة الاسراء آية ١٥ .

(٥) زاد المعاد في هدى خير العباد / ابن قيم الجوزية جـ١ ص ١٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتتمة لما سبق يقول ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل ، من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه ". (١)

(ولذلك فان الذين يرفضون اتباع الرسل ويعرضون عن هديهم لا يملكون الا الاعتراف بظلمهم اذا وقع بهم العذاب في الدنيا :

" وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ " (٢)

وفي يوم القيامة عندما يساقون الى مصيرهم الأسود الكئيب فيضجون في النار بعد أن يحيط بهم العذاب من كل جانب ، ينادون ويصرخون ، فيقول لهم خزنة النار :

" أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ " (٣) (٤) .

---

(١) صحيح البخارى جـ٨ كتاب التوحيد باب ٢٠ " قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شخص أغير من الله " ص ١٧٤ ، صحيح مسلم جـ٤ كتاب التوبة باب غيرة الله وتحريم الفواحش حديث رقم ٣٥ ص ٢١١٤ .

(٢) سورة الأنبياء آية ١١-١٥ .

(٣) سورة غافر آية ٥٠ .

(٤) انظر الرسل والرسالات / عمر سليمان الأشقر ٥٢-٥٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث السادس :

الإيمان باليوم الآخر .

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

التمهيد : معنى الإيمان باليوم الآخر .

المطلب الأول : بعض من أسماء ذلك اليوم .

المطلب الثاني : بعض من مشاهد ذلك اليوم .

المطلب الثالث : حياة البرزخ (عذاب القبر) .

المطلب الرابع : جانب من الرد على منكري البعث .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث السادس

الايمان باليوم الآخـــــر

تمهيد : معنى الايمان باليوم الآخر :

الايمان باليوم الآخر هو : (الايمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت ، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، والبعـــث والحشر ، والنشر ، والصحف ، والميزان ، والحساب ، والصراط ، والحـــــوض ، والشفاعة ، وأحوال الجنة والنار ، وما أعد الله لأهلهما اجمالا وتفصيلا)(١).

وقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغا بتقرير حقيقة اليوم الآخر ، وما يكون فيه ، ثم ما يتبعه ، ودعم الايمان به في القلوب بوصفه ركنـــا من أركان العقيدة الاسلامية (وبخاصة في الآيات المكية حيث نجد سورا أو آيات من سور تنفرد بالاخرة تعريفا بها وتعظيما لها ، تذكيرا وتقريرا وترغيبا وترهيبا ، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه ، ولو في اشارة أو تلميح مع تقريبه الى الأذهان تارة بالحجة والبرهان ، وتارة بضرب الأمثال ، وكثيرا ما يتحدث عن الدنيا وكأنها ماض كان ، والأخرى كأنها الحاضر الآن .

وينتقل الكلام فجأة من الوصف المجرد الى الحوار الفني فيخيل الى السامع أن المشهد حاضر يوجه فيه الخطاب ، وذلك للتأثير في النفوس)(٢) .

" وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ "(٣)

---

(١) الأسئلة والأجوبة الأصولية / عبد العزيز المحمد السلمان ص ٢٦١ .

(٢) عقيدة البعث في الاسلام ، التهامي انقرة ص ١٠٦ .

(٣) سورة الزمر آية ٧١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كما تجلى هذا في ربط الايمان باليوم الآخر بالايمان بالله ، وكثيرا ما يلاحظ هذا الربط في القرآن الكريم كقوله تعالى :

" لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ " (١)

وقال أيضا :

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ " (٢)

وفي خواتيم البقرة آية جامعة تجمل الأركان الخمسة ، قال تعالى :

" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ " (٣)

والمصير الذى اختتمت به الآية هو صفة من صفات اليوم الآخر الكثيرة جدا والتي اشتهر بها حتى غدت أسماء وأعلاما ، والتي منها :

اليوم الآخر أو الحياة الآخرة ، ويوم القيامة ، ويوم الفصل ، ويوم الدين ، ويوم الحساب ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ، والساعة ، والغاشية ، والطامة ، والحاقة ، وكذا الواقعة ، والصاخة ، الى غير ذلك من الأسماء والصفات الكثيرة ، يقول الامام القرطبي (٤) في ذلك (وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه وهذا جميع كلام العرب ، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه ، وتأكد نفعه لديهم ، ووقعه جمعوا له خمسمائة اسم ،

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٦٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصارى الخزرجي ، أبو عبد الله القرطبي ، الامام العالم الجليل ، الفقيه المفسر ، المحدث وكان من عباد الله الصالحين ، والعلماء الزاهدين في

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وله نظائر . فالقيامة لما عظم أمرها ، وكثرت أهوالها ، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة)(١).

المطلب الأول : بعض من أسماء ذلك اليوم -

لقد كان لسورة غافر نصيب من هذه الأسماء والصفات ، أورد الامام القرطبي ثمانية منها في تذكرته وهي :

١ - يوم التلاق :

قال تعالى :

" رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ "(٢)

واللقاء (مقابلة الشيء ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما ، يقال لَقِيهُ يَلْقَاهُ لِقَاءً ولُقْيًا ولُقِيةً ، ويقال ذلك في الادراك بالحس وبالبصر وبالبصيرة)(٣) (ويوم التلاق : اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده . وقال ابن جريج : قال ابن عباس رضي الله عنهما : يلتقي فيه آدم وآخر ولده ، وقيل : يلتقي فيه العباد ، وقيل : يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والخالق والخلق وقيل يلتقي الظالم والمظلوم)(٤). وقيل المقصود به (لقاء الأموات بمن سبقهم الى الممات فيسألونهم عن أهل

=== الدنيا ، المشتغلين بأمور الآخرة ، قال الذهبي " امام متقن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على امامته وكثرة اطلاعه ووفور عقله ، توفي سنة ٦٧١ هـ (انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣٣٥ ، طبقات المفسرين ٢/ ٦٥).

(١) التذكرة / القرطبي ص ٢٦٠ .

(٢) سورة غافر آية ١٥ .

(٣) المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني ص ٤٥٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٧٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الدنيا ، وقيل لقاء الانسان بعمله)[١] وقد يقال (ان يوم التلاق يشمل هذا كله)[٢].

٢ - يوم الجزاء :

الجزاء :الفناء والكفاية ،والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة ان خيرا فخير وان شرا فشر[٣] ، ومنه قوله تعالى :

" ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ "[٤]

فيخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر ،بل يجزى بالحسنة عشر أمثالها ،وبالسيئة واحدة ،ولهذا قال تبارك وتعالى :

" لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ "[٥]

٣ - يوم الآزفة :

الآزفة : (اسم من أسماء يوم القيامة ،وسميت بذلك لاقترابها ، كما قال تعالى :

" أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ "[٦][٧])

---

(١) التذكرة / القرطبي ص٢٧٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ٤ ص ٧٥.
(٣) المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني ص ٩٣.
(٤) سورة غافر آية ١٧.
(٥) تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ٤ ص ٧٥.
(٦) سورة النجم آية ٥٧-٥٨.
(٧) تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ٤ ص ٧٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(ويقال أزف اعتبارا بضيق وقتها ، والأزف : ضيق الوقت ، وسميت به لقرب كونها ، وعلى ذلك عبر عنها بساعة) (١) يقول الامام القرطبي : (وهي قريبة جدا ، وكل آت قريب ، وما يستبعد الرجل من الساعة ومدته ساعة) . (٢)

٤ - يوم الحساب :

قال تعالى :

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (٣)

(ومعناه أن البارئ يعدد على الخلق أعمالهم من احسان واساءة ، يعدد عليهم نعمه ، ثم يقابل البعض بالبعض ، فما يشف (٤) منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر) . (٥)

٥ - يوم التناد :

قال تعالى على لسان مؤ من من آل فرعون : (٦)

" وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ "

---

(١) المفردات / الراغب الأصفهاني ص ٧١٠ .

(٢) التذكرة / القرطبي ص ٢٧٧ .

(٣) سورة غافر آية ٢٧ .

(٤) الاشتفاف : شرب كل ما في الاناء والمقصود بقوله " فما يشف منها " أى ما يتبقى عليه بعد وزن الأعمال (انظر مختار الصحاح / الرازى ص ٣٤٢) .

(٥) التذكرة / القرطبي ص ٢٥٦ .

(٦) سورة غافر آية ٣٢- ٣٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(والنَّدّ بتخفيف الدال من النداء وتشديدها من نَدَّ اذا ذهب)[١] ، أي يَنِدّ بعضهم من بعض ، نحو : " يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ "[٢] [٣])

وهو قوله تعالى : (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ)

وهو الذهاب في غير قصد .[٤]

(وسمي بذلك كما قال بعضهم : لما جاء في حديث الصور أن الأرض اذا زلزلت وانشقت من قطر الى قطر ، وماجت وارتجت ، فنظر الناس الى ذلك ذهبوا هاربين ينادى بعضهم بعضا .

وقال آخرون : بل ذلك اذا جيء بجهنم ذهب الناس هربا منها ، فتتلقاهم الملائكة فتردهم الى مقام المحشر ، وقيل : لأن الميزان عنده ملك اذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وان خف عمله نادى ألا قد شقي فلان بن فلان وقيل : يُنَادَى كل قوم بأعمالهم يُنَادِى أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار .

وقيل : سمى بذلك لمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الأعراف ، واختار البغوى[٥] وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك ، وهو قول حسن جيد والله أعلم)[٦] .

---

(١) التذكرة / القرطبي ص ٢٦٩ .
(٢) سورة عبس آية ٣٤ .
(٣) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٤٨٦ .
(٤) التذكرة / القرطبي ص ٢٦٩ .
(٥) هو ابراهيم بن هشام بن الحسين بن هاشم ابو اسحاق المعروف بالبغوى والمتوفى سنة ٢٩٧ (انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٦/ ٢٧٣) .
(٦) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٦ - الساعة :

قال تعالى :

" وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ " (١)

وقال :

" إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ " (٢)

(وحقيقة الاطلاق فيها أن الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذى أتت فيه ، وهو المسمى بالآن ، وسميت به القيامة .

إما لقربها : فان كل آت قريب .

وإما أن تكون سميت بها تنبيها على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام .

وقيل انها سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة ، الى غير ذلك من الاقوال) . (٣)

٧ - يوم يقوم الأشهاد "يوم الشهادة" :

قال تعالى :

" إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ " (٤)

وهذه الشهادة على أنواع :

الأول : شهادة محمد وأمته تحقيقا لشهادة الرسل على أقوامها .

---

(١) سورة غافر آية ٤٦ .

(٢) سورة غافر آية ٥٩ .

(٣) انظر التذكرة / القرطبي ص ٢٦٢ .

(٤) سورة غافر آية ٥١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : شهادة الأرض والأيام والليالي بما عمل فيها وعليها .

الثالث : شهادة الجوارح.

الرابع : شهادة الأمم بعضها على بعض)[١] .

٨ - " يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم " :

قال تعالى :

" يَوْمَ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ "[٢]

وإن أذن لهم بأن يمكّنوا منها - أي المعذرة - لا بأن يقال لهم اعتذروا لقوله : " رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا "[٣]

وقوله : " رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا "[٤] [٥])

وقال ابن كثير المقصود بهم المشركون)[٦] .

ويشير الامام القرطبي الى أن هناك أسماء أخر لم يتعرض لها حين قال (ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكرنا ،بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والتضايق واختلاف الأقدام والخزى والهوان والذل والافتقار والصغار والانكسار ويوم الميقات والمرصاد ،الى غير ذلك من الأسماء)[٧] .

---

(١) التذكرة / للقرطبي ص ٢٧٣ .
(٢) سورة غافر آية ٥٢ .
(٣) سورة الأحزاب آية ٦٧ .
(٤) سورة المؤمنون آية ١٠٧ .
(٥) التذكرة / القرطبي ص ٢٨١ .
(٦) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٨٥ .
(٧) التذكرة /القرطبي ص ٢٨٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد أشارت سورة غافر الى بعض منها :

كيوم البروز :

" والبَرَاز الفضاء ، وبَرَزَ : حصل في بَرَاز ، وذلك إما أن يظهر بذاته ، وإما أن ينكشف عنه ما كان مستورا منه (١) ، ومنه قوله تعالى :

" يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۖ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ " (٢)

أى ظاهرون بادون كلهم ، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم) . (٣)

ودار القرار :

قَرَّ في مكانه يقر قرارا : اذا ثبت ثبوتا جامدا ، وأصله : من القر وهو البرد ، وهو يقتضي السكون (٤) ومنه قوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون :

" يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ " (٥)

والدار الآخرة :

(وآخِر : يقابل به الأول ، ويُعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يُعبر بالدار الدنيا عن النشأة الاولى نحو :

" وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ " (٦)

وربما ترك ذكر الدار) (٧) نحو قوله :

" لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ " (٨)

---

(١) المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني ص ٤٣٠
(٢) سورة غافر آية ١٦ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ٤ ص ٧٥ .
(٤) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٣٩٧ .
(٥) سورة غافر آية ٣٩ .
(٦) سورة العنكبوت آية ٦٤ .
(٧) المفردات / الاصفهاني ص ١٣ .
(٨) سورة غافر آية ٤٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثالث : بعض من مشاهد ذلك اليوم

(لقد عني القرآن بمشاهد اليوم الآخر ، فلم يعد ذلك العالم الذى وعده الناس بعد هذا العالم موصوفا فحسب ،بل عاد مصورا محسوسا وحيا متحركا وبارزا شاخصا ،وعاش المسلمون فيه ، فرأوا مشاهده ،وتأثروا بها ،وخفقت قلوبهم تارة ،واقشعرت جلودهم أخرى ، وسرى في نفوسهم الفزع مرة ،وعاودهم الاطمئنان أخرى ،ولفحهم من النار شواظ، ورف اليهم من الجنة نسيم ،ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم قبل اليوم الموعود وقد أضحى لديهم واضحا وضوح العقيدة الاسلامية : موت وبعث ونعيم وعذاب ،لأن هذه الحقيقة الواضحة يعرضها القرآن في صور شتى وترتسم في عالم حافل بالمشاهد المنتزعة من عالم الأحياء ، وتتراءى في عديد الألوان والأشكال والسمات :فتؤلف بذلك ملاحم فنية رائعة ، تتملاها النفس ،ويتابعها الخيال ويستغرق فيها الحس) .(١)

فعل القرآن الكريم كل ذلك لأنه أراد أن يؤكد في أذهان البشر حقيقة واقعة عن الجنة ومتعها ونعيمها وأحوالها و عن النار وعذابها وشدتها وأهوالها ،حتى يتسنى للانسان أن يقف على صورة قريبة من ذلك ،وللانسان أن يتصور مدى الفارق بين الحقيقة والمثل أو الصورة) .(٢)

وقد رسمت لنا سورة غافر بعض المشاهد التي تصف هول ذلك اليوم وذلك من خلال عرضها لأحوال أهل النار وعذابهم ،فهم يساقون الى

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن / سيد قطب ص ٣٨- ٣٩ .
(٢) يوم القيامة / عبد الرزاق نوفل ص ١٥٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النار سوقا وهم مكبلون بالسلاسل والأغلال تسوقهم الزبانية ، قال تعالى :

" إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ " (١)

فاذا ما سيقوا الى هناك ، واستقروا بدأوا بالقاء اللوم على بعضهم بعضا ، قال تعالى : " وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ " (٢)

واذا بهم بعد طول العذاب وتواصله والذى لم يفتر عنهم لحظة واحدة ينادون خزنة النار ، يريدون الموت ولا موت حتى اذا يئسوا وتيقنوا أنه لا موت ينادون يطلبون تخفيف العذاب يوما فلا يخفف عنهم :

" وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ " (٣)

وكذلك رسمت لنا سورة غافر بعضا من الصور لأحوال أهل النار وعذابهم في قبورهم قبل البعث والحساب والجزاء ، وهي بذلك :

- تؤكد عقيدة هامة فيما يتعلق بحياة البرزخ ، وهي عذاب القبر .

---

(١) سورة غافر آية ٧١-٧٢ .

(٢) سورة غافر آية ٤٧ - ٤٨ .

(٣) سورة غافر آية ٤٩ - ٥٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثالث : حياة البرزخ (عذاب القبر)

قال تعالى في سورة غافر :

" فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ "(١)

قال ابن القيم (هي دليل على عذاب البرزخ ،فقد ذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره).(٢)

كما ذكر السيوطي (٣) عن الكرماني : (أن هذه الآية أدل دليل على عذاب القبر ،لأن المعطوف غير المعطوف عليه).(٤)

وقال ابن كثير (هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور)(٥) ولكن هناك ما تجدر الاشارة اليه في هذا الموضع وهو أن هذه الآية مكية والحديث حول عذاب القبر كان في المدينة بعد ذلك ولم يكن معروفا قبلها ،كما يفهم من الحديث

---

(١) سورة غافر آية ٤٥-٤٦.

(٢) الروح / ابن قيم الجوزية / تحقيق ودراسة السيد الجميلي / ص ١٣٢.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي ، المجتهد ،الامام الكبير ،صاحب التصانيف ،الشافعي ،قال الشوكاني : " حفظ القرآن وبرز في جميع الفنون ،وفاق الاقران ..... وذكر العلماء " أن مؤلفاته بلغت ست مائة مؤلف في العلوم المختلفة ،توفي سنة ٩١١هـ .
(انظر ترجمته في الضوء اللامع ٤/ ٦٥ ،شذرات الذهب ٨/ ٥١).

(٤) الإكليل في استنباط التنزيل / السيوطي ص ١٨٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٨١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الذى أورده ابن كثير عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها اليها شيئا من المعروف الا قالت لها اليهودية " وقاك الله عذاب القبر " قالت عائشة رضي الله عنها : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم " لا " من زعم ذلك ؟ قالت : هذه اليهودية لا أصنع اليها شيئا من المعروف الا قالت " وقاك الله عذاب القبر" قال صلى الله عليه وسلم : كذبت يهودية وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم القيامة ،ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ،فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادى بأعلى صوته " القبر كقطع الليل المظلم " أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلا ،أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر ، فان عذاب القبر حق ". (١)

والسؤال هو : كيف نجمع بين أحداث الحديث التي تمت في المدينة وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨١ ، والحديث أورده البخارى في صحيحه جـ٣ كتاب الكسوف ،باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف ص ٢٦ ، " قريبا منه " وباب صلاة الكسوف في المسجد ص ٢٩ ،مسند الامام أحمد جـ٦ (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ص ٨١ " بلفظه ". سنن النسائي جـ٤ كتاب الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر ص ١٠٤- ١٠٥ "، " قريبا منه ".

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(والجواب : أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوا وعشيا في البرزخ ، وليس فيها دلالة على اتصال تالمها باجسادها في القبور اذ قد يكون ذلك مختصا بالروح ، فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسبب فلم يدل عليه الا السنة) (١) في الأحاديث الآتي ذكرها والله أعلم.

ولم تنفرد سورة غافر بالاشارة الى عذاب القبر ، بل ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع ، والتي منها :

(١) قوله تعالى :

" وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ " (٢)

يقول ابن القيم : (وهذا خطاب لهم عند الموت ، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم : اليوم تجزون) (٣).

(٢) وقوله تعالى :

" فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ " (٤)

قال شارح الطحاوية : (يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا أو أن يراد به عذابهم في البرزخ وهو

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨١.
(٢) سورة الأنعام آية ٩٣.
(٣) الروح ص ١٣٢.
(٤) سورة الطور آية ٤٥ - ٤٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أظهـــر لأن كثيـــرا منهم مات ولم يعذب في الدنيا)[١] (وقد يقال وهو أظهر أن من مات منهم عذب في البرزخ ، ومن بقي منهـــم عذب في الدنيا بالقتل وغيره ، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ)[٢] وقال البراء بن عازب[٣] رضي الله عنهما هو عذاب القبر)[٤].

(٣) قال تعالى : " فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا "[٥]

فعن أبي هريرة رضي الله عنه " قال : المؤمن في روضة ويرحب له قبره سبعون ذراعا وينور له كالقمر ليلة البدر ، أتدرون فيما نزلت هذه الآية " فان له معيشة ضنكا " ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : " عذاب الكافر في قبره " والذى نفسي بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة ".[٦]

---

(١) ابن أبي العز الحنفي ص ٤٤٧.

(٢) الروح / ابن قيم الجوزية ص ١٣٢.

(٣) هو الصحابي الجليل البراء بن عازب بن الحارث الانصارى " أبوعمارة من كرام الصحابة وخيارهم أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فرده عنها لصغر سنه فلم يشهدها ، ثم شهد أحدا وغيرها من المشاهـــد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا من الأحاديث توفى سنة ٧٢ هـ .

(انظر ترجمته في الاصابة ١/ ١٤٤ ، الاستيعاب ١/ ١٣٩).

(٤) لوامع الأنوار البهية / الاسفراييني ص ١٣.

(٥) سورة طه آية ١٢٤.

(٦) سنن الترمذى جـ ٤ كتاب صفة القيامة باب ٢٦ حديث رقم ٢٤٦٠ " من حديث طويل قريب منه " ص ٦٣٩ - ٦٤٠ وقال عنه الترمذى " حديث حسن غريب " ، مسند الامام أحمد جـ ٣ ص ٣٨ مختصرا

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كما تواترت الأحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر والتي منها :

(١) عن أم بشر (امرأة زيد بن حارثة رضي الله عنها) قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في حائط من حوائط بني النجار وفيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية فسمعهم وهم يعذبون ، فخرج وهو يقول :(استعيذوا بالله من عذاب القبر ، قالت : قلت يا رسول الله : وانهم ليعذبون في قبورهم ؟ ، قال : نعم عذابا تسمعه البهائم) .(١)

(٢) ما ورد في الصحيحين عن ابن عباس (٢) " أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول ، وأما الاخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ". (٣)

=== ما نصه (عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تلدغه حتى تقوم الساعة فلو أن تنينا منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضراء ، سنن الدارمي جـ ٢ باب في شدة عذاب النار ، كتاب الرقاق ص ٣٣١ .

(١) أخرجه الامام أحمد وابن أبي شيبة في مصنفه ورجاله رجال الصحيح (انظر الفتح الرباني أبواب البكاء على الميت / باب ما جاء في أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ٨/ ٢٥) .

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم حبر الأمة وترجمان القرآن وأحد الستة المكثرين من رواية الحديث دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ (انظر ترجمته في الاصابة ٢/ ٣٣٠ ، الاستيعاب ٢/ ٣٥٠ ، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٣٢) .

(٣) صحيح البخاري جـ١ كتاب الوضوء باب ما جاء في غسل البول حديث رقم ٢١٨ ص ٣٢٢ بلفظه ، صحيح مسلم ، كتاب نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه جـ٢ ص ٢٠٠ " قريبا منه ".

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(٣) وعن زيد بن ثابت (١) " بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت تلقيه فاذا أقبر ستة أوخمسة أو أربعة ،فقال من يعرف أصحاب هذه القبور ؟ فقال رجل : أنا ، قال:فمتى مات هؤلاء ؟ قال ماتوا في الاشراك ،فقال ان هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار ، قالوا نعوذ بالله من عذاب النار قال تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ،قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ،قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال ،قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال." (٢) الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تنص على عذاب القبر وتثبته .

---

(١) هو الصحابي زيد بن ثابت بن الضحاك أبو سعيد الأنصارى البخارى المدني ،كاتب الوحي ،أسلم قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة ،واستصغره النبي يوم بدر ،وشهد أحدا والخندق ومابعدها مع رسول الله ،كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب له المراسلات الى الناس ،ثم كتب لأبي بكر وعمر في خلافتهما ،وكان عمر وعثمان يستخلفانه اذا حجا ، توفي بالمدينة سنة ٥٤ هـ وقيل غير ذلك (انظر ترجمته في الاصابة ١/ ٥٦١، الاستيعاب ١/ ٥٥١ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠).

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب ١٧ ، عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه " واثبات عذاب القبر والتعوذ منه جـ ٤ ص ٢١٩٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولكن بعد هذا العرض لهذه الآيات والأحاديث ما الحكمة في أن عذاب القبر لم يذكر في القرآن صريحا مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذره الناس ويتقى ؟

أجاب ابن القيم رحمه الله عن ذلك قائلا (ان جواب هذا السؤال من وجهين : مجمل و مفصل .

أما المجمل : فهو أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين وأوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب و الحكمة قال تعالى :

" وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ " (١)

وقال :

" هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ " (٢)

كما قال تعالى :

" وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ " (٣)

أى أنه ما دام قد ذكر في السنة فكأنه ذكر في القرآن فالمصدران هما وحي من الله عز وجل ، أنزلهما على رسوله و نحن مأمورون بالايمان بهما معا .

فابن القيم رحمه الله قال بهما معا : فالكتاب هو القرآن ، والحكمة هي السنة ، باتفاق السلف ، وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب

---

(١) سورة النساء آية ١١٣ .
(٢) سورة الجمعة آية ٢ .
(٣) سورة الأحزاب آية ٣٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تصديقه والايمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله ، فهذا أصل متفق عليه بين أهل الاسلام لا ينكره الا من ليس منهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " اني أوتيت الكتاب ومثله معه ".(١)

وأما الجواب المفصل ، فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع)(٢) ثم شرع رحمه الله يسرد الآيات ، والتي منها ماذكرناه سابقا أو ما أشرنا اليه في الهامش ، مبينا مواضعها في القرآن مع التعليق عليها الى آخر الفصل .

والمتأمل لأحاديث عذاب القبر ونعيمه يجدها تفصيلا وتفسيرا لما دل عليه القرآن الكريم .

(تخصيص آل فرعون بالعذاب)

كان لآل فرعون نتيجة كفرهم واصرارهم على التكذيب والعناد ، حظ وافر من ذلك العذاب حتى أنهم خصوا به من دون غيرهم ، وهذا ما أثبتته سورة غافر ، قال تعالى :

" فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ "(٣)

وهذا العذاب أكده حديث رسول الله .

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٣ ص ٣٦٧ ، جـ٤ ص ١٣١-١٣٢ ، من حديث المقدام بن معديكرب الكندي ، سنن أبي داود جـ٤ كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث رقم ٤٦٠٤ ص ٢٠٠ .
وقال صاحب الفتح الرباني معلقا : رواه الترمذي وقال حسن غريب ، وسكت عليه ابو داود وهو لا يسكت الا على صالح للاحتجاج به ، ورواه احمد باسناد جيد ، وقال في النيل (يعني نيل الاوطار) هو حديث صحيح .
(انظر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب الاعتصام بسنته صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه ١/ ١٩٢

(٢) الروح / ابن قيم الجوزية ص ١٣٢ .

(٣) سورة غافر آية ٤٥-٤٦

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ففي حديث الاسراء الذى أورده ابن كثير في تفسيره عن أبي سعيد الخدرى (١) رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه " ثم انطلق بي الى خلق كثير من خلق الله رجال ،كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم ،مصفدون على سابلة آل فرعون ،وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا :

" وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝ "

وآل فرعون كالابل المسوقة يتخبطون الحجارة والشجر لا يعقلون (٢).

كما أكده المفسرون ،فعن ابن مسعود قال " ان أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح بهم في الجنة ،وان أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو على جهنم فذلك عرضها ". (٣)

وتتمة لذلك فقد أورد ابن كثير عن ابن جرير قال " سمعت الأوزاعي (٤)

---

(١) هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان ،أبو سعيد الخدرى الأنصارى الخزرجي ،استصغر يوم أحد ، فرد ،ثم غزا بعد ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة غزوة ،وروى عنه الكثير من الأحاديث ،قال ابن عبد البر .. كان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم ،توفي سنة ٧٤ هـ وقيل غير ذلك (انظر ترجمته في الاصابة ٢/ ٣٥ ،الاستيعاب ٢/ ٤٧ ، صفة الصفوة ١/ ٧١٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٢.

(٣) الاكليل في أسرار التنزيل / السيوطي ص ١٨٩ .كما أخرج ابن جرير نحوه دون ذكر لارواح الشهداء في جامع البيان في تفسير القرآن ١١/ ٤٦.

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ،أبو عمرو الأوزاعي ،امام أهل الشام ،قال ابن حبان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وحفظا ، وفضلا ،وضبطا مع زهاده " وكان إماماً في الحديث ،وكان يسكن بيروت وهو من تابعي التابعين ،توفي سنة ١٥٧ هـ ببيروت (انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٨ ،وفيات الأعيان ٢/ ٣١٠ ، طبقات الحفاظ ص ٧٩).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سأله رجل فقال : رحمك الله رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب، بيضاء ، فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله عز وجل ، فاذا كان العشى رجع مثلها سوداء قال : وفطنتم الى ذلك ؟ قال : نعم ، قال : ان ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى وكورها وقد احترقت أرياشها وصارت سوداء ، فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ، ثم تغدو على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى وكورها ، فذلك دأبهم في الدنيا ، فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى :

" أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝ " (١)

وعلى هذا :

فالنتيجة التي نصل اليها في خاتمة هذا البحث هي أنه :

(قد توافرت الأخبار في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والايمان به ، ولا نتكلم في كيفيته ، اذ ليس للعقل وقوف على كيفيته ، لكونه لا عهد له به في هذا الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول) . (٢)

(فمذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم أو في عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه (٣) وأن الروح تبقى بعد

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / ابن ابي العز الحنفي ص ٤٥٠ .

(٣) ويرى ابن تيميه رحمه الله أن عذاب القبر يقع على الروح والبدن معا ، فقال رحمه الله " فقد صح الحديث باعادة الروح الى الجسد وباختلاف أضلاعه وهذا بين في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين (مجموع الفتاوى ٢٨٩/٤١١) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مفارقة البدن منعمة أو معذبة ،وأنها تتصل بالبدن أحيانا ويحصل له معها النعيم أو العذاب ،ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح الى الأجسام وقاموا من قبورهم لرب العالمين)(١).

وبذلك نعلم أن (كل من مات وهو مستحق للعذاب نالـــه نصيب منه ، قبر أولم يقبر ،أكلته السباع ، أواحترق حتى صار رمادا أو نسف في الهواء ،أوصلب أو غرق في البحر ،وما ورد من عذابه ونعيمه يجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم من غير غلو ولا تقصير .

فالله قد ركب الانسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان ، والأرواح تبع لها ،وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ،والأبدان تبع لها ، فاذا جاء يوم حشر الأجساد وقام الناس من قبورهم صـــار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا ،فاذا تأملـــت هذا المعنى حق التأمل ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنـــة ، أوحفرة من حفر النار مطابق للعقل ، لأنه حق لا مرية فيه ،بهذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم .

ويجب أن يُعلم أن النار التي في القبر ،والنعيم ،ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها ،وان كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها ،بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما الى جنب صاحبه ،وهذا في حفرة من النار ،والثاني في روضة من رياض الجنة ، لا يصل من هذا الى جاره شيء من حر ناره ،ولا من هذا الى جاره شيء من نعيمه ، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب ،ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما .

---

(١) الروح لابن قيم الجوزية ص ٩٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير ، واذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه و غيبه عن غيره ، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والايمان بالغيب ، ولما تدافن الناس كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم " لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع "(١) . ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعته وأدركته(٢) . أعاذنا الله من عذاب القبر ، ومَنَّ علينا بالنجاة ، انه على كل شيء قدير .

---

(١) صحيح البخارى جـ١ كتاب الوضوء باب ما جاء في غسل البول حديث رقم ٢١٨ ص ٣٢٢ ، صحيح مسلم ، كتاب نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه جـ٣ ص ٢٠٠ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي / ص ٤٥١-٤٥٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الرابع : جانب من الرد على منكرى البعث .

قضية البعث واعادة الحياة الى الموتى بعد تفتت تلك الأجساد واختلاطها بأجزاء الأرض من معضلات العقيدة ، شأنها في ذلك شأن قضية الوحدانية في الغرابة والاستبعاد ، ومن أجل ذلك سلك القرآن الكريم لاثباتها مسالك مختلفة في طريقة العرض والاستدلال . وقد تجلى مسلك القرآن الكريم في عرضه للقضية بأسلوبه الفطرى السهل الواضح ، لأنه خطاب للفطرة البشرية بما هو في متناول ادراكها ، فقد عني القرآن الكريم بقضية البعث عنايته بقضية الوحدانية ، فكما تعددت الآيات الدالة على اثبات الوجود الالهي ووحدانيته ، فقد كثرت الآيات التي تقرر البعث وتؤكد وقوعه ، فنحن نجد القرآن تارة يعرض شبهة المنكرين ، ثم يرد عليها ويظهر بطلانها (١) ، وأخرى يذكر الدليل على البعث أولا وبعد أن يتقرر ويتضح يورد القضية (٢) ، وحينا يخبر عن وقوع البعث والجزاء خبرا قاطعا مع طي الدليل وعدم ذكره لوضوحه (٣) . ومما لا شك فيه أنه لا سبيل الى استيعاب هذا المبحث الكبير في هذه المجالة وانما من حق البحث علينا أن نقف حيث وقفت بنا سورة غافر والتي هي لب بحثنا ، قال تعالى في سورة غافر :

" لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ " (٤)

---

(١) كما في سورة ق آية ١-١١ .

(٢) كما في سورة المؤمنون من آية ١٢ : ١٦ وسورة الرعد من ٣-٥ وسورة الحج من ٥ - ٧ .

(٣) كما في الجاثية آية ٢١ ، وكما في سورة سبأ من ٣-٥ والتغابن آية ٧ .

(٤) غافر آية ٥٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالآية تعرض نوعا من أنواع الأدلة الحسية المشاهدة الدالة على كمال قدرته سبحانه فقال تعالى منكرا عليهم عدم اعتبارهم بهذه الأدلة المشهودة على القدرة الالهية على البعث ،فأمامهم السموات والأرض والتي يعتبر خلقها أكبر من خلق الانسان :

" أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ " (١)

فهذه السماء التي يدرجون تحتها ألا ينظرون الى ابداعها وحسنها واحكام بنائها وما زينت به من كواكب ثابتة وسيارة ، ألم يأخذوا منها دليلا على القدرة المبدعة التي لا يعجزها شيء ؟

وهذه الأرض التي يسعون عليها أفلا ينظرون اليها كيف مدت لهم، وأرسيت بالجبال لئلا تضطرب بهم ، وما أنبت فيها من الأنواع المختلفة الطعوم والأشكال رزقا للعباد ؟ يقول تعالى :

" وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ " (٢)

وقال :

" وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ " (٣)

(فهذا مثل ضربه الله لمنكرى البعث بما يشاهدونه من حال الأرض قبل نزول المطر عليها وهي جدباء مقفرة وحين ينزل عليها الماء تهتز وتربو فتنبت من كل زوج بهيج أى حسن المنظر ، وذلك بعدما كانت يابسة لا نبات فيها فأصبحت تهتز خضراء) . (٤) انه مثال للبعث والاحياء بعد

---

(١) سورة ق آية ٦.

(٢) سورة الحجر آية ١٩.

(٣) سورة ق آية ٩ــ ١١.

(٤) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ /ص ٢٢٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الموت ، ولذلك يقول جل شأنه " كذلك الخروج " أى مثل ذلك الاخراج للنبات من الأرض ، يحيى الله الموتى فيخرجهم من قبورهم أحياء للحساب والثواب والعقاب .

فلهذا المشاهد المحسوس من آثار قدرته تعالى أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث لخلق السماء والأرض ، قال تعالى :

" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ " (١)

فالذى خلق السموات وما شملته من أفلاك لا يحيط بها البصر ادراكا ولم يعلم مقدار سعتها وعظمتها الا خالقها ، يرفعها بأمره ويمسكها بقدرته أن تزول ، بحكمة البناء لا شقوق فيها ولا تصدع ، قال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ " (٢)

فهذه الآيات الكونية العلوية منها والسفلية تهدى المتفكر فيها ، المستعمل لعقله الفطرى الذى فطره عليه خالقه ، على أنها قد أوجدت وأحكمت ونظمت بتدبير حكيم حليم ، قادر ، تقتضي حكمته رجوع الخلائق اليه ، وملاقاتهم له ، وتدل دلالة واضحة على أن من طلب دليلا غير هذه الأدلة على قدرة الله على اعادته للحياة مرة أخرى تدل على أنه ممن يعجب من قوله ، فخلق السموات والأرض أكبر من خلق الانسان .

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٣ .

(٢) سورة الرعد آية ٢ - ٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

و من هنا نرى أن أولئك المنكرين ليس لديهم حجة يستندون اليها في انكارهم الا الاستبعاد المستند الى الوهم والظن كما قال تعالى :

" وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ "(١)

اذ ليس هناك علم يقيني لامتناع البعث بعد الموت ، وعدم امكانه ، وانما هناك ظن ووهم ناتج عن تكذيبهم بالحق الذى جاءهم من الله تعالى ، فالله هو الحق ، وقوله الحق ، وليس بعد الحق الا الضلال المبين ، ولذلك فان المكذب بالحق مضطرب ، ليس لديه أساس متين يستند اليه ، قال تعالى : " بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ "(٢)

و هذا كفر متأصل في النفوس يستحق أن يقف أصحابه ذلك الموقف الذليل في ذلك اليوم العظيم :

" يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ "(٣)

---

(١) سورة الجن آية ٧ .

(٢) سورة ق آية ٥ .

(٣) سورة غافر آية ١٦-١٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثانى

قضايا الأخلاق فى السّورة

ويشتمل على أربعة مباحث :-

المبحث الأول : تعريف الخلق لغة واصطلاحًا .

المبحث الثانى : صلة الأخلاق بالعقيدة .

المبحث الثالث : الأخلاق الحسنة فى السورة .

المبحث الرابع : الأخلاق السيئة فى السورة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الأول :
تعريف الخلق لغة واصطلاحًا .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفصل الثانـــي

قضايا الأخلاق في الســـورة

المبحث الأول : تعريف الخلق لغة واصطلاحا :

الخلق والخُلُق : السجية ، والخُلُق : الطبيعة ، وفي التنزيـــل : "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" (١)

والخُلُق : المروءة والخُلْق : بضم اللام وسكونها : هو الدين والطبـــع والسجية (٢) ، وقد جمعها صاحب القاموس المحيط فقال : (الخُلْق : السجية والطبع والدين والمروءة) (٣).

والخِلقة : الفطرة ، والخليقة والسليقة بمعنى واحد ، والجمع : أخلاق .

واشتقاق خَلِيق وما أَخْلَقَه من الخلاقة وهي التمرين ، من ذلك أن تقول للذى قد ألف شيئا صار ذلك له خُلُقا أى مرن عليه ، ومن ذلك الخلق الحسن .

ويُقال : أَخْلَق الرجل اذا صار ذا أخلاق ، وفي الحديث " ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق . (٤)

وفلان حَسُنَ الخلق : أى حَسُنَ الصورة والباطنة والهيئة الداخلية له) (٥).

ومن هنا قال صاحب اللسان : (ان حقيقة الخلق هو : صورة الانســـان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخُلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب

---

(١) سورة القلم آية ٤.

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ١٠ ص ٨٦، ٨٧ ، ٩١ .

(٣) الفيروزآبادى جـ٣ ص ٢٢٩ .

(٤) لسان العرب لابن منظور جـ (ص ٩١ . والحديث أخرجه الترمذى في كتاب البر باب ٦١ والذى نصه (ماشيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن) .

(٥) تاج العروس / الزبيدى / جـ٦ ص٣٣٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع ،كما جاءت في ذم سوء الخلق أيضا أحاديث كثيرة).(١)

ومن هذا العرض اللغوى لمفهوم الأخلاق يمكننا استخلاص المعاني التالية :

١ - أن الخلق يطلق على الصفات الفطرية الطبيعية في خلقه الانسان كما يطلق على الصفات التي مرن عليها الانسان واكتسبها فأصبحت أيضا من طبيعته .

٢ - أن للأخلاق جانبين : جانبا باطنيا نفسيا وجانبا ظاهريا سلوكيا .

الخلق في الاصطلاح :

يعرف ابن مسكويه (٢) الخلق فيقول (الخلق : حال للنفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية).(٣)

---

(١) ابن منظور ،جـ١٠ ص ٨٦-٨٧ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه ،كان في شبابه يحيى حياة سادرة لاهية ،يسعى وراء الشهوات الا أنه فطن الى خطورة ما هو فيه عند بدء رجولته ففطم نفسه عن كبر ،وقد كان يوصف بأنه لا أستاذ له ،وانما أستاذه هو اجتهاده ،فطبعه المتأصل : حب الحقيقة والاطلاع الواسع ولقد ساعدته وظيفته في خزائن الكتب على تنمية فكره وتوسيع ثقافته ،واكتسب بهذه الطريقة الكثير من العلوم فبرز في الكيمياء والتاريخ والفلسفة والأدب والشعر توفى سنة ٤٢١هـ (انظر ترجمته في : روضات الجنات ١/ ٧١ ، النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٨ ،معجم الأدباء ٥/ ١٧).

(٣) تهذيب الأخلاق ،ص ٢٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

و قريب منه ما أورده الامام الغزالي (١) في إحيائه حين قال :

إن الخلق (عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة و يسر من غير حاجة الى فكر و روية) . (٢)

هذه الهيئة تحتاج الى تعليم و تبصير أخلاقي ، اذ لا بد من وعي أخلاقي ليدرك الانسان حكمة المبادىء الأخلاقية ، ولا بد من بصيرة أخلاقية يستطيع المرء بها التمييز بين السلوك الخير والسلوك الشرير ، وما يترتب على الفضيلة من الخيرات وما يترتب على الرذائل من مضار و شرور ، (وهذا ما ذهب اليه علماء الأخلاق وأدركوه عندما عرفوا الخلق أنه (عادة الاراده) أوهو (تغليب ميل من الميول على غيره باستمرار) (٣) مدركين و مشيرين الى أهمية التدريب والتمرين على السلوك المعين ، وهذا ما ذهب اليه الاسلام حين تعبد أفراده بالسلوك الكريم والخلق الفاضل جاعلا العقيدة هي الأساس .

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي ، أبو حامد ، الملقب بحجة الاسلام ، قال ابن السبكي " جامع أشتات العلوم ، والمبرز في المنقول منها والمفهوم " ، صاحب التصانيف المفيدة في الفنون العديدة ، توفي سنة ٥٠٥ هـ (انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ، ٦/ ١٩١ - ٣٨٩ ، وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٣ ، شذرات الذهب ٤/ ١٠)

(٢) احياء علوم الدين ٣/ ٥٨ .

(٣) العقيدة والأخلاق / محمد عبدالرحمن بيصار ، ص ٢١٥ ، مقدمة في علم الأخلاق ، محمود حمدى زقزوق ص ١٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثاني :
صلة الأخلاق بالعقيدة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الثاني : صلة الأخلاق بالعقيدة

في البداية نقول ان (القضية الأخلاقية تلتقي مع القضية العقدية في أن كلا منهما تمثل جانبا من جوانب شخصية الانسان وطاقةمن طاقاتـــه الدينية والسلوكية ، و نتيجة لذلك كانت الصلة بينهما وثيقة ، وقامت العلاقة بين العقيدة والأخلاق على أسس نفسية وعوامل بعضها وجداني وبعضها عقلي .

وسواء أخذت العقيدة بمفهومها العام ومحيطها الواسع الشامل لمختلف العقائد الدينية والاجتماعية والسياسية ، أو قصرت على نوع واحد من هذه الأنواع فلا بد أن ينعكس عنها فكر أخلاقي ، وطابع سلوكي محـــض ، ولا بد كذلك أن يكون لها دور حاسم وفعال في صياغة القوانين ، والمبادىء التي تقام عليها النظريات الأخلاقية ، أو يشكل على ضوئها تصرف الانسان وسلوكه في واقع حياته العملية .

الا أن العقيدة الدينية لشدة فاعليتها وقوة سلطانها على الأفراد والجماعة احتلت المكانة الأولى في دائرة النفوذ بين غيرها مـن العقائـد خاصة إذا كانت راسخة ثابتة تقوم على إدراك واضح وعلم يقيني ثابت) (١) وهذا لا بد منه لأن الواقع المحسوس الذى نشاهده كلنا في الحيـــاة العملية هو أن الانسان ضعيف عاجز أمام أهوائه وشهواته وغرائزه الحيوانية وأنه في أشد الحاجة الى معونة صوت الايمان ليقوده في هذه الظلمـــة المخيفة التى تحوطه من كل جانب ، وهذا أمر طبعي لا غرابة فيـــه ، اذ من ذا الذى يستطيع كل شيء ؟ ثم أى جزاء أكثر رهبة في نظـــر الروح الخالدة من جزاء الله الأبدى الذى سيلتقي بها في حياة طويلـــة.

---

(١) انظر العقيدة والأخلاق ، د . محمد بيصار / المقدمة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأى عزاء يسلي عن أحزان الحياة والامها من التفكير في عدالة الله التي ستوفي الصابرين أجرهم بغير حساب)[١] (والأخلاق بهذا المعنى خروج من عبودية النفس والاتجاه الى الخالق سبحانه .. من الرغبة في شيء مادى الى الرغبة في حضرة الاله حيث يجب أن تتطلع كل العيون وهذا لا يمكن أن يتم الا اذا تم تصحيح بصر العين ،فأصبحت ترى كل شيء بحقيقة حجمه ونسبته ،ولهذا تبدأ الأخلاق الدينية بمجاهدة الشهوات حتى تحكمها وتخضعها ولا تبدأ بالتسليم لها واشباعها كما في الأخلاق الشائعة)[٢] ومن هنا نجد (الاسلام قد أدخل العلاقة بين الانسان والخالق في اطار الأخلاق ، وذلك أن الله تعالى إذ كان موجودا وخالقا الانسان ومنعما عليه فانه يجب الايمان به حقيقة وذاتاً موجودة. وأخلاقية الايمان تظهر من ناحيتين : ناحية اعتباره عملا ،ذلك أن الأعمال اما داخلية واما ظاهرية والايمان من النوع الأول ،ولهذا نرى الرسول نفسه ينص على أن الايمان عمل عندما سأله رجل أى الأعمال أفضل ؟ فقال : ايمان بالله وجهاد في سبيله ".[٣]

---

(١) محاضرات في الأخلاق الاسلامية والانسانية د/ علي معبد فرغلي ص ٣٥-٣٦ .

(٢) النفس المطمئنة - سيد عبد الحميد مرسي ص ٩٦ .

(٣) انظر سنن النسائي جـ٨ كتاب الايمان وشرائعه (ذكر أفضل الأعمال) ص ٩٤ قريبا منه والذى نصه ما روى عن عبدالله ابن حبشي الخثعمي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أى الأعمال أفضل ؟ فقال : ايمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحجة مبرورة) ،كما ورد في سنن البيهقي جـ٩ كتاب

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لأنه عمل ايجابي من أعمال القلب كما أن الانكار عمل سلبي .

الناحية الثانية : أن الايمان في حقيقته عمل القلب بالاعتراف بالحقيقة الالهية ، والاعتراف بالحقيقة فضيلة متى كان هناك أدلة لوجود هذه الحقيقة ، وعدم الاعتراف بها مكابرة وخروج على الخلق الحسن ، وهو اعتراف أيضا بانعام المنعم والاعتراف بالفضل له وهو أخلاق أيضا ، ولهذا بين الله أن كفر الكفار راجع أساسا الى المكابرة لا لعدم وجود الأدلة لديهم بل عناد وتكبر ، ولهذا السبب لم يعؤ من جماعة الكفار بالرسول :

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ " (١)

ووصف الله جماعة الموءمنين من علماء النصارى بأنهم أقرب مودة لأنهم لا يستكبرون :

" وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ " (٢)

=== السير باب في فضل الجهاد في سبيل الله ص ١٥٧ قريبا منه والذى نصه ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور ، رواه البخارى في الصحيح عن أحمد بن يونس وغيره ، ورواه مسلم عن منصور بن أبي مزاحم عن ابراهيم .

(١) سورة البقرة آية ١٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٨٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالعلاقة الأخلاقية بين الانسان والرب هي أن يطبق الانسان المبادىء الأخلاقية لا لأنها ضرورية للحياة كتطبيق القوانين الأخرى بل لأنها أكثر من ذلك انها أوامر الهية يجب طاعتها ، لذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا "(١)(٢) بل الأكثر من ذلك ما أورده الامام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين حين قال : " ان الخلق هوالدين ، ومن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين ، وفسر العلماء قول الله تعالى عن رسوله :

" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ "(٣)

انك على دين عظيم "(٤)

والخلق خلقان لا ثالث لهما ، خلق حسن و خلق سيء ،أوردهما القرآن في آيتين لا ثالث لهما - في معرض المدح مرة حين قال عن نبيه صلى الله عليه وسلم :

" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ "

وفي معرض الذم مرة حين تحدث عن قوم عاد فقال :

" كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾

---

(١) سنن الامام أحمد بن حنبل جـ٢ ص ٢٥٠ من رواية أبي هريرة وعلق عليه صاحب كتاب الفتح الرباني قائلا (خرجه الترمذى وابن حبان في صحيحه وأبو داود وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم) (انظر الفتح الرباني جـ١٩ كتاب الأخلاق الحسنة وما جاء فيها باب الترغيب في محاسن الأخلاق ص ٧٤- ٧٥).

(٢) انظر التربية الاخلاقية الاسلامية ، مقداد يالجن ص ٨١-٨٧.

(٣) سورة القلم آية ٤.

(٤) تأملات في كتاب مدارج السالكين / صلاح شادى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ " (١)

وفي ظل هاتين الايتين تكررت الايات الكثيرة في الدعوة الى حسن الخلق والتحذير من سوء الخلق ، تدعو الى حسن الخلق ، وهي تتحدث عن الأنبياء ومن تبعهم ، ثم محمد من بعدهم والذى قال عنه ربه :

" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ " (٢)

وقال لنا بعده :

" لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ " (٣)

تتحدث عنهم وما كان منهم من حلم وأناة ، وصبر وتحمل وكرم وشجاعة وعدل واحسان وما الى ذلك من الفضائل الخلقية والكمالات النفسية .

وتحذر من سوء الخلق الذى كان عقبة امام ايمان الكافرين الجاحدين والذى من مظاهره الكذب ، الخيانة ، والجزع ، الطمع ، الغلظة ، الفحش ، البذاء وما إليها من أخلاق .

والقرآن كله تربية وتوجيه وسورة غافر جزء من هذا الكتاب والذى كان لها دورها في الدعوة الى محاسن الأخلاق والثبات عليه فكان الحديث عن الصبر والشجاعة والتحذير من سيء الأخلاق والاستمرار عليها فكان الحديث عن الكبر والاسراف والفرح والمرح بغير حق ، أما الصبر والشجاعة فقد وقفت عندهما سورة غافر كغيرها من السور المكية / ، ومعنى ذلك أن هذه الايات كانت في بدء حياة الرسول ودعوته وفي أشد ظروف المحنة وهو أحوج ما يكون الى أن يدعى الى الصبر والشجاعة وأن تضرب له القصص في سير السابقين قبله وشجاعتهم .

---

(١) سورة الشعراء آية ١٣٧ .
(٢) سورة القلم آية ٤ .
(٣) سورة الأحزاب آية ٢١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأما الأخلاق السيئة التي أشارت اليها السورة واكتفت بها ، ندرك سببها اذا علمنا أن سورة غافر كان فيها الكثير من الآيات للتخفيف عن الرسول في محنته بمكة وهو يواجه قريشا التي وقفت تجادله كثيرا لا تكل ولا تمل والرسول يقف أمامهم للرد والايضاح طمعا في ايمانهم ورغبة في انتشالهم من أوحال الشرك والكفر ، ولكن الوقوف يطول ... والحزن يتسرب الى أعماق نفسه ... والألم يعتصره ... لكن ربه لا يتركه في محنته وحده بل يخفف ويسرى عنه مبينا له العلة في طول المجادلة ؛ انه ليس تقصيرا منك يا محمد بل سببه :

١ - كبر وجبروت .

٢ - اسراف وارتياب .

٣ - فرح ومرح بغير حق .

ومن هنا كان المبحث الثالث والرابع:

المبحث الثالث - الأخلاق الحسنة في ضوء سورة غافر : وفيه :

١ - الصبر .

٢ - الشجاعة .

وأما المبحث الرابع - الأخلاق السيئة في ضوء سورة غافر :وفيه :

١ - الكبر .

٢ - الاسراف .

٣ - الفرح والمرح بغير حق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثالث :

الأخلاق الحسنة في السورة.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الصبر.

المطلب الثاني : الشجاعة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الثالث

الأخلاق الحسنة في ضوء سورة غافر

المطلب الأول : الصبر .

الصبر هو : (حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه)(١) .

وقال صاحب كتاب مدارج السالكين : (هو حبس النفس عن الجزع والسخط وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش)(٢) .

(فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه ، فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع ، وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن... وان كان في امساك الكلام سمي كتمانا ويضاده المذل(٣) وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبرا ونبه عليه بقوله :

" وَالصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ "(٤)

وقوله :

" وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ "(٥) (٦)

(وهو في القرآن على ستة عشر نوعا ، أقف أمام واحد منها فقط وهو الذى بصدد آيتي سورة غافر وهو : الصبر الذى ضمن به النصر كقوله :

" بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ "(٧) (٨)

---

(١) المفردات / الاصفهاني ص ٢٧٣ .
(٢) ابن القيم ٢/١٥٦ .
(٣) المذل : من مذل مذلا ومذالا : قلق بسره وضجر به حتى أفشاه (انظر المعجم الوسيط ٢/٨٦٦) .
(٤) سورة البقرة آية ١٧٧ .
(٥) سورة الحج آية ٣٥ .
(٦) المفردات / الاصفهاني ص ٢٧٣ .
(٧) سورة آل عمران آية ١٢٥ .
(٨) انظر بصائر ذوى التميز جـ٣ ص ٣٧٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول صاحب كتاب المفردات (ويعبر عن الانتظار بالصبر لما كان حق الانتظار أن لا ينفك عن الصبر بل هو نوع من الصبر) .(١)

(واذا كان الصبر لأي انسان من لوازم بقائه وسيره في الحياة وبلوغ ما يريد فان الصبر أشد ضرورة للمسلم من غيره ، لأن المسلم مطلوب منه أن يحبس نفسه ، ويكفها عن المعصية ويحثها على فعل الطاعة فيحتاج الى قدر كبير من ضبط النفس والارادة التي تمنعه من مقارفة الخطيئة ومفارقه الفضيلة ، ثم يصبر على ما يقدره الله حفاظا على الأجر والثواب .

واذا كان الصبر ضروريا للناس عامة وللمسلم خاصة فان الصبر للداعي المسلم أشد ضرورة له من غيره لأنه يعمل في ميدانين : ميدان نفسه يجاهدها ويحملها على الطاعة ، ويمنعها من المعصية ، وميدان خارج نفسه وهو ميدان الدعوة الى الله ، ومخاطبة الناس في موضوعها فيحتاج الى قدر كبير من الصبر في المجالين مجال النفس ومجال الدعوة .)(٢)

وهذا ما توقفت عنده سورة غافر ، يقول تعالى لنبيه :

" فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ "(٣)

كما يقول سبحانه : " فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ "(٤)

فالصبر يتطلب القدرة .. القدرة على الاحتمال وضبط النفس ، يتطلب ممارسة

---

(١) الاصفهاني ص ٢٧٤ .
(٢) انظر اصول الدعوة / عبد الكريم زيدان ص ٦٣٦ - ٣٣٧ .
(٣) سورة غافر آية ٥٥ .
(٤) سورة غافر آية ٧٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتدريباً على السيطرة على هوى النفس ، وانفعالاتها ، وعلى الرجوع الى العقل والتروي في مواجهة الشدة والأزمة ، ولذا كان توجيه القرآن للرسول عليه الصلاة والسلام عند مباشرته للدعوة الى الاسلام يقوم على أمرين :

أولا : الصبر على/ أذى المعارضين لرسالته والمتنكرين له .

فمنذ بدء الدعوة الى الرسالة كان الصبر مطلوبا من الله لرسوله الكريم ، ومأمورا به :

" وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ " (١)

لأنه عامل رئيسي في النجاح وفي دفع الهزيمة .

ثانيا : هذا الصبر لا بد له من قوة معنوية فكان لا بد من العمل على صفاء النفس بالاستغفار والتسبيح :

" وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ " (٢)

كما علمه سابقا أن يلجأ الى قيام الليل وتلاوة ما نزل من القرآن فيه :

" يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ " (٣)

انه ينصح بالصبر والتوجه الى الله بالاستغفار والتسبيح (وفي الاستغفار تخلية عن الأكدار النفسيه مطلوب من الرسول تعبدا وتأدبا) ، (٤)

---

(١) سورة المزمل آية ١٠ .

(٢) سورة غافر آية ٥٥ .

(٣) سورة المزمل آية ١ - ٤ .

(٤) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ج ٢٤ ص ١٧١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول الامام ابن كثير وهو (تهييج للأمة على الاستغفار) (١) ، (وفي التسبيح تحلي بالكمالات النفسية التي يتم الشكر بها ظاهرا وباطنا) (٢) ، وفي كل منهما شد للعزيمة في المواجهة ، ففي التسبيح والاستغفار يُذكر المؤمن بالله وبايمانه به وفي الصبر يتذكر أنه يعمل ابتغاء وجه الله .

ثم يعد بالنصر واجتياز الأزمات والشدائد في سلام لأولئك الصابرين ، سواء كان هذا النصر في الدنيا أم في الآخرة . يقول تعالى : " إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ " (٣)

فالله يطمئن دعاته ، ويعدهم بالنصر وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة مؤكدا ذلك بعدة تأكيدات .

أ - (تأكيد الخبر بـ (ان) مراعيا فيه حال المعرف بهم بأن الله ينصر رسله عليهم ، وهم المشركون لأنهم كانوا يكذبون بذلك .

ب - لام التوكيد الداخلة على الفعل المضارع .

جـ - التعبير بالمضارع في قوله (لننصر) لما فيه من استحضار حالات النصر العجيبة التي وصف بعضها في هذه السورة ، والا فان نصر الرسل الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم قد مضى ونصر محمد صلى الله عليه وسلم مترقب غير حاصل حين نزول الآية .

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٥٨٠

(٢) انظر التحرير والتنوير جـ٢٤ ص ١٧١ .

(٣) سورة غافر آية ٥٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

د - عطف الأمر بالاستغفار والتسبيح على الأمر بالصبر رمزا الى تحقيق الوعد لأنه أمر يعتبر بما هو من آثار الشكر كناية عن كون نعمة النصر حاصلة لا محالة ، ولذلك لم يؤمر بالصبر لما حصل النصر في قوله :

" إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③ " (١)

فان ذلك مقام محض الشكر دون الصبر) . (٢)

لكن بعد كل هذه التأكيدات هناك سؤال طرحه الامام الطبرى في تفسيره وهو في الحقيقة سؤال وجيه : ،إنّ هذا وعد قاطع من الله بنصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه ومثلوا به ومنهم من هم بقتله قومه ، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى يفارقهم ناجيا بنفسه ، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا ؟؟

ثم يجيب قائلا : للأمر وجهان كلاهما صحيح معناه :

أحدهما :أ- يكون النصر باعلائهم على من كذبهم واظفارهم بهم كالذى فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره على من كذبه من قومه .

ب - أو يكون بالانتقام ممن حاد هم باهلاكهم وانجاد الرسل ممن كذبهم كالذى فعل بموسى وفرعون وقومه اذ أهلكهم غرقا ونجى موسى ومن آمن معه .

---

(١) سورة النصر آية ٣ .

(٢) انظر التحرير والتنوير جـ٢٤ ص ١٦٧-١٧٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جـ - أو يكون بالانتقام من المكذبين في الحياة الدنيا ولكن بعد وفاة الرسل كما فعل بمريدى قتلة عيسى من الروم.

الثاني : أن يكون الخبر خرج عاما والمراد به البعض ، ويقول الامام الطبرى : وهذا سائغ في اللغة فيكون تأويل الكلام حينئذ ، اننا لننصر رسلنا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد). (١)

الا أن لصاحب الظلال وقفة أحب أن نستأنس بها هنا ، قال فيها (الناس يقصرون معنى النصر على صورة معينة معهودة لهم ، قريبة الرؤيا لأعينهم ، ولكن صور النصر شتى ، وقد يلتبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة . ابراهيم عليه السلام وهو يلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة اليها .. أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة ؟؟ ما من شك في منطق العقيدة - أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار ، هذه صورة وتلك صورة . وهما في الظاهر بعيد من بعيد ، فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب . وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده . وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه والتي ربما كانت حافزا محركا لخطى التاريخ كله مدى أجيال.ما النصر ؟ وما الهزيمة ؟ اننا في حاجة الى أن نراجع ما استقر في تقديرنا

---

(١) انظر جـ٢٤ ص ٤٨-٤٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من الصور ومن القيم . قبل أن نسأل أين وعد الله لرسله وللمؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا !!) .(١) ثم تعود آيات الصبر لتخاطب صاحب الرسالة من جديد :

" فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ "(٢)

(فالنصر لك يا محمد حاصل في الحالتين وهو مضمون فهم غير مفلتين من سوء العاقبة فاذا لم تُرى النهايات في الدنيا كما وقع حين أقر الله عينك يوم بدر من كبرائهم وعظمائهم ثم فتح الله عليك مكة وسائر جزيرة العرب في حياتك فلا مفر من الرجوع الى الله وهو عود على بدء)(٣)

" ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ "(٤)

يقول صاحب الظلال (لقد انتصر محمد في حياته لأن هذا النصر يرتبط بمعنى اقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة في الأرض ، فهذه العقيدة لا يتم تمامها الا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعا - من القلب المفرد الى الدولة الحاكمة - فيشاء الله أن ينصر صاحب هذه العقيدة في حياته ليحقق هذه العقيدة في صورتها الكاملة ، ويترك هذه الحقيقة مقررة في واقعة تاريخية محددة مشهودة ومن ثم اتصلت صورة النصر القريبة بصورة أخرى بعيدة واتحدت الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية وفق تقدير الله وترتيبه)(٥) .

---

(١) انظر سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٨٦ .
(٢) سورة غافر آية ٧٧ .
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٩ ، التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٢٠٩ .
(٤) سورة غافر آية ٧٠-٧٢ .
(٥) سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٨٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثاني : الشجاعة :

يقول صاحب كتاب الأخلاق :

(الشجاعة مواجهة الألم أو الخطر عند الحاجة في ثبات ، وليست مرادفة لعدم الخوف كما يظن بعض الناس ، فالذى يرى النتائج ويخاف من وقوعها ثم يواجهها في ثبات رجل شجاع ، وما دام الانسان يعمل في موقفه خير ما يعمل فهو شجاع) .(١)

كما يقول صاحب كتاب الأخلاق الاسلامية أن الشجاعة (قوة في عزيمة النفس تدفع الى الاقدام بعقل في مخاطرة بعمل أو قول لتحصيل خير أو دفع شر مع ما في ذلك من توقع هلاك أو مضرة يقينا أو ظنا .(٢)

---

(١) أحمد امين ص ٢٠٥ .

(٢) وباستقراء آيات القرآن نجد أن هذا الخلق بهذا المسمى لم يرد في القرآن الكريم وان كان قد ورد في السنة صراحة كما في حديث أبي موسى الذى قال فيه " جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأى ذلك في سبيل الله ، قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " (انظر صحيح البخارى جـ٨ كتاب التوحيد باب " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين " ص ١٨٩) . كما وصف الرسول بالشجاعة كما في حديث أنس رضي الله عنه والذى قال فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس ..." (انظر صحيح البخارى جـ٣ كتاب الجهاد والسير باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق " ص ٢٢٨ . الا أنه اذا كانت الشجاعة كما يقول صاحب اللسان هي " شدة القلب " (انظر لسان العرب جـ٨ ص ١٧٣) فقد وردت هذه المعاني كثيرا في القرآن الكريم كما في سورة غافر التي تحكي شجاعة مؤ من آل فرعون .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبملاحظة قيود هذا التعريف يتبين لنا أن الإقدام بغير عقل جنون أو شبيه به ، وأنَّ الإقدام في غير مخاطرة لا يعتبر من الشجاعة بل هو نشاط وهمة ، وأنَّ الإقدام لا لتحصيل خير أودفع شر لا يعتبر شجاعة محمودة بل هو تهور مذموم) (١) وفي ضوء ذلك وضع صاحب كتاب الأخلاق النظرية اسسه وهو يتحدث عن الشجاعة فقال :

(وتقوم الشجاعة أساسا في ضبط النفس عند مواجهة الخطر في الظروف الأليمة كما تقوم في مواجهة الظلم والشر بالقول والفعل وفي التغلب على الصعوبات والأخطار والتي تتجاوز المعتاد وفي احتمال أشد الالام بصبر وثبات .

ويضاد الشجاعة ثلاث رذائل : الافراط في الخوف ، وانتفاء الخوف ، والتهور . فالشجاعة الحقة لا تقوم في عدم الخوف من شيء بل تقوم في الخوف مع الفطنة ، والتجرؤ دون التهور ، انها تتجنب الخطر الذى لا داعي له ولكنها عند الواجب لا تتردد في مواجهة الموت المحقق .

وترتكز الشجاعة على :

أ - التطلع الى جلائل الأعمال لا من أجل الربح أو الشرف بل لما فيها من سمو .

ب - الجود وهو الاستعداد لبذل كل غال في سبيل تحقيق جلائل الأعمال .

---

(١) الأخلاق الاسلامية واسسها ، الميداني ص ٥٦٥- ٥٦٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

جـ - الصبر وعدم القزع من المشقة أو المتاعب أو الأحزان أو المجهود أو طول المدة).(١)

وفي ضوء ذلك ندرك أن الشجاعة ليست مقصورة على حمل السلاح وارتياد غمار الحروب ،بل ان هناك من المواقف ما يحتاج الى شجاعة أقوى من شجاعة المقاتل في ساحة الوغى ،ووقفه منا أمام موقف مؤ من آل فرعون من فرعون وجنده تجعلنا نقف متأملين لنضعه بعد /في مقدمة مصاف الشجعان .

ذلك

ويمكن تلخيص تلك الشجاعة في الآتي :

١ - أدرك مؤ من آل فرعون أن فرعون لم يكن يعنيه من قتل موسى الا سلطانه والحفاظ على هيبته أمام شعبه ،فكانت رغبته في قتله من هذه الزاوية ومن الباب الذى يتهمه فيه بالكذب ، فكان حديثه معه من نفس الباب حيث ترك حديث الدين والايمان حينئذ ولجأ الى إيلام فرعون وتحديه من الجانب الذى صب حرصه عليه وهو اتهامه بالكذب بعد السحر والذى يستحق عليه القتل فقال لهم :

" وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ " (٢)

وكأنه يقول لهم : لا حجة لكم أبداً في قتله في الحالتين وكما أن فرعون بدأ حديثه باتهامه بالكذب ،فكذلك فعل حيث

---

(١) الأخلاق النظرية / عبد الرحمن بدوى ص ١٧٨.

(٢) سورة غافر آية ٢٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بدأ حديثه بتحطيم تلك الشبهة ،فكان من مظاهر شجاعته حضور ذهنه عند الشدة التي ألمت برسوله -موسى عليه السلام- فبالرغم من أنهم يتآمرون على قتله الا أن ذلك الخطب لم يذهب برشده بل قابله برزانة وثبات ، وَتَصَرَّفَ فيه بذهن حاضر وعقل غير مشتت ، ملك نفسه وثبت عقله ،وتصرف في الأمر على أحسن وجه فكان شجاعا حقا الا أنها الشجاعة التي يطلق عليها الشجاعة الأدبية التي تحدث عنها صاحب كتاب الأخلاق فقال : (الشجاعة الأدبية أن يبدى الانسان رأيه وما يعتقد أنه الحق مهما ظن الناس به ، أو تقولوا عليه من غضبٍ عظيمٍ أوأميرٍ، لا يخاف من تحمل ألم يصيبه في سبيل قول حق يقوله أو مبدأ هام ينشره ،فلو رأى مسألةً غير ما يراه مَنْ حوله من الناس أو خالف حكما أو عظيما جاهرا برأيه غاضا عما يناله من الأذى ،يقول الحق بأدب وان تألم الناس منه ،ويعترف بالخطأ وإن نالته عقوبة ،ويرفض العمل بما لا يراه صوابا ولولم يقع رفضه موقعا حسنا).(١)

٢ - وبعد أن ثبت لديه كفرهم وعنادهم يقف بكل شجاعة مغلنا عن ايمانه بصراحة بل وداعيا اليه :

" يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ "(٢)

لم يخف من فرعون وسلطته وقوته وخيله وخيلائه ،وفي ذلك

---

(١) أحمد أمين ص ٢٠٧ .

(٢) سورة غافر آية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يظهر التشبث بالحق وعدم التخلي عنه ارضاء لأي قوة ،أو هروبا من أي ضغط وليس بعجيب أمر هذه الوقفة الشجاعة فوراءها دفعة ايمانية ، تستمد قوتها من رصيد ايماني ضخم يشعل أوراه في تلك النفس المطمئنة جذوتان أدركنا الأولى من قوله لقومه :

" وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ " (١)

والثانية من قوله لهم :

" لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ " (٢)

انه الايمان بالله وبمقاديره ، وباليوم الآخر وتدابيره ، واللذين يعدان من أعظم الوسائل لاكتساب فضائل الأخلاق، ومنها الشجاعة ، يقول صاحب كتاب الأخلاق الاسلامية : (ان الايمان بالله وبمقاديره والايمان باليوم الآخر من أعظم الوسائل لاكتساب فضائل الأخلاق ومنها خلق الشجاعة ،وذلك لأن الايمان بالقدر خيره وشره من الله يورث القلوب طمأنينة تامة تجاه أشد المخاوف وأعتاها ، فالمؤمن صادق الايمان على يقين تام بأنه لن تصيبه مصيبة لم يُسبَق فيها قضاء من الله وقدره ، ولن يستطيع أن يفلت من مصيبة سبق فيها قضاء من الله وقدره ،فهذه العقيدة الايمانية تجعل القلوب في طمأنينة تامة وتمدها بمدد عظيم من الشجاعة والثبات تجاه أشد المخاوف وبذلك يضمر الجبن وتنمو الشجاعة) . (٣)

---

(١) سورة غافر آية ٤١-٤٢ .

(٢) سورة غافر آية ٤٣ .

(٣) عبد الرحمن حبنكه الميداني ص ٥٦٩ - ٥٧٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الرابع :

الأخلاق السيئة في السورة .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الكبر .

المطلب الثاني : الفرح والمرح بغير الحق .

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : الفرح بغير الحق .

المسألة الثانية : المرح بغير الحق .

المطلب الثالث : الإسراف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الرابع

الأخلاق السيئة في السورة

المطلب الأول : الكبر .

لغظة الكبر ، والتكبر ، والاستكبار متقاربة ، فيقول صاحب كتاب مفردات القرآن : (فالكبر : الحالة التي يتخصص بها الانسان من اعجابه بنفسه وذلك بأن يرى نفسه أكبر من غيره ، وأعظم الكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق ، والاذعان له بالعبادة)(١)

و يضيف الامام الغزالي قائلا (اعلم أن الكبر ينقسم الى باطن و وظاهر ، فالباطن هو خلق في النفس ، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح ، واسم الكبر بالخلق الباطن أحق ، وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق .

فالكبر ، عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات، وتسمى أيضا / وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى : عزة

" إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ "(٢)

قال : عظمة لم يبلغوها ، ففسر الكبر بتلك العظمة .

والكبر بالمعنى الباطن : استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير ، وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذى يتعلق بالمتكبر .

ولقد شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر فقال حين سأله أحد الصحابة فقال :

---

(١) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٤٢١ .

(٢) سورة غافر آية ٥٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

" ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " (١)

وقوله وغمص الناس : أى ازدراهم واستحقرهم ، وهم عباد أمثاله أوخير منه ، وسفه الحق هو رده .

وكل من أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله ، وكل من رأى أنه خير من أخيه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق) . (٢)

(والتكبر على وجهين :

أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كبيرة في الحقيقة

---

(١) صحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان باب تحريم الكبر وبيانه حديث رقم ١٤٧ صفحة ٩٣ " قريبا منه " ، عون المعبود شرح سنن أبي داود جـ ١١ باب ما جاء في الكبر حديث رقم ٤٠٧٤ ص ١٥١ - ١٥٢ " قريبا منه " ، سنن الترمذى جـ ٣ باب ما جاء في الكبر حديث رقم ٢٠٦٧ وقال الترمذى ، هذا حديث حسن صحيح غريب " قريبا منه " والذى نصه عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رجلا جميلا ، فقال يا رسول الله اني رجل حبب الي الجمال واعطيت منه ماترى حتى ما أحب أن يفوقني أحد بشسع نعلي أفمن الكبر ذلك ؟ ، قال " لا " ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس ".

(٢) انظر احياء علوم الدين ، الغزالي جـ٣ ص ٢٩٦ - ٣٠٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وزائدة على محاسن غيره ، وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبر فقال تعالى :

" الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ " (١)

والثاني : أن يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك في وصف عامة الناس ، نحو قوله تعالى :

" كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ " (٢)

وقوله : " فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ " (٣)

وهذا هوالتكبر المذموم وعليه رد القرآن الكريم وهو قوله تعالى :

" أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ " (٤)

---

(١) سورة الحشر آية ٢٣ .

(٢) سورة غافر آية ٣٥ .

(٣) سورة غافر آية ٧٦ .

(٤) سورة البقرة آية ٣٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله : "فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا" (١)

قابل المستكبرين بالضعفاء تنبيها أن استكبارهم كان بما لهم من القوة من البدن والمال ، وقوله :

"فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾" (٢)

ونبه بقوله : " مجرمين " أن حاملهم على ذلك ما تقدم من جرمهم ، وأن ذلك دأبهم لا أنه شيء حادث منهم). (٣)

وعموما :

فان (التكبر سواء كان بالعلم أو بالعبادة أم بالنسب ، أم بالمال ، أم بالقوة ، أم بالشهرة ، أم بكثرة الاتباع ، أو بغير ذلك قد حمل القرآن عليه وعلى أهله حملة صارمة فقال تعالى :

"سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾" (٤)

وقال : "كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾" (٥)

كذلك حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على التكبر وأهله حملة زاجرة مؤدبة ، فقال : " لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في ديوان

---

(١) سورة غافر آية ٤٧.

(٢) سورة الاعراف آية ١٣٣.

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٤٢١ - ٤٢٢ ، بصائر ذوى التمييز / الفيروزابادى جـ٤ ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٤) سورة الاعراف آية ١٤٦.

(٥) سورة غافر آية ٣٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيصيبه ما أصابهم الجبارين/" (١) أى في قوائمهم وسجلهم ، والمراد أنه يكون منهم ويحشر معهم ويصيبه من العذاب ما يصيبهم .

و يقول على سبيل التهديد والوعيد :" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " (٢)(٣)

فكان لسورة غافر نصيب من هذه الحملة على هذا الجانب الأخلاقي السيء فقد ورد الكبر بجميع أوصافه تقريبا في سورة غافر (كبر ، متكبر ، متكبرين ، استكبروا ، يستكبرون) وهي تجمع بين الكبر والتكبر والاستكبار ...

جاءت في معرض الذم في أكثر من سبعة مواضع ولعل السؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا : ما السبب وراء كثرة ترداد كلمات الكبر بصيغهـــا المتعددة والتذكير بها بين كل وقفة وأخرى ؟؟؟

---

(١) سنن الترمذى جـ٣ باب ٦٠ " ما جاء في الكبر حديث رقم ٢٠٦٨ ص ٢٤٤ ، وقال عنه الترمذى : هذا حديث حسـن غريب .

(٢) صحيح مسلم جـ١ كتاب الايمان / باب تحريم الكبر وبيانه حديث رقم ١٤٩ ص ٩٣ ، عون المعبود جـ١ باب ما جاء في الكبر حديث رقم ٤٠٧٣ ص ١٥٠ - ١٥١ ،
سنن الترمذى جـ٣ باب ٦٠ " باب ما جاء في الكبر حديث رقم ٢٠٦٦ ص ٢٤٣ وقال عنه الترمذى : هذا حديث حسن غريب ،
سنن ابن ماجه جـ١ مقدمة باب ٩ " باب في الايمان حديث رقم ٥٩ ص ٢٢ - ٢٣ " قريبا منه ".

(٣) انظر موسوعة أخلاق القرآن ، د. أحمد الشرباصي جـ١ ص ٧٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فاذا عرفنا أن الكلام من أول السورة الى آخره تقريبا يجرى في ميدان الرد على مجادلة المشركين في آيات الله ودحض شبههم ، وتوعدهم على كفرهم ، وضرب الأمثال لهم بأمثالهم من أهل العناد وابتداءً - علمنا أنه من المناسب أن يكشف القرآن للرسول ومن بعده ما تكنه صدور المجادلين من أسباب جدالهم بغير حق - وما الدافع لهم من وراء هذا الجدال ، وليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم دخيلتهم فلا يحسب أنهم يكذبونه تنقصا له ، ولا تجويزا للكذب عليه ، ولكن الذى يدفعهم الى التكذيب والمجادلة هو التكبر عن أن يكونوا تبعا للرسول صلى الله عليه وسلم ووراء الذين سبقوهم بالايمان ممن كانوا لا يعبؤون بهم .

وهذا نحو قوله تعالى :

" قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ " (١)

لذلك نجد أن آية سورة غافر توضح هذا الباعث بطريقة القسر لتنفي أن يكون الداعي الى المجادلة شيئا آخر غيره على وجه مؤكد ، تقول الآية : " إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ " (٢)

(أى أن الذين يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله ما في صدورهم الا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به) . (٣)

---

(١) سورة الانعام آية ٣٣ .

(٢) سورة غافر آية ٥٦ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ ٤ ص ٨٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(أو هو مجاز عن ارادة الرياسة أو أن تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا

" لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ " (١)

ولذلك يجادلون في آيات الله لا أن فيها موقع جدال ما ، وأن لهم شيئا يتوهم صلاحيته لأن يكون مدارا لمجادلتهم في الجملة ، وما هم ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من دفع الآيات أو من الرياسة أو النبوة) (٢) (قال الزجاج (٣) ، المعنى ما في صدورهم الا كبر ما هم ببالغي ارادتهم فيه ، لأن هؤلاء قوم رأوا أنهم ان اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم قل ارتفاعهم ، ونقصت أحوالهم ، وانهم يرتفعون اذا لم يكونوا تبعا فأعلم الله عز وجل انهم لا يبلغون الارتفاع الذى أمّلوه بالتكذيب) (٤) .

---

(١) سورة الزخرف آية ٣١ .

(٢) انظر روح المعاني / الألوسي جـ٢٤ ص ٧٨-٧٩ .

(٣) هو ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج أبو اسحاق ، النحوى اللغوى ، قال الخطيب : " كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد له مصنفات حسان في الأدب ، توفي ٣١١ هـ (انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودى ١/ ٧ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٧٠ ، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٩ ، وفيات الأعيان ١/ ٣١ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣٢٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم تضيف سورة غافر لهؤلاء المجادلين المتكبرين صفة جديدة وهي : عدم الايمان بيوم الحساب ، وفي ذلك يقول سبحانه : (١)

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ "

ويقف الامام النسفي (٢) عند هذه الآية ويتبعه في ذلك الالوسي (٣) ليقول (إن الاستكبار عن الاذعان للحق هو أقبح استكبار ، وأدله على دناءة ومهانة نفس صاحبه ، وعلى فرط ظلمه وعسفه ، وضم اليه عدم الايمان بيوم الجزاء ليكون أدل وأدل ، فمن اجتمع فيه التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله تعالى وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها). (٤) ثم توضح سورة غافر سبب هذه القسوة.

يقول تعالى : " الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ " (٥)

فهم في الأصل قد جادلوا في آيات الله بغير حق كبراً وتجبرا فختم الله على

---

(١) سورة غافر آية ٢٧ .

(٢) هو أبو البركات ، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي كان رأسا في الفقه والأصول بارعا في الحديث ومعانيه ، بصيرا بكتاب الله تعالى وهو صاحب التصانيف المفيدة المعتبرة في الفقه والأصول وغيرها . توفي سنة ٧٠١ هـ (انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٢٤٧/٢ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ١٠٢) .

(٣) هو أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندى الالوسي البغدادى كان شيخ العلماء في العراق محدثا ومفسرا لكتاب الله وكان عالما باختلاف المذاهب مطلعا على الملل والنحل ، سلفي الاعتقاد شافعي المذهب خلف ثروة علمية كبيرة ونافعة . توفى سنة ١٢٧٠ هـ .

(٤) تفسير النسفي ٧٦/٤ ، روح المعاني ، الالوسي ٦٣/٢٤ .

(٥) سورة غافر آية ٣٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قلوبهم بالكفر ، فكان الختم على القلب سببه الجدال في آيات الله ، وهي علامتـــه يقول الامام الطبرى : (كما طبع الله على قلوب المشركين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده ويصدق رسله متعظم عن اتباع الحق)(١) (حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق)(٢) وهذا أمر قد توعدهم الله بـــه حين قال : " سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا "(٣)

وما تحدثت عنه سورة غافر من الكبر عده صاحب الاحياء شر أنواع الكبر حيـن قال (وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق ، والانقيـــاد له ، وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين)(٤) .

كما اعتبره صاحب كتاب التربية الاخلاقية الاسلامية من أهم العوائق الاخلاقية التي تحول دون رغبة المرء في الاعتقاد حيـن قال (من أهـــم العوائق الاخلاقية التي تحول دون رغبة المرء في الاعتقاد : التكبر .

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ "(٥) (٦)

ولذلك نجد القرآن الكريم يحد من هذه الظاهـــرة و يحطمهـــــا ، وذلك بعرض الصور المخزية الذليلة لأصحابها والتي تناسب كبرهم في الدنيا وفي الآخرة .

---

(١) تفسير الطبرى جـ٢٤ ص ٤٢ .
(٢) الجامع لاحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣١٣ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٤٦ .
(٤) احياء علوم الدين / الغزالي جـ٣ ص ٢٩٦ .
(٥) سورة البقرة آية ١٣ .
(٦) مقداد يالجن ص ١٩٧-١٩٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أما في الدنيا :

أ - (فان الله يمقته على ذلك أشد المقت) (١) (ومقت الله تعالى : ذمه لهم ولعنه اياهم واحلال العذاب بهم) (٢).

ب - والموءمنون أيضا يبغضون من تكون هذه صفتـــه .

ج - ان الله (يطبع على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا) (٣) (ولا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق) (٤) (فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بغير حق) (٥).

يقول تعالى : " ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ " (٦)

وأما في الآخرة : فيقول تعالى :

" وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ " (٧)

(يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار وتخاصمهم وفرعون وقومه مـــن جملتهم فيقول الأتباع للقادة والسادة والكبراء : إنا أطعناكم فيما دعوتمونا اليه في الدنيا من الكفر ، والضلال فهل أنتم مغنون عنا قسطا تتحملونه من العذاب

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٠.

(٤) الجامع لاحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣١٣.

(٥) روح المعاني / الالوسي جـ٢٤ ص ٦٨.

(٦) سورة غافر آية ٣٥.

(٧) سورة غافر آية ٤٧ ، ٤٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال الذين استكبروا : انا لا نتحمل عنكم شيئا كفى بنا ما عندنا ، وما حملنا من العذاب والنكال ، فقد قسم الله بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منّا)(١) .

كما يقول سبحانه : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ "(٢)

فهذه الآيات (تهديد شديد ، ووعيد أكيد من الرب جل جلاله لهؤلاء المجادلين اذ الأغلال في اعناقهم والسلاسل متصلة بأيدى الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم ، كما قال تعالى :

" هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ "(٣)

وتقول لهم الملائكة هذا الذى أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم ، وأشركم ، وبطركم فبئس المنزل والمقيل الذى فيه الهوان ، والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه)(٤) .

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٤ ص ٨٤ .

(٢) سورة غافر آية ٧٠-٧٦ .

(٣) سورة الرحمن آية ٤٣-٤٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير جـ ٤ ص ٨٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

- صور كلها خزي ومهانة تناسب الكبر والمتكبرين ، ففي الأولى توضيح عجزهم بعد أن كانوا يدّعون القوة ، ويحتمون وراءها ، اذا بهم عاجزون يستجوون مع الضعفاء لا أتباع ولا متبوعين بل الكل لا حول له ولا قوة. وأما الصورة الثانية فقد اختار أهلها أن تكون طريقة وصولهم الى مثواهم الأخير هي السحب والجر كما تسحب البهيمة .. هذه اليد التي كانت تبطش ، وهذه الناصية التي استكبرت على أن تسجد لله ، ها هي تسحب وتجر جراً الى جهنم وبئس المصير .

والملاحظ أن في الآيات التي نحن بصددها ، لم يقل سبحانه فيقول الضعفاء للأقوياء بل قال " للذين استكبروا " كما أنه سبحانه لم يقل : وقال الذين كفروا بل قال " قال الذين استكبروا " ، ولم يقل فبئس مثوى الكافرين ، بل قال " فبئس مثوى المتكبرين " تذكيرا بأن هذا الموقف الذليل الصاغر في جهنم سببه : انتفاخ الصدور والاحساس بالعظمة وتناسي عظمة الله ، فكانت الخاتمة من الرب مناسبة للبداية التي صدرت منهم .

وفي ضوء الآيات الكريمات التي تتحدث عن هذا الخلق الخطير ، فان على الداعية أن يدرك حقيقتين هامتين وهو يواجه أمثال هؤلاء المتكبرين عن قبول الايمان .

١ - أن يُطَمئِن نفسه أنه مهما بلغ كبر المتكبرين /لن يبلغوه يضمن الا انهم له ذلك قوله تعالى : (١)

" إِنَّ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ "

---

(١) سورة غافر آية ٥٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكما قال سيد قطب رحمه الله (ان هذا المخلوق الانساني لينسى نفسه في أحيان كثيرة لينسى أنه كائن صغير ضعيف يستمد القوة لا من ذاته ولكن من اتصاله بمصدر القوة الأول، من الله فيقطع اتصاله هذا ثم يروح ينتفخ ، ويورم ويتشامخ ويتعالى ، يحيك في صدره الكبر، يستمده من الشيطان الذى هلك بهذا الكبر ، ثم سلط على الانسان فأتاه من قبله) (١) ولكنه كبر زائف لأن الآية تؤكده بقوله تعالى :

" مَّا هُم بِبَالِغِيهِ "

وبذا تنفي أهليتهم للكبر اذ هم أقل من أن يكون لهم ذلك.

٢ - ثم هي تعلم الداعية كيف يواجه كبر المتكبرين فيستمد ذلك من توجيه القرآن لخير البشر بأن يستعيذ بالله : (٢)

" فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ "

كما أنه ليس وحده على الدرب فقد سبقه موسى حين قال لفرعون وملئه كما قال سبحانه : (٣)

" وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ "

يقول صاحب الظلال : (فأما موسى عليه السلام فالتجأ الى الركن الركين والحصن الحصين ، ولاذ بالجناب الذى يحمي اللائذين ويجير المستجيرين قالها واطمأن وسلم أمره الى المستعلى على كل متكبر ، القاهر لكل متجبر، القادر على حماية العائذين به من المستكبرين) (٤).

ومن هنا كان الأمر من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يجعل الله معاذه منهم فلا يعبأ بما يبيتونه ،وهو سبحانه نعم الملجأ والملاذ من هذا الشر الذى يستحق الاستعاذة بالله منه.

---

(١) في ظلال القرآن جـ٥ ص ٣٠٨٩.
(٢) سورة غافر آية ٥٦.
(٣) سورة غافر آية ٢٧.
(٤) سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٧٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثاني : الفرح والمرح بغير الحق .

المسألة الأولى : الفرح بغير الحق .

الفرح : (ضد الترح ، وهو انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون في اللذات البدنية ، فلهذا قال :

" وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ " (١)

وقال : " وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا " (٢)

وقال : " ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ " (٣)

وقال : " حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا " (٤)

وقال : " فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ " (٥)

وقال : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ " (٦)

والفرح والمفراح : الكثير الفرح .

وما يسرني بهذا الأمر مُفرِحٌ ومَفْرُوحٌ به ، ورجل مُفْرَحٌ أثقله الدين ، وأفرحه : غمه وأزال فرحه . وتقول : أفرحتني الدنيا ثم أفرحتني ، والهمزة للسلب ، فكأن الإفراح يستعمل في جلب الفرح وفي إزالة الفرح ، كما أن الإشكاء يستعمل في جلب الشكوى وفي ازالتها ، فالمُدان قد أُزيل فرحه فلهذا قيل : لاغمّ إلا غم الدين ، ويقال : المرء بين مفرحين ، قاعد بين سلامة وحَيْن) . (٧)

---

(١) سورة الحديد آية ٢٣ .

(٢) سورة الرعد آية ٢٦ .

(٣) سورة غافر آية ٧٥ .

(٤) سورة الأنعام آية ٤٤ .

(٥) سورة غافر آية ٨٣ .

(٦) سورة القصص آية ٧٦ .

(٧) انظر المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٣٧٥ ، بصائر ذوى التمييز / الفيروزابادى جـ ٤ ص ١٧٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.org

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن هنا كان هناك فرح محمود وفرح مذموم :

أولا : الفرح المحمود :

لقد بشر الله في قرآنه على المؤمنين بالفرح كما في قوله تعالى :

" وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ " (١)

وفي هذا الجانب يقول الامام القرطبي / : (والفرح والنشاط محمود وقد وصف الله تعالى نفسه بأحدهما ففي الحديث الصحيح .. " لله أفرح بتوبة العبد من رجل ... ") (٢) (٣)

الا أن صاحب كتاب المفردات في غريب القرآن وتبعه في ذلك الفيروزابادى (٤) قيد الفرح المحمود فقال : (ولم يرخص في الفرح الا في قوله :

" فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا " (٥)

---

(١) سورة الروم آية ٤.

(٢) من حديث ورد في صحيح البخارى ،كتاب الدعوات باب التوبة ٧/ ١٤٦.

(٣) الجامع لاحكام القرآن جـ١٠ ص ٢٦٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٣٧٥ ،بصائر ذوى التمييز جـ٤ ص ١٧٨. والفيروزابادى هو : ابراهيم بن علي بن يوسف جمال الدين الفيروزابادى الشافعي قال النووى : " الامام المتقن المدقق ،ذو الفنون من العلوم المتكاثرات والتصانيف النافعة المستجادات " توفي سنة ٤٧٦ هـ (انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٢١٥ شذرات الذهب ٣/ ٣٤٩ ،وفيات الاعيان ١/ ٩ ، تهذيب الاسماء واللغات ٢/ ١٧٢).

(٥) سورة يونس آية ٥٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله :" وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ "(١)

مع أن هناك آية أخرى في سورة آل عمران يقول فيها سبحانه عن المؤمنين : " فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ "(٢)

وان ذهبنا الى أن الاصفهاني(٣) والفيروزابادي لا يقصدان استقراء الآيات في القرآن كله بل يقصدان مواطن الفرح المرخص بها من باب أن آية سورة الروم وآية آل عمران كلتيهما تمثلان الفرح بفضل الله ، فهناك آية سورة الرعد :

" وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ "(٤)

ومن هنا فأنا أميل الى القاعدة التي وضعها الامام القرطبي حول هذا الموضوع فقال : (وقد ذم الفرح في مواضع كقوله :

" لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ "(٥)

وقوله : " إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ "(٦)

ولكنه مطلق ،فاذا قيد الفرح لم يكن ذما ، لقوله :

" فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ "(٧) (٨)

أى أن الفرح حينما يأتي ذكره في الآيات مطلقا بلا قيد فهو فرح مذموم ، فاذا قيد لم يكن ذما .

---

(١) سورة الروم آية ٤.
(٢) سورة آل عمران آية ١٧٠.
(٣) هو محمد بن محمود بن محمد بن عياد العجلي ،الملقب بشمس الدين الاصفهاني أبو عبدالله ولد بأصفهان ثم رحل الى بغداد فتعلم فيها ، ودرس بمصر وتولى القضاء فيها وكان اماما متكلما فقيها أصوليا أديبا شاعرا منطقيا ورعا متدينا كثير العبادة والمراقبة صنف في المنطق ،وأصول الفقه . توفي سنة ٦٨٨ هـ بالقاهرة (انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٠٠ ،شذرات الذهب ٥/ ٤٠٦).
(٤) سورة الرعد آية ٣٦.
(٥) سورة القصص آية ٧٦.
(٦) سورة هود آية ١٠.
(٧) سورة آل عمران آية ١٧٠.
(٨) الجامع لاحكام القرآن جـ ٨ ص ٣٥٣-٣٥٤.

This file was downloaded from Quranic Thought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعلى هذا ، فالفرح المشار اليه في آيات سورة غافر هو الفرح المذموم على اختلاف آراء المفسرين حول المعنى المباشر للفرح هنا ، فهو مذموم سواء أكان المقصود به :

أ - الفرح بالشرك والمعاصي والسرور بمخالفة الرسل والكتب وانكار البعث. (١)

ب - أو الفرح بما يصيب أنبياء الله وأولياءه من المكاره (٢) .

جـ - أو الفرح بالمال والأتباع والصحة. (٣)

د - أو كان فرح بطر وتكبر. (٤)

فأما قوله تعالى : "ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾" (٥)

(أى تقول لهم الملائكة هذا الذى أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ،بئس المنزل والمقيل الذى فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه (٦) . وفي ذلك يقول صاحب التحرير والتنوير:

(وهذا الذم لهم مناسب تماما لما كان منهم في الدنيا ، استهزاء باستهزاء ، والكبر الذى كان نتيجة الفرح بغير الحق لمناسب لهم هذا المقام الدائم (٧)).

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ١٥ ص ٣٣٣ ، فتح القدير / الشوكاني جـ٤ ص ٥٠٢ ، تفسير الجلالين / السيوطي ص ٦٢٨ ، أيسر التفاسير / الجزائرى جـ٤ ص ١٠٠.

(٢) روح المعاني / الألوسي جـ٢٤ ص ٨٦-٨٧.

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٣٣٣ ، فتح القدير الشوكاني جـ٤ ص ٥٠٢

(٤) انظر روح المعاني / الالوسي جـ٢٤ ص ٨٦ ، ٨٧ ، فتح القدير الشوكاني جـ٤ ص ٥٠٢.

(٥) سورة غافر آية ٧٥-٧٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٨٩.

(٧) محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٢٠٦-٢٠٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم تحدثت سورة غافر عن نوع آخر من الفرح المذموم ، يقول تعالى عنه : " فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ " (١)

وذلك (لأنهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات لم يلتفتوا اليهم ، ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم مما جاءتهم به الرسل) (٢) وقد أورد المفسرون أكثر من معنى حول المقصود بالفرح هنا منها (ما قاله مجاهد (٣) ان الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث . وقيل : فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو :

" يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " (٤)

وقيل : ان أصل المعنى فلما جاءتهم رسلهم - أي الكفرة - بالبينات لم يفرحوا بما جاءهم من العلم فوصفوا موضعه بما عندهم من الجهل ، ثم سمي ذلك الجهل علما لاغتباطهم به ووضعهم اياه مكان ما ينبغي لهم من الاغتباط بما جاءهم من العلم وفيه التهكم بفرط جهلهم والمبالغة في خلوهم من العلم) (٥) وقد كان لصاحب الظلال وقفة أمام هذه الآية تحمل معنى آخر قال فيها : " والعلم بغير

---

(١) سورة غافر آية ٨٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٩٠ .

(٣) هو مجاهد بن جبر المكي المخزومي مولاهم الامام التابعي الشهير قال النووي اتفق العلماء على امامته وجلالته وتوثيقه فهو امام في الفقه والتفسير والحديث . توفي سنة ١٠٣هـ (انظر ترجمته في تهذيب الاسماء واللغات ٢/٨٣ ، شذرات الذهب ١/١٢٥) .

(٤) سورة الروم ٧ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ، جـ٤ ص ٩٠ ، تفسير الطبري جـ٢٤ ص ٥٨ ، الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣٣٦ ، روح المعاني / الألوسي جـ٢٤ ص ٨٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ايمان فتنة ، فتنة تعمى و تطغى . ذلك أن هذا اللون من العلم الظاهرى يوحي بالغرور اذ يحسب صاحبه انه يتحكم بعلمه هذا في قوى ضخمة ، و يملك مقدرات عظيمة ،فيتجاوز بنفسه قدرها و مكانها . وينسى الآماد الهائلة التي يجهلها . وهي موجودة في هذا الكون ،ولا سلطان له عليها . بل لا احاطة له بها . بل لا معرفة له بغير أطرافها القريبة ،وبذلك ينتفخ فيأخذ أكثر من حقيقته ويستخفه علمه وينسى جهله . ولو قاس ما يعلم الى ما يجهل ،وما يقدر عليه في هذا الكون الى ما يعجز حتى عن ادراك سره لطامن من كبريائه ،وخفف من فرحه الذى يستخفه .

وهؤلاء فرحوا بما عندهم من العلم واستهزأوا بمن يذكرهم بما وراءه : " وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ".

فلما عاينوا بأس الله ، سقط عنهم القناع ،وأدركوا مدى الغرور ، واعترفوا بما كانوا ينكرون ،وأقروا بوحدانية الله ،وكفروا بشركائهم من دونه ، ولكن الأوان /كان قد فات)(١).

وعلى هذا فالفرح المشار اليه في آيات سورة غافر هو الفرح المذموم على اختلاف آراء المفسرين حول المعنى المباشر له كما أشرت سابقا .

---

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب ٥/ ٣١٠١ - ٣١٠٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المسألة الثانية : في المرح بغير حـــق

المرح : (شدة الفرح والتوسع فيه قال تعالى :

" وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا "

وقرئ (مرِحا) أى فَرِحا) .(١)

وعلى ذلك فالفرح ،ضد الترح وهو انشراح الصدر بلـذة عاجلة . والمرح : شدة الفرح والتوسع فيه .

الا أن هناك من لم يفرق بين الفرح والمرح كالألوسي حين قال : (المرح ،الفرح والبطر) .(٢) وأبوالسعود(٣) حين قال (مرحا : أى فرحا)(٤) والامام القرطبي حين كان يتحدث عن المرح . والمعاني التي طرحها المفسرون بصدده . ثم قال : (وهذه الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين : أحدهما مذموم ،والآخر محمود ، فالتكبر والبطر والخيلاء وتجاوز الانسان قدره مذموم والفرح والنشـاط محمود)(٥) .

---

(١) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٤٦٦ والآية من سورة الاسراء آية ٣٧ .

(٢) روح المعاني جـ٢١ ص ٩٠ .

(٣) هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادى ،الحنفي ، وهو من بيت عرف أهله بالعلم والفضل ،تتلمذ لكثير من جُلـة العلماء ثم عظم صيته وطارت شهرته ،فتولى التدريس في كثير من المدارس التركية ثم القضاء ثم الفتوى وقام بها خير قيام ، الا أن كل ذلك كان عائقا له عن التفرغ للتصنيف والتأليف الا ما كان من كتابه التفسير وبعض الحواشي على تفسير الكشاف ،توفي سنة ٩٨٢ هـ بالقسطنطينية .(انظر وفيات الأعيان/جـ٢٨٢-٣٠٥) .

(٤) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم جـ٧ ص ٧٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن جـ١٠ ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الا أنني أميل الى ما ذهب اليه صاحب التحرير والتنوير حين قال : (الفرح المسرّة ورضا الانسان على أحواله ، فهو انفعال نفساني ، والمرح : ما يظهر على الفارح من الحركات في مشيه ونظره ومعاملته مع الناس وكلامه وتكبره فهو هيئة ظاهرية) . (١)

ومن استقراء آيات القرآن الكريم نجد أن الآيات التي تتحدث عن المرح تنحصر في ثلاث آيات يقول الله تعالى في سورة الاسراء :

" وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا " (٢)

كما يقول في سورة لقمان أيضا :

" وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا " (٣)

وأخيرا في سورة غافر :

" ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ " (٤)

والتي يتضح من خلالها أن المرح مذموم كله بلا استثناء وبكل ما ذهب اليه المفسرون من أقوال حين ذهب بعضهم الى أن المقصود به التوسع في الفرح حتى ينسى المرء الآخرة ويشتغل بالنعمة عن المنعم (٥) ، وبذلك يتجاوز الانسان قدره (٦) ويدخل في ذلك الزيادة في البطر والاشر (٧)

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) آية ٣٧ .

(٣) آية ١٨ .

(٤) آية ٧٥ .

(٥) انظر روح المعاني / الألوسي جـ٢٤ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٠ ص ٢٦٠ .

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٠ ص ٢٦٠ ، روح المعاني / الألوسي جـ٢١ ص ٩٠ ، فتح القدير / الشوكاني جـ٤ ص ٥٠٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والخيلاء والتبختر والتكبر في المشي (١) كما يدخل فيه العدوان .

ولذلك استحق النهاية المناسبة والتي شرحتها سورة غافر في قوله تعالى :

" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ (٢) "

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٣ ص ٤١، ٤٤٧ ، الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٠ ص ٢٦٠ ، روح المعاني / الألوسي جـ١٥ ص ٧٥ ، فتح القدير / الشوكاني جـ٤ ص ٥٠٢ ، تفسير أبو السعود / جـ٥ ص ١٧٢ .

(٢) سورة غافر آية ٦٩ - ٧٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثالث : الاسراف .

السرفة (دويبة تأكل الورق وسمي الاسراف بذلك لتصور معنى الاسراف فيه ، يقال : سُرِفَت الشجرة فهي مسروفة)[١] (وأرض سَرِفة كثيرة السُّرَف ورجل سَرف الفؤاد وسرِف العقل ، فاسده)[٢] .

(وقولهم : مررت بكم فسرفتكم أى جهلتكم ، ومن هذا يتضح أنه تجاوز ما لم يكن حقه أن يتجاوز فجهل فلذلك فسّر به .

فالسرف : تجاوز الحد في كل فعل يفعله الانسان وان كان ذلك في الانفاق أشهر ، قال تعالى :[٣]

" وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ "

وقال : " وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا "[٤]

وقوله : " يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ "[٥]

فتناول الاسراف في المال وفي غيره . ويقال تارة اعتبارا بالقدر وتارة بالكيفية ، ولهذا قال سفيان[٦] : ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف ، وان كان

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٢٣٠-٢٣١ .

(٢) بصائر ذوى التمييز / الفيروزابادى جـ٣ ص ٢١٦ .

(٣) سورة الفرقان آية ٦٧ .

(٤) سورة النساء آية ٦ .

(٥) سورة الزمر آية ٥٣ .

(٦) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون ، الكوفي ثم المكي ، الهلالي مولاهم ، أبو محمد وهو من تابعي التابعين ، قال النووى : " روى عنه خلائق لا يحصون من الأئمة ، واتفقوا على امامته وجلالته وعظم مرتبته ، ولم يكن له كتب ، وحج سبعين حجة ومناقبه كثيرة

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قليلا ، قال الله تعالى :
" وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (١)

وقال :
" وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ " (٢)

أى المتجاوزين الحد في أمورهم وقال :
" إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ " (٣) (٤)

هذا التجاوز قد يأتي في القرآن الكريم بهذا المعنى بلا قيد كما ذهب الى ذلك الامام النسفي وصاحب تفسير الجلالين (٥) عند قوله تعالى :
" إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ " (٦)

وأحيانا يأتي مقيدا بالشرك ، كما ذهب الى ذلك ابن كثير ، والقرطبي ، والالوسي والنسفي (٧) عند قوله تعالى :
" وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ " (٨)

وقوله : " وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ " (٩)

فالاسراف هو الشرك والمسرفون هم المشركون من باب أن الاشراك اسراف

=== مشهور . وكان اماما مجتهدا ، توفي بمكة سنة ١٩٨هـ ودفن بالحجون (انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٢ تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤ ، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠ ، طبقات المفسرين ١/ ١٩٠ ، وفيات الأعيان ٢/ ١٢٩) .

(١) سورة الانعام آية ١٤١ .
(٢) سورة غافر آية ٤٣ .
(٣) سورة غافر آية ٢٨ .
(٤) المفردات في غريب القرآن / الاصفهاني ص ٢٣٠-٢٣١ .
(٥) تفسير النسفي جـ ٤ ص ٧٧ .
تفسير الجلالين / السيوطي ص ٦٩١ .
(٦) سورة غافر آية ٢٨ .
(٧) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٨٢ / الجامع لاحكام القرآن جـ ١٥ ص ٣١٣ روح المعاني جـ ٤ ص ٧٢ / تفسير النسفي جـ ٤ ص ٨٠ .
(٨) سورة طه آية ١٢٨ .
(٩) سورة غافر آية ٣٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في الضلالة ، وأحيانا يأتي مقيدا بالمعصية كما في آية سورة غافر السابقة (وهذا ما ذهب اليه الألوسي والنسفي)(١) او مقيدا بالكذب كما في قوله تعالى :

" ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ⑨ "(٢)

وقال مجاهد والشعبي(٣) المسرفون : هم السفهاء والسفاكون للدماء بغير حقها ، وقال عكرمة(٤) : الجبارون والمتكبرون .

وقيل : كل من غلب شره خيره فهو مسرف .

---

(١) روح المعاني جـ٢٤ ص ٦٨ ، تفسير النسفي جـ٤ ص ٧٨ عند قوله تعالى " ولقد جاءكم يوسف من قبل .. "

(٢) سورة الأنبياء آية ٩ .

(٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار / الشعبي ، أبو عمرو ، وهو من حمير ، وهو تابعي كوفي قال ابن خلكان : " جليل القدر ، وافر العلم ، عالم الكوفة " له مناقب وشهره ، توفي بالكوفة سنة ١٠٣ هـ وقيل غير ذلك ، وقد أدرك خمسمائة من الصحابة أو أكثر (انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ١٢٧/٢ ، طبقات المفسرين ١٨٦/١ ، تاريخ بغداد ١٥١/٩ ، تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ ، حلية الأولياء ٣٥٦/٦ ، صفة الصفوة ١٤٧/٣) .

(٤) هو عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس أبو عبد الله ، أحد فقهاء مكة من التابعين الأعلام ، أصله بربري من أهل المغرب توفي سنة ١٠٤ هـ وقيل غير ذلك ، انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٠/١ ، شذرات الذهب ١٣٠/١ ، وفيات الأعيان ٤٢٧/٢ ، طبقات المفسرين للداودي ٣٨٠/١) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقيل : هم الذين تعدوا حدود الله ، وهذا جامع لما ذكر)(١) .

الا أن المعنى الشائع في القرآن للاسراف هو الخروج عن حد الاعتدال في معارضة الايمان بالله وهذا ما أشار اليه صاحب كتاب " من مفاهيم القرآن " حين قال : (تأتي كلمة الاسراف في القرآن الكريم في كثير من دلالتها بمعنى الخروج عن حد الاعتدال في معارضة الايمان بالله والمسرف بهذا المعنى الكثير الشائع فيه : هو من يتشدد في معارضته للايمان ويبالغ في الكفر بالله)(٢) .

فنقرأ ما جاء في قصة الرجل المؤمن من من آل فرعون في قوله تعالى :

" وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ "(٣)

فبعد أن وضح مؤمن من آل فرعون حجته على طريقة التقسيم ختمها بقوله : (ان الله لا يهدى من هو مجاوز للحد كذاب في ادعائه وقد أوهم أنه عنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون)(٤) فهو تعريض بفرعون بأنه مسرف سواء في عناده(٥) أو في قتله ، وفساده ، كذاب في ادعاء الربوبية ، لا يهديه الله تعالى سبيل الصواب ومنهاج النجاة .(٦)

---

(١) تفسير القرطبي جـ١٥ ص ٣١٧- ٣١٨ ، روح المعاني جـ٢٤ ص ٧٢ .
(٢) محمد البهي ص ٢٤٨ .
(٣) سورة غافر آية ٢٨ .
(٤) تفسير النسفي جـ٤ ص ٧٧ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣٠٨ .
(٦) روح المعاني / الألوسي جـ ٢٤ صفحة ٦٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالحكم هنا بأن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب (يتناول فرعون أولا ... ،ثم من هو على شاكلته و من ملئه . وفرعون وملؤه كانوا من أشد المعارضين لرسالة موسى وللإيمان بالله .) (١)

وعلى هذا النحو ما جاء في قصة يوسف عليه السلام :

" وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ " (٢)

فالمسرفون هنا (أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا يدعو الى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة الا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوى ولهذا قال الله تعالى " فما زلتم في شك . . " أى يئستم فقلتم طامعين : لن يبعث الله من بعده رسولا وذلك لكفرهم و تكذيبهم وكحالهم هذا يكون حال من يضله الله لاسرافه في أفعاله وارتياب قلبه) . (٣)

(من المشركين الشاكين في وحدانية الله تعالى) (٤) (لغلبة الوهم والانهماك في التقليد) . (٥)

وأخيرا وفي ضوء سورة غافر وردت لفظة الاسراف على لسان مؤمن آل فرعون للمرة الثالثة حين دعاه قومه الى عبادة أوثانهم فقال لهم :

" لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ " (٦)

---

(١) من مفاهيم القرآن / محمد البهي ٢٤٩ .

(٢) سورة غافر آية ٣٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ ٤ ص ٨٠ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرطبي جـ ١٤ ص ٣١٣ .

(٥) روح المعاني / الألوسي جـ ٢٤ ص ٦٨ .

(٦) سورة غافر آية ٤٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيقول لهم ذلك المؤمن (ما بالي أدعوكم الى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم الذى بعثه ، فتدعونني لأكفر بالله وأشرك به على جهل بلا دليل والخير أن مردنا الى الله في الدار الآخرة فيجازى كلا بعمله ولهذا قال :

" وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ "

أى خالدين فيها باسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل) (١) وان كنت أميل الى ما ذهب اليه صاحب كتاب التحرير والتنوير حين قال : ان الاسراف الذى ورد على لسان المؤمن (يراد به هنا سفك الدم بغير حق ليصرف فرعون عن قتل موسى عليه السلام ، والوجه : أن يعم أصحاب الجرائم والآثام ، والتعريف فيه تعريف الجنس المفيد للاستغراق وهو تعريض بالذين يخاطبهم اذ هم مسرفون على كل تقدير ، فهم مسرفون في افراط كفرهم بالرب الذى دعا اليه موسى ومسرفون فيما يستتبعه ذلك من المعاصي والجرائم) (٢) ، وبذلك يكون الاسراف هنا معنى عاما تدخل فيه جميع الوجوه التي عرضت سابقا والتي أوردها الامام القرطبي والألوسي في تفسيريهما . (٣)

ونخرج من كل ما مضى أن العقيدة السليمة هي التي تحفز نحو السلوك الطيب وانتفاء العقيدة أو انحرافها يقود الى كل الاحتمالات السلبية والتفكك والانحراف ان لم يكن الى الكفر ، وعليه فلا مكانة للأخلاق بغير عقيدة ، وقد تنقلب الأخلاق الى شواكل معكوسة من السلوك الذميم الذى

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨١-٨٢ .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٥٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ ص ٣١٧ - ٣١٨ روح المعاني جـ٢٤ ص ٧٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يتمثل في الرذائل والفواحش على اختلافها ، وما نعيشه اليوم مخيما على سماء غالبية الجيل المسلم من اضطرابات خلقية لهو مؤشر خطير على عدم ثبات العقيدة في النفوس ، لأنه اذا ما علمنا أن الجيل الأول حين عاش العقيدة الصحيحة فأصبح سيد العالم وفتح القلوب بأخلاقه كما فتح البلاد بجهاده فأخشى أن تكون هذه الاضطرابات الخلقية التي تعيشها الأجيال هي الوسيلة لاغلاق القلوب ، يقول كات ستيفنز والذى يعرف بيوسف اسلام بعد اسلامه (حمدت الله على أنني اعتنقت الاسلام قبل أن اجتمع بأحد من المسلمين وقبل أن أتعرف على خلافاتهم) . (١)

ولربط أخلاق الأمة بالعقيدة لابد أن يسعى الدعاة وفي ضوء ذلك تكون الدعوة الى الله .

---

(١) توجيهات اسلامية / محمد زينو ص ٢٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الباب الثاني

أساليب الدعوة في سورة غافر

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أسلوب الجدل .

الفصل الثاني : أسلوب القصة .

الفصل الثالث : أسلوب الترغيب والترهيب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الأول

أسلوب الجدل .

ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الجدل لغة واصطلاحًا .

المبحث الثاني : أقسام الجدل .

المبحث الثالث : الموضوعات التي جادل فيها القرآن من خلال السورة .

المبحث الرابع : المجادلات التي وردت في السورة .

المبحث الخامس : أهمية الجدل للداعية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الأول :

تعريف الجدل لغة واصطلاحًا .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفصل الأول

أسلوب الجدل

المبحث الأول : تعريف الجدل لغة واصطلاحا

أولا - في اللغة :

الجَدَلُ مشتق من الجَدْلِ ، وهو شدة الفتل ، تقول : جدلت الحبل أجدِلُه جَدْلا اذا شددت فتله وفتلته فتلا محكما .

قال ابن سيده (١) : جَدَلُ الشيء يَجْدِلُه جَدْلاً ، أحكم فتله ، ومنه قول امرؤ القيس : (٢)

وكشح لطيف كالجديل مُخصَّر
وساق كأنبوب السقي المذلل (٣)

والجَدْلُ : كل عظم مُوفَّر كما هو لا يكسر ، ولا يخلط به غيره .

---

(١) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي ، المرسي ، الضرير ، المعروف بابن سيده ، ولد بمرسيه ، كان عالما بالنحو واللغة والأشعار ، وأيام العرب وما يتعلق بعلومها ، توفى بدانيه سنة ٤٥٨ هـ (انظر ترجمته في : وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٤٣١ ، البداية والنهاية لابن كثير ، ١٢/ ٩٥ ، شذرات الذهب لابن العماد ٣/ ٣٠٥) .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندى ، الشاعر الجاهلي المشهور ، الملقب بذى القروح ، قال ابن خالويه ، لأن قيصر أرسل اليه حلة مسمومة فلما لبسها أسرع السم اليه ، فتثقب لحمه ، فسمي ذا القروح .

(انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ١/ ٥٢ - ٨٦ ، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٢٥) .

(٣) شرح ديوان امرئ القيس ص ٣٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي حديث عائشة رضي الله عنها " العقيقة تقطع جُدُولا لا يكسر لها عظم "(١) والجُدول : جمع جَدْل وجِدْل بالفتح والكسر وهو العضو .

والجَدْل : الصَّرْع . وجَدَله جَدْلاً وجَدْله فانجدل وتجدّل : صرعه على الجَدالة وهو مجدول ، وقيل للصريع مجدَّل لأنه يصرع على الجدالة)(٢) .

قال الزمخشري(٣) : طعنه فجدله أي ألقاه على الجَدالة وهي الأرض(٤) .

---

(١) الفتح الرباني ،أحمد البنا جـ١٣/ كتاب الذبائح باب : وقت العقيقة وتسمية المولود ،الزوائد ص ١٣٠/ وقال صاحب المستدرك : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، قلت ـ أي البنا ـ وأقره الذهبي .

(٢) انظر لسان العرب / ابن منظور / جـ١١ ص ١٠٣ .

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ،جار الله ، أبو القاسم ،علامة التفسير والحديث والنحو واللغة والبيان ،صاحب المصنفات الحسان في الفنون المختلفة ،أشهر كتبه " الكشاف في التفسير " و " أساس البلاغة " في اللغة ،وله غيرها كثير ،توفي سنة ٥٣٨ هـ (انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤/ ٥٤ ومابعدها ، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣١٤ ،شذرات الذهب ٤/ ١١٨) .

(٤) أساس البلاغة ص ٥٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي حديث علي حين وقف على طلحة (١) وهو قتيل فقال :

" أعزز عليّ أبا محمد ان أراك مجدلا تحت نجوم السماء أي ملقى على الأرض قتيلا ". (٢)

والاسم ، الجَدَل : وهو شدة الخصومة .

والجَدَل ، اللدد في الخصومة والقدرة عليها .

والجَدَل : مقابلة الحجة بالحجة .

والمجادلة : المناظرة والمخاصمة .

ورجل جَدِل ومِجْدل ومِجْدال : شديد الجَدَل .

ورجل جَدِل : اذا كان أقوى في الخصام .

ويقال : جادلت الرجل فجدلته جدلا : أي غلبته .

وجادله : أي خاصمه مُجادلة وجدالاً .

وقوله تعالى :

" وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ " (٣)

قال أبو اسحق : قالوا معناه : لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه فيخرجه الى ما لا ينبغي .

---

(١) هو ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ، القرشي التيمي المالكي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، له عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قتل على يد مروان بن الحكم سنة ٣٦ هـ (انظر ترجمته : حلية الأولياء ١/ ٨٧ ، صفة الصفوة ، ١/ ١٣٠ ، أسد الغابة ٣/ ٨٥ ، الاصابة ٥/ ٢٣٢ - ٢٣٥ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٢٣-٤٠) .

(٢) لسان العرب جـ ١١ ص ١٠٣- ١٠٤ (والحديث موجود في : سير أعلام النبلاء جـ١ ص ٣٦) . قريبا منه .

(٣) سورة البقرة آية ١٩٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي الحديث : " ما أوتي الجدل قوم الا ضلوا " (١) ، يقول صاحب لسان العرب : (والمراد في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا لاظهار الحق) . (٢)

ثانيا - الجدل اصطلاحا :

قال صاحب التعريفات : (الجدل : دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة ، أو شبهة وهو الخصومة في الحقيقة ، والغرض منه الزام الخصم ، وافحام من هو قاصر عن ادراك مقدمات البرهان) . (٣)

وقال صاحب كتاب الكليات (الجدل : هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون الا بمنازعة غيره) . (٤)

وقال صاحب كتاب مفتاح السعادة (علم الجدل : هو علم باحث عن الطرق التي يُقتدر بها على إبرام أى وضع أريد وعلى هدم أى وضع كان ..... والغرض منه تحصيل ملكة الهدم والابرام) . (٥)

---

(١) اخرج الامام أحمد في مسنده قريبا منه من حديث أبي أمامة جـ٥ ص ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، كما أخرج ابن ماجه في سننه قريبا منه ، ما نصه (عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل " ثم تلا هذه الآية " بل هم قوم خصمون " الزخرف ٥٨) جـ١ باب اجتناب البدع والجدل ، حديث رقم ٤٨ ص ١٩ .

(٢) لسان العرب / ابن منظور جـ١١ ص ١٠٣ - ١٠٥ .

(٣) الجرجاني ص ٧٤ - ٧٥ .

(٤) أبو البقاء العكبرى جـ٢ ص ١٧٢ .

(٥) مفتاح السعادة ومصباح السيادة / طاش كبرى زاده جـ١ ص ٢٨١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعلى هذا فخلاصة التعريف : ان الجدل هو : المنازعة أو الخصومة بين طرفين لا لاظهار الصواب بل الغرض منه هو الزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال .

فاذا خرجت عن ذلك الغرض الى غرض آخر ، وهو الوصول الى الصواب كانت مناظرة .

يقول صاحب كتاب التعريفات : (هي النظر بالبصيرة من الجانبين ، في النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب) .(١)

ويقول صاحب كتاب مفتاح السعادة (وهو علم يبحث عن كيفية ايراد الكلام بين المناظرين لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب) .(٢)

والنتيجة أن المناظرة هي الأولى بالاعتبار من الجدل .

والسؤال : أن الأصل في الأمر أنه من المحال أن يأمر الله بغير طريق الصواب ، أو يجعل رسله يسلكون غيره ، فكيف تكون المناظرة هي الأولى بالاعتبار من المجادلة ، والقرآن يأمر بالجدل في قوله تعالى :

" وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "(٣)

وقوله :

" وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "(٤)

---

(١) الجرجاني ص ٢٣٢ .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة / طاش كبرى زاده جـ١ ص ٢٨٠ .

(٣) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والرد كما يرى الامام أبو زهرة (١) قائلا : ان الجدل قد يطلق في اللغة ويراد منه المناظرة وعلى هذا فالجدل في الآيات المقصود منه المناظرة ، ومن هنا قال ابن خلدون (٢) في مقدمته : وأما الجدال فهو معرفة آداب المناظرة).(٣)

وان كنت أرى غير ذلك لأن المناظرة تكون بين طرفين كلهم يهدف الى الصواب كما يقول صاحب التعريفات (٤) ، ولما علم الله عنهم أنهم لا يهدفون الى الحق بل يقصدون العناد واللجاج ، والجدل بقصد الهدم قال لرسوله : " وجادلهم " ولكن " بالتي هي أحسن " ولهذا أصل عند صاحب المصباح المنير ، الذى قال " ان أصل الجدال : المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهو محمود ، ان كان للموقوف على الحق والا فمذموم).(٥)

---

(١) هو محمد بن أحمد أبو زهرة ، من أكبر علماء الشريعة الاسلامية في عصره ولد بمدينة المحلة الكبرى ، وتعلم بمدارس القضاء الشرعي ، وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات ، وبدأ اتجاهه الى البحث العلمي في كلية أصول الدين والتي عين بها استاذا محاضرا للدراسات العليا كما كان عضوا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية ، أصدر من تأليفه أكثر من ٤٠ كتابا ، وتوفى سنة ١٣٩٤هـ) انظر الأعلام ٦/ ٢٥).

(٢) هو ولي الدين ، أبو زيد ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد ابن الحسن الحضرمي ، الاشبيلي ، التونسي ، المعروف بابن خلدون ولد بتونس ونشأ بها ، وطلب العلم متنقلا من بلد الى أخرى الى ان رجع الى تونس فأكرمه سلطانها ، الا ان الواشين سعوا به عند السلطان مما اضطره الى الفرار للشرق ثم انتقل الى القاهرة وظل بها الى أن توفي سنة ٨٠٨هـ (انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ٧/ ٧٦-٧٧) ظهر الاسلام لأحمد أمين ٣/ ٢٢٥ ث ٢٢٨ ، معجم المؤلفين ٥/ ١٨٨-١٨٩).

(٣) تاريخ الجدل ص ٦.

(٤) الجرجاني ص ٢٣٢.

(٥) انظر المصباح المنير / الفيومي ١/ ٤٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقول صاحب لسان العرب حين أورد قوله صلى الله عليه وسلم :

" ما أوتي الجدل قوم الا ضلوا "(١) قال : والمراد به في الحديث الجدل على الباطل ، وطلب المغالبة به لا لإظهار الحق فان ذلك محمود لقوله عز وجل :

" وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "(٢)

وسورة المجادلة :

" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ "(٣)

وهما يتجادلان في ذلك الأمر).(٤)

وعلى هذا فالخلاصة أن الجدل له معان متعددة فهو :

١ - يأتي بمعنى اللدد والشدة في الخصومة.

٢ - ويأتي بمعنى مقابلة الحجة بالحجة.

٣ - ويأتي بمعنى مراجعة الكلام.

وبكل منها ورد القرآن .

فأما ما كان بمعنى اللدد والشدة في الخصومة فقد قال تعالى :

" مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا "(٥)

وقال :

" وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ "(٦)

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥.

(٣) سورة المجادلة آية ١.

(٤) ابن منظور / جـ١١ ص ١٠٥.

(٥) سورة الزخرف آية ٥٨.

(٦) سورة غافر آية ٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما ما كان بمعنى مقابلة الحجة بالحجة فقد قال تعالى :

" وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ " (١)

وقال : " وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ " (٢)

وأما ما كان بمعنى مراجعة الكلام ، فقد قال تعالى :

" قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ " (٣)

ومن هنا كان لا بد لنا من الحديث عن أقسام الجدل بالتفصيل تتمة لهذا المبحث ، وهذا ما سنتطرق له في المبحث القادم ان شاء الله .

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

(٣) سورة المجادلة آية ١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثاني :
أقسام الجدل .

أولاً : الجدل الممدوح .

ثانياً : الجدل المذموم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الثاني : أقسام الجدل

قبل أن نتحدث عن أهمية الجدل للداعية كأسلوب من أساليب دعوته قد يعترضنا سؤال وهو كيف نوفق بين كون الجدل وسيلة من وسائل الدعوة الى الله وبين ذم القرآن للجدل ولا سيما أن محور سورة غافر كله يدور حول ذم الجدل ، والمجادلين والحكم عليهم بالكبر والكفر وتصوير نهاياتهم السيئة ، وهذا التوفيق يأتي من معرفة أن الجدل منه ما هو مذموم ، ومنه ما هو ممدوح .

وبيان ذلك يتضح فيما يلي :

أولا - الجدل الممدوح :

حين نتحدث عن الجدل وسيلة الى الدعوة الى الله فنحن نتحدث عن الجدل الممدوح الذى هو منهج لتقرير الحق ونصرته ، والدعوة اليه والذب عن دين الله ورد الشبه والشكوك وتوضيح الحقائق ، ومقارعة الباطل بالحجة ، والبرهان كما أقره القرآن الكريم آمرا :

"ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (١)

والذى هو حرفة الأنبياء عليهم السلام ، قال تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم : "وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"

وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه السلام :

"يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا" (٢) (٣)

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) سورة هود آية ٣٢ .

(٣) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ ٢٧ ص ٢٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والذى هو جهاد في سبيل الله ، يقول صاحب الانصاف : (وأما الجدال فيها - أى في آيات الله - لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة العلماء في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها وبها، فأعظم جهاد في سبيل الله)(١) بل هو الجدال الواجب ، يقول صاحب فتح البارى في حديث وفد نجران : (جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب اذا تعينت مصلحته)(٢) ، ومن هنا تنبع أهمية الجدل كوسيلة للدعوة الى الله لأن من وظيفة الداعية تقرير الحق و قطع حجج المعاندين و حسم دعواهم و افحامهم ، ومع ذلك فهذا موضوع جد خطير فنحن لا نطرحه كموضوع مطلق نترك فيه للنفس العنان دون حدود ولا قيود بل نتتبعه في ضوء المنهج الذى رسمه القرآن الكريم في ظل الآيات الخالدات وتحت الحدود التي أوضحها لنا سلف الأمة أثابهم الله والتي هي :

أولا : قوله تعالى :

" هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ "(٣)

وفي ضوء هذا نرى أن الجدل المأمور به لا بد أن يكون بعلم ، وفي هذا يقول ابن تيميه رحمه الله (والله لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم ان لم تكن علما ، فلو قدر أنه قال باطلا لم يأمر الله أن يحتج عليهم بالباطل لكن هذا قد قدر /يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه

---

(١) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (بحاشية الكشاف) / ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير جـ٣ ص ٤١٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني جـ٨ ص ٩٥.

(٣) سورة آل عمران آية ٦٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا لبيان الدعوة الى القول الحق والقرآن مقصوده بيان الحق ودعوة العباد اليه وليس المقصود ذكر ما تناقضوا فيه من أقوالهم) . (١)

ويقول الامام القرطبي رحمه الله موضحا عند تفسيره هذه الآية :

(في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا عِلم له والحظر على من لا تحقيق عنده وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم وايقن فقال تعالى : (٢)
"وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه رجل أنكر ولده فقال يا رسول الله ان امرأتي ولدت غلاما أسود ، فقال هل لك من ابل ؟ قال : نعم ، قال : ما لونها ؟ قال حمر . قال : هل فيها من أورق ؟ قال :نعم قال : فمن أين ذلك ؟ قال : لعل عرقا نزعه ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهذا الغلام لعل عرقا نزعه (٣) وهذه حقيقة الجدال ونهاية في تبين الاستدلال من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤)

ثانيا : في قوله تعالى :

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (٥)

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٤٦٨.
(٢) سورة النحل آية ١٢٥.
(٣) صحيح البخارى جـ٨ كتاب الحدود وما يحذر من الحدود باب٤١ ما جاء في التعريض ص ٣١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ٤ ص ١٠٨-١٠٩.
(٥) سورة النحل آية ١٢٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي ضوئها نرى أن الجدال لا يبدأ به في الدعوة وانما يكون من باب دفع الصائل الذى يأتي بعد الحكمة والموعظة الحسنة يقول ابن تيمية يرحمه الله (وأما الجدل فلا يدعى به ، بل هو من باب دفع الصائل فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن ... فمادام الرجل قابلا للحكمة والموعظة الحسنة أولهما جميعا لم يحتج الى مجادلة فاذا مانع جودل بالتي أحسن).(١)

وعلى هذا فالجدال الممدوح هو (كل جدال أيد الحق أو أفضى اليه بنية خالصة وطريق صحيح).(٢)

*

ثانيا - الجدال المذموم :

ان الله حين ذم الجدل والمجادلين في آيات سورة غافر وغيرها من آيات القرآن الكريم فهو قد ذم الجدل كظاهرة للجحود والشك الذى يؤدى للكفر وخاصة فيما يتعلق بالعقائد كالجدال في :

١ - ذات الله جل ثناؤه وفي صفاته وأسمائه ، كما قال تعالى :

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ (٣)

يقول صاحب كتاب جامع بيان العلم وفضله : (وقد نهى السلف -رحمهم الله عن الجدال في الله - جل ثناؤه - في صفاته وأسمائه) وعلل ذلك بقوله : (لأن الله عز وجل لا يوصف عند جماعة

---

(١) انظر الرد على المنطقيين ص ٤٦٨.
(٢) مناهج الجدل / زاهر بن عواض الألمعي ص ٥٠.
(٣) سورة الرعد آية ١٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أهل السنة الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله أو أجمعت الأمة عليه وليس كمثل شيء فيدرك بقياس أو بانعام نظر ، وقد نهينا عن التفكر في الله وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه) .(١)

ويقول صاحب الكشاف عند قوله تعالى :

" وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ "(٢)

(نزلت في النضر بن الحرث(٣) وكان جدلا يقول : الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على احياء من بلى وصار ترابا ، وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل) .(٤)

---

(١) انظر : ابن عبد البر النمرى ، القرطبي جـ٢ ص ٩٢ .

(٢) سورة الحج آية ٣ .

(٣) هو النضر بن الحرث بن علقمة بن كلده بن عبد مناف ، وكان كما يقول ابن اسحاق من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : (فيما بلغني نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل : اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين وكل ما ذكر فيه من الأساطير فيالقرآن (انظر : السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١) .

(٤) جار الله محمود بن عمر الزمخشرى جـ٣ص ٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢ - الجدال والمراء في القرآن ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر)(١) ، وقد أورد صاحب كتاب جامع بيان العلم وفضله أن : (الآثار كلها في هذا الباب المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم انما وردت في النهي عن الجدال والمراء في القرآن ، وروى سعيد بن المسيب(٢) وأبو سلمة(٣) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " المراء في القرآن كفر "(٤) ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا بوجه من الوجوه .

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ٤/ ١٧٠ ، قريبا منه " ، وقال صاحب الفتح الرباني معلقا : أورده الهيثمي وقال رواه احمد ورجاله رجال الصحيح ، الا أنه مرسل . قلت - أي صاحب الفتح الرباني - يؤيده ما بعده ، عن أبي جهيم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن فذكر نحوه .
(انظر الفتح الرباني - فضائل القرآن و تفسيره وأسباب نزوله ، أبواب القراءات وجوازاختلافها ، باب ما جاء من ذلك مما كان اختلاف الصحابة فيه ١٨/ ٣٩ .

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن ، المخزومي ، أبو محمد ، القريشي ، المدني سيد التابعين ، الامام الجليل ، فقيه الفقهاء ، قال الامام يحيى بن سعيد "كان أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته " جمع الحديث والتفسير والفقه والورع والعبادة والزهد ، توفي سنة ٩٣ هـ وقيل ٩٤ هـ (انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ١/ ٥٤ ، وفيات الأعيان ٢/ ١١٧ ، شذرات الذهب ١/ ١٠٢ ، حلية الأولياء ٢/ ١٦١) .

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني أحد الأعلام ، ليس له اسم وقيل : اسمه عبد الله وقيل اسماعيل ، وقيل اسمه وكنيته واحد ، قال ابن سعد " كان ثقة فقيها كثير الحديث " ونقل أبو عبد الله الحاكم أنه أحد الفقهاء السبعة عن أكثر أهل الأخبار مات سنة ٩٤ هـ وقيل ١٠٤ هـ . (انظر شذرات الذهب ١/ ١٠٥ تذكرة الحفاظ ١/ ٦٣ ، تهذيب التهذيب ١٢/ ١١٥) .

(٤) عون المعبود شرح سنن ابي داود جـ١٢ كتاب السنة باب ٤ (النهي عن الجدال في القرآن) حديث رقم ٤٥٧٩ ص: ٣٥٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والمعنى أن يتمارى اثنان في آية يجحدها أحدهما ويرفعها أو يعير فيها الشك ، فذلك هو المراء الذى هو كفر ، وأما التنازع في أحكام القرآن ومعانيه فقد تنازع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من ذلك).(١)

وعلى هذا فالقرآن حين ذم الجدل وأهله ذم الجدال في الشيء وليس الجدال عن الشيء لأن الأول باطل ، يقول الامام الفخر الرازى (وأما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد من قوله تعالى : "مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا" (٢)

وقال : "مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾" (٣)

وقال : "وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ" (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم (ان جدالا في القرآن كفر) (٥) فقوله : ان جدالا على لفظ التنكير يدل على التمييز بين جدال وجدال ، واعلم أن لفظ الجدال في الشيء مشعر بالجدال بالباطل ولفظ الجدال عن الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه ، والجدال في آيات الله هو أن يقال مرة انه سحر ، ومرة انه شعر ، ومرة انه قول الكهنة ،

---

(١) ابن عبد البر جـ٢ ص ٩٢٠

(٢) سورة غافر آية ٤٠

(٣) سورة الزخرف آية ٥٨٠

(٤) سورة غافر آية ٥٠

(٥) مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٢ (مسند ابي هريرة) ص ٤٧٨ "قريبا منه" . يقول صاحب الفتح الرباني معلقا : وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي (انظر باب الترهيب من الجدال والمراء ١٩/ ٢٧١٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومرة أساطير الأولين ومرة انما يعلمه بشر وأشباه هذا مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة فذكر تعالى أنه لا يغل هذا: الا الذين كفروا وأعرضوا عن الحق (١)

وبذلك نرى أن الجدال المذموم (هو الجدال بالباطل لادحاض الحق والطعن فيه وقصد اطفاء نور الله) (٢) وهو: (كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى اليه) (٣) والذى ينحصر في:

١ - الجدال لنصرة الباطل بالشغب والتمويه بعد ظهور الحق، قال تعالى: (٤)

"وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ"

وقال: (٥) "وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ"

٢ - الجدال بغير علم، قال تعالى: (٦)

"وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣"

ومن هنا نرى أن الآيات حين تذم الجدل والمجادلين في سورة غافر، وغيرها من سور القرآن الكريم فهي منصرفة الى الجدل الذي يرمى الى تقرير الباطل، والآيات حين تدعو الى الجدل كمنهج في

---

(١) انظر التفسير الكبير جـ٢٧ ص ٢٠٩.

(٢) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال / ابن المنير الاسكندرى جـ٣ ص ٤١٣.

(٣) مناهج الجدل، زاهر بن عواض الألمعي ص ٦٢.

(٤) سورة غافر آية ٥.

(٥) سورة الكهف آية ٥٦.

(٦) سورة الحج آية ٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الدعوة الى الله تتصرف الى الجدل الذى يفيد تقرير الحق ، يقول الفخر الرازى : (ومن هنا نرى أن طريق التوفيق بين الآيات الأولى والثانية (١) أن تصرف تلك الآيات الى الجدل الذى يفيد تقرير الحق وأن تصرف هذه الآيات الى الجدل الذى يوجب تقرير الباطل) . (٢)

---

(١) الآيات الأولى المقصود بها الآيات الكثيرة الدالة على أن الجدال موجب للمدح والثناء من مثل قوله تعالى " وجادلهم بالتي هي أحسن " والآيات الثانية هي الدالة على ذم الجدل من مثل قوله تعالى " ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا ".

(٢) التفسير الكبير جـ٢٧ ص ٢٢٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثالث :

الموضوعات التي جادل فيها القرآن من خلال السورة.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الجدال لإثبات الوحدانية.

المطلب الثاني : الجدال في أمر البعث.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الثالث : الموضوعات التي جادل فيها القرآن الكريم من خلال السورة .

تمهيـــد : من يوم أن أهبط آدم الى الأرض وأرسل الله الرسل ، وأنزل الهدايات والكتب ، والناس في جدال وصراع مستمر ، وقد عرض لنـــا القرآن الكريم أنماطا كثيرة من الجدال بين الرسل وأقوامهم بصفة خاصة ، وما دار حول ذلك من الصراع بين الحق والباطل بصفـة عامة .

واذا تأملنا في القرآن الكريم فاننا لا نكاد نجد فيه لفتة الى ما قبل الرسالة المحمدية الا وجدنا فيها جدالا ونقاشا حتى اذا جـــاء الاسلام وأظهر دعوته الخالصة وأعلن كلمته الفاصلة بين عقيدة التوحيد ومعتقدات الوثنية الضالة قامت قريش تفاوض الرسول وتناقشه ، وكان الجواب صريحا وحازما بالفصل بين العقيدتين : عقيدة التوحيد ، وعقيدة الوثنية ، ومن هنا كان من أهم ما جادل فيه المجادلون قضية الوحدانية . ومـــن هنا امتلأ القرآن الكريم بالأدلة التي تجعل العقول تستسلم لما أراد رب العزة ، ولم يبقَ بعيدا عن هذه الساحة الربانية الا من أغلـــق قلبه دون أنوار الله وأصم أذنيه عن ندائه .

ثم لما كان الاقناع بحياة أخرى بعد الموت من الأمور المستبعدة ، اذ كيف تتحول تلك الجثة الهامدة والتي أصبحت ترابا الى بشر سوى مرة أخرى ، كانت هذه هي القضية الثانية في الأهمية التي كثر الجدال حولها .. بل ان الجدال في أمر البعث وانكار حقيقته يسير جنبا الـــى جنب مع قضية الوحدانية في الغرابة والاستبعاد .

ومن هنا كثرت الأدلة والبراهين القاطعة حول هاتين القضيتين ، وعرف ذلك في نماذجَ حيةٍ متضمنةً شُبَهَ المنكرين المجادلين ثم المناقشـــة لها بالمنطق الصحيح المبطل للشبه والملابسات بالبراهين العقلية التـــي تعيد للانسانيـة طمأنينتها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن هنا كان من الطبيعي جدا أن تكون لسورة غافر وقفة أمام هاتين القضيتين خاصة وأن محور السورة كله يدور حول الذين يجادلون في آيات الله تكذيبا وعنادا مع وضوحها فجاء ذكرهم في أربع صور متفرقة من السورة .

المطلب الأول : الجدال في اثبات الوحدانية في ضوء سورة غافر .

(لما كان هذا النوع من أنواع التوحيد - توحيد الألوهية - هو مناط الايمان بالله وحده واخلاص العبادة له :

" وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ " (١)

أفصح عنه القرآن الكريم كل الافصاح وأبدى فيه وأعاد وضرب لذلك الأمثلة المحسوسة والمشاهدة التي يعيشها المخاطب ويتعامل معها بعقله ومشاعره .

لذا نجد في كل سورة من سور القرآن الكريم الدلالة على هذا التوحيد اذ ان الخصومة بين الأنبياء ، وأممهم انما كانت في هذا النوع من أنواع التوحيد ، فالشرك الذى حدث من جميع الأمم انما كان في هذا النوع . اما توحيد الربوبية فعامة مشركي الأمم مقرون بالخالق . . أى أنه لا خالق الا الله تبارك وتعالى :

" وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩ " (٢)

---

(١) سورة البينة آية ٥ .

(٢) سورة الزخرف آية ٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله تعالى : "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾" (١) (٢)

ومع ذلك لم يُدخلهم اقرارهم بوجود الله في التوحيد الذى بعث الله من أجله الرسل - توحيد الألوهية - ولكنهم ملزمون بإقرارهم ، فانه اذا ثبت أن خالق هذا الكون موجود ثبت أنه واحد (لأن الصنعة مفتقرة الى الصانع وليست مفتقرة الى الى ما زاد على الصانع فصار وجود مازاد على الصنعة جائزا والجائز الوجود لا يجوز أن يكون الها مبدعا قديما). (٣)

ومع ذلك فقد كثرت الأدلة في اثبات وجود الله تعالى والتي هي أدلة قاطعة على اثبات وحدانيته سبحانه فيقول سبحانه موضحا هذه الحقيقة :

"لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾" (٤)

يقول صاحب كتاب مناهج الجدل في القرآن الكريم (واعلم أن تقرير الدليل أن يقال الله واحد لأن التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمدبرين ،فكيف ينتظم التدبير العام في جميع هذا الكون بمدبرين ؟ فلو وجد ذلك لتنازعت الارادتان بين سلب وايجاب ،اذ يريد أحدهما حياة شخص والآخر موته أو اسعاده و الآخر اشقاءه . وهذا التنازع يؤدى

---

(١) سورة الزخرف آية ٨٧

(٢) انظر منهج القرآن في الدعوة الى الايمان / علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ص ١١٥-١١٦.

(٣) استخراج الجدال من القرآن الكريم / عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي ص ٨٣.

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الى فساد السموات والأرض لتخالف الارادات ، ولكنهما صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدى الى فسادها وهو تعدد الآلهة ، فثبتت الوحدانية لله تعالى) . (١)

وقد سلك القرآن الكريم في استدلاله على وحدانية الله مسلكين :

(المسلك الأول : بيان تفاهة معبودات أولئك المشركين وعجزها ، وأنها لا تخلق ذبابة ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضررا ، ولا تجلب لها نفعا فكيف تملك لغيرها نفعا أو ضرا ؟ قال تعالى :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ " (٢)

وبيان تفاهة المشركين أيضا عندما يعبدون هذه الأوثان ، وأنها أضعف وأحقر من أن يقام لها وزن أو يثار حولها جدل :

" مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ " (٣)

المسلك الثاني :

أ - الاستدلال على وحدانية الله بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم ، فالخلق هو عنوان العبادة :

" أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ " (٤)

---

(١) زاهر بن عواض الألمعي ص ١٥٩ .

(٢) سورة الحج آية ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٤١ .

(٤) سورة النحل آية ١٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله " : ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ " (١)

ب - تذكير المخاطبين بالنعم التي أنعم الله بها عليهم عن طريق تعدادها والتي هي في نفس الوقت آيات بينات ودلالات واضحات على وحدانيته - سبحانه - ومن هنا يعقب عليهم بدعوتهم الى اخلاص العبادة لله وحده). (٢)

ومن هنا كان الأخذ والرد في سورة غافر بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين ، بل لو قلنا أن نقول :

ان سورة غافر عبارة عن صورة كبيرة من الجدل بين الرسول ومشركي قومه ، والقضية الأولى التي جادلوا فيها هي قضية الوحدانية ، لما بالغنا قال تعالى :

" وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ " (٣)

وان كان اللمفسرين عندها وقفة لا بأس أن نقفها وهي تدور حول معنى الأمر بالدعاء هنا :

١ - فقد قيل (هو الذكر والدعاء والسؤال) ، قال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم " ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٢.

(٢) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم / زاهر بن عواض الألمعي ص ١٥٨ - ١٦٢ ، منهج القرآن في الدعوة الى الايمان / على بن محمد الفقيهي ص ١٣٩.

(٣) سورة غافر آية ٦٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يسأله شسع نعـــله اذا انقطع "(١) (٢).

٢ - وقيل (الدعاء هو ترك الذنوب) (٣).

٣ - وقيل (هو العبادة وهذا ما ذهب اليه أكثر المفسرين لأدلـــة واعتبارات كثيرة منها :

أ - أن الله تعالى قال بعد ذلك :

" إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي " (٤)

ب - ان الدعاء يأتي بمعنى العبادة وهوكثير في القرآن كقوله تعالى :

" إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا " (٥)

جـ - ولما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الدعاء هو العبادة) (٦) ثم قرأ

" ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ " (٧) (٨)

---

(١) اخرجه الترمذى في جـ٥ باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ١٩ ص ٢٤٢ وقال عنه : هذا حديث غريب .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ص ٣٢٧ ، التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٨ ، الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي جـ١٥ ص ٣٢٧.

(٤) سورة غافر آية ٦٠

(٥) سورة النساء آية ١١٧.

(٦) سنن الترمذى جـ٤ أبواب تفسير القرآن (باب تفسير سورة البقرة) حديث رقم ٤٠٤٩ ص ٢٧٩ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، مسند الامام أحمد بن حنبل جـ٤ (حديث النعمان بن بشير) ص ٢٧٦ " بلفظه " سنن ابن ماجه جـ٢ كتاب الدعاء باب فضل الدعاء حديث رقم ٣٨٢٨ ص ١٢٥٨ " بلفظه ".

(٧) سورة غافر آية ٦٠

(٨) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤/ ٨٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والحقيقة أنه لا اختلاف بين الأقوال (فالدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها ، يصدقه قول ابن عباس قال : معنى " ادعوني أستجب لكم " أي وحدوني اغفر لكم ، وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد) . (١)

ومن هنا نرى أن هذه الدعوة للعبادة جاءت مشفوعة باستدلالات تقوى الأمر باستحقاقه لها وحده فلا يبقى لمعتذر عذر ولا لمحتج حجة .

جاءت تخاطب العقل والوجدان معا أدلة محسوسة ملموسة يعيشها المخاطبون ويشاهدونها بأبصارهم ويدركونها بعقولهم تنحصر فيما يسمى بدليلي العناية والاختراع كما يرى صاحب كتاب "الكشف عن مناهج الأدلة" حيث يقول (ان الآيات التي في الكتاب العزيز إما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية - والمقصود به العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من أجله - وأما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع ، مثل اختراع الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعا) . (٢)

أما دليل العناية فقد قال تعالى :

" هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (٣)

---

(١) انظر الكشاف / الزمخشري جـ٣ ص ٤٣٤ .

(٢) انظر ابن رشد ص ٦٥/٦٧ .

(٣) سورة غافر آية ١٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله تعالى : " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ " (١)

وقوله تعالى : " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ " (٢)

وأما دليل الاختراع فقد قال تعالى :

" هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ " (٣)

كما أن هناك آيات تجمع بين دليلي العناية والاختراع معا .

في قوله تعالى : " ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ " (٤)

فان قوله " الله الذى جعل لكم .... لا يشكرون " تنبيه على دلالة العناية . وقوله تعالى " ذلكم الله ربكم خالق كل شيء .. " تنبيه على دلالة الاختراع .

وهي كلها نعم ، تعرض ثم يعقب عليها بدعوتهم الى اخلاص العبادة لله وحده ، فالموجد لجميع المخلوقات يجب أن يكون هو المعبود وحده . قال تعالى :

" ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ " (٥)

وقال : " ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ " (٦)

---

(١) سورة غافر آية ٦٤ .
(٢) سورة غافر آية ٧٩-٨١ .
(٣) سورة غافر آية ٦٧ .
(٤) سورة غافر آية ٦١-٦٣ .
(٥) سورة غافر آية ٦٢ .
(٦) سورة غافر آية ٦٤- ٦٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فجاء التعقيب الأول في قوله تعالى :

"ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ" (١)

كالاتصال بين الأدلة والمستدل عليه (فكانت الاشارة بـ "ذلكم" الى اسم الجلالة في قوله :

"ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ" (٢)

وعدل عن الضمير الى اسم الاشارة لإفادة أنه تعالى معلوم متميز بأفعاله ، المنفرد بها بحيث اذا ذكرت أفعاله تميز عما سواه ، فصار كالمشاهد المشار اليه ، فكيف تلتبس الهيته بالهية مزعومة للأصنام فليست للذين أشركوا به شبهه تلتبس عليهم- ما لا يفعل مثل فعله- أى ذلكم ربكم لا غيره .

وفي اسم الاشارة هذا تعريض بغباوة المخاطبين الذين التبست عليهم حقيقة الهيته ، وفي هذا التعقيب ثلاث استدلالات للوحدانية :

١ - فهو (الله) الجامع لصفات الالهية اجمالا .

٢ - ثم هو (ربكم) الذى دبر خلق الناس وهيأ لهم ما به قوام حياتهم .

٣ - وهو (خالق كل شيء) أى انه لما كان في معنى الربوبية من معنى الخلق ما هو خلق خاص بالبشر- فهو خالق الأشياء كلها كما خلقهم .

ولما كانت هذه الأخبار الثلاث مترتبة بطريقة الترقي ، جاء الخبر الرابع كالنتيجة لها وهو نفي الالهية عن غيره .

---

(١) سورة غافر آية ٦٢ .

(٢) سورة غافر آية ٦٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن هنا فرع عليه :

أ - استفهام تعجيبي من انصرافهم عن عبادته الى جانب عبـــادة غيره مع وضوح فساد اعراضهم عن عبادته .

ب - ونتيجة لاستمرارهم على الجحد بآيات الله دون تأمل ولا تدبر في معانيها ودلائلها يطبع نفوسهم على الانصراف عن العلم بوجوب الوحدانية له تعالى) .(١)

كما جاء التعقيب الثاني في قوله :

" هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ "

كموقع النتيجة من الدليل (لأن كل من سواه لا حياة له واجبة ،فهو معرض للزوال فكيف يكون الها مدبـــرا للعالم ،وجميع ما عبد من دون الله هو بين ما لم يتصف بالحياة تماما كالأصنام من الحجارة أو الخشب أو المعادن ومثل الكواكب والشمس والقمر والشجر وبين ما اتصف بحياة عارضة غير زائلة كالملائكة وبين ما اتصف بحياة عارضة زائلة من معبودات البشر مثل (بوذه) (٢)

---

(١) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر عاشور ج٢٤ ص١٨٧-١٨٨.

(٢) اسمه الحقيقي "سِدْ هارتا" وقيل "سيزاراسا" ولقب "ساكياموني" ومعناه : المتبتّل من عائلة ساكيا ، ثم أطلقوا عليه لقب "بوذا" ومعناه المستنير ،وقد اتجه تفكيره منذ صغره الى المقارنة بين حياة الترف والنعيم التي يتقلب فيها وحياة البؤس والشقاء التي يرزح تحتها قومه ،مما جعله يغادر قصر والده الى احدى الغابات متأملا ،مفكرا بأن شقاء الحياة منبعث من رغبات النفس وفي استطاعة الانسان الافلات منها بقوة الثقافة الروحية الداخلية ،

===

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال تعالى : " وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ "(١)

أى لا يستطيع أحدهم التصرف بالايجاد والاحياء وهو مخلوق أى معرض للحياة - (" أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ "(٢)

فجعل نفي الحياة عنهم في الحال أوفي المآل دلالة على انتفاء الهيتهم وجعل نفي ادراك بعض المدركات عنهم ،دلالة انتفاء الهيتهم .

وبعد اتضاح الدلالة على انفراده تعالى بالالهية فرع عليه الأمر بعبادته وحده غير مشركين غيره في العبادة لنهوض انفـــراده باستحقاق أن يعبد)(٣).

جاءت تلك التعقيبات بعد عرض النعم في معرض الوحدانية واخلاص الدين لله (فيدل هذا على ارتباط هذه الظواهر والخلائق والمعاني ،وعلى وجود الصلة بينها ،ووجوب تدبرها في محيطها الواسع وملاحظة الارتباط بينها والاتفاق .

=== وحينئذ غادر الغابة وأخذ ينشر رسالته ويتجول في البلاد،معلما كل من أقبل عليه ناشرا ما يسمى بالديانة البوذية ،مات في الثمانين من عمره وأحرق جسده بعد موته بثمانية أيام (انظر : ذيل الملل والنحل للشهرستاني ،محمد سيد كيلاني ٢/ ١٤ ،أديان الهند الكبرى / أحمد شلبي ص١٣٧ ومابعدها).

(١) سورة النحل آية٢٠.

(٢) سورة النحل آية ٢١.

(٣) انظر التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٩٢-١٩٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن هنا كان من ابرز ما عني القرآن به أكبر عناية ابراز صفة الانعام التي يتصف بها - سبحانه - يذكرها هنا في مكان واحد بهذا الترابط ، ويتخذ منها برهانه على وحدانية الخالق ويوجه في ظلها القلب البشرى الى دعوة الله وحده مخلصا له الدين (١) فيخاطبه مرة بقوله :

" وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ " (٢)

ومرة بقوله : " وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ " (٣)

وثالثة بقوله " : وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (٤)

مستخدما ما يسمى باسلوب التمكين (٥) الذى يشير الى أنه ليس لهم أى وجه في اتخاذ الشريك مع الله ،بل كل شيء ينطق بالوحدانية ان كانوا يعقلون ومن هنا قال لهم :

١ - ولعلكم تعقلون (لأن ما هو مستدل به واضح ظاهر جلي فوجب تعقله وتفهمه ،ومع ذلك كانوا مستمرين على الشرك ،غير مستنكفين ولا يحملهم على ذلك الا عدم العقل الغالب على الهوى ،

---

(١) انظر في ظلال القرآن ،سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٩١-٣٠٩٢ ، من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٢٥٣ .

(٢) سورة غافر آخرآية ٦٧ .

(٣) سورة غافر آخرآية ٨١ .

(٤) سورة غافر آخر آية ١٣ .

(٥) وهو أن تأتي القرينة متمكنة في مكانها ،مستقرة في قرارها ،مطمئنة في موضعها ،غير نافرة ولا قلقة ،متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب فهمه . (انظر الاتقان جـ٣ ص ٣٠٢ ،تحرير التحبير ص ٣٦٣ ،من بلاغة القرآن لأحمد بدوى ص ١٤٣ ومابعدها) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فرجاحة العقل تقتضي العلم على أن من قدر على كل ذلك هو المستحق للعبادة وحده بعد قيام البرهان على أنه هـــو الخالق)[١] وان ما عداه لا يستحق وصف الالهية فمن عقل ذلك من الناس فقد اهتدى الى ما أريد منه ومن لم يعقل ذلك فهو بمنزلة عديم العقل ، يقول صاحب التحرير والتنويـــر : (ولأجل هذه النكتة لم يؤت لفعل (تعقلون) بمفعول ولا بمجرور لأنه نزل منزلة اللازم ، أى رجاء ان يكون لكـم عقول فهو مراد كله من ذلك الخلق ،فمن حكمته أن جعل ذلك الخلق العجيب علة لأمور كثيرة).[٢]

٢ - " وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ "

وفيها تنبيه على أن في تلك المنن آيات دالة على ما يجب لله من الوحدانية والقدرة والحكمة (فيريكم آياته في النعم المذكورات وغيرها من كل ما يدل على وجوب توحيده وتصديق رسله ونبـــذ المكابرة فيما يأتونهم به من آيات صدقهم . وقد جيء فـــي جانب اراءة الآيات بالفعل المضارع لدلالته على التجدد لأن الانسان كلما انتفع بشيء من النعم علم ما في ذلك من دلالـــة على وحدانية خالقها وقدرته وحكمته .

والاراءة هنا بصرية عُبِّر بها عن العلم بصفات الله ، اذ كان طريق العلم هو مشاهدة تلك الأحوال المختلفة ، فمـــن

---

(١) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ٣ ص ٣٤٨ ،روح المعاني الألوسي جـ٨ ص ٥٦ التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ١٢ ص ٢٣٦.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٩٨، ١٩٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تلك المشاهدة ينتقل العقل الى الاستدلال .

واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لزيادة التنويه بهـا والارشاد الى اجادة النظر العقلي في دلائلها ، ثم جـاء الاستفهام الانكاري منكرا أن يكون شيء من آيات الله يمكن أن يُنكَر دون غيره من الآيات ،فيفيد أن جميع الآيات صالـح للدلالة على وحدانية الله وقدرته لا مساغ لادعاء خفائه وأنهم لا عذر لهم في عدم الاستفادة من احدى الآيات) .(١)

٣ - " وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ "

(أى من نبذ الشرك وآمن لأن الشرك يصد أهله عن الانصاف واعمال النظر في الأدلة) .(٢)

يقول صاحب كتاب " من بلاغة القرآن " وان في اكثار القرآن عن هذه النعم وتوجيه أنظارهم اليها وتقريرهم بها ، ما يدفعهم الى :

١ - (التفكير في مصدرها وأنه جدير بالعبادة مما يثير في أنفسهـم شكرها وتقديس بارئها ، ولا سيما أن تلك النعم ليست في طاقة بشر ، وأنها باعترافهم أنفسهم من خلق العلي القدير .

٢ - يتكيء القرآن على عاطفة انسانية يثيرها ،لتدفع صاحبها عن طريق الاعجاب حينا والاعتراف بالجميل أحيانا الى الايمان بالله وحده واجلاله وتقديسه .

---

(١) انظر المرجع السابق نفسه ص ٢١٨ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ص ١٠٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٣ - كما أن ذلك الوصف يبعث في النفس حب الله المنعم فتكون عبادته منبعثة عن حبه وشكر اياديه).(١)

وبذلك يقرر أن (الجامع لهذه الأوصاف ، الخالق لكل شيء ولا يمتنع عليه شيء لا بد أن يكون واحدا لا ثاني له ،فكيف و من أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الأوثان) (٢) خاصة وأن:

١ - البرهان قائم على أنه الذى خلق هذا الكون وما يحتويه وكونهم موٴمنون بذلك يقتضي وجوب الايمان بوحدانيته في العبادة ، فمن أين جاء الشرك ؟ يقول ابن الحنبلي (٣) :

(فالصنعة مفتقرة الى الصانع وليست مفتقرة الى ما زاد على الصانع فصار وجود ما زاد على الصنعة جائزا والجائز الوجود لا يجوز أن يكون الهها مبدعا قديما).(٤)

---

(١) أحمد بدوى ص ٢٥٧ .

(٢) انظر الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٣٤ .

(٣) هو عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصارى الخزرجي المعروف بابن الحنبلي ولد سنة ٥٥٤ ، كان من بيت الحديث والفقه لذا كان فقيها واعظا حضر فتح المقدس مع صلاح الدين ، توفي سنة ٦٣٤ هـ (انظر ترجمته في : الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١٩٣/٢ ومابعدها ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١٦٤/٥ ومابعدها ،البداية والنهاية لابن كثير ١٣٩/١٣، الأعلام للزركلي ١١٦/٤).

(٤) استخراج الجدال من القرآن الكريم ص ٨٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٢ - لم يقم برهان عقلي أو نقلي على عبادة غيره معه وفي هذا يقول ابن رشد (١) (من المعلوم أنه لو كان لكان كل واحد منهما فِعْلُه فِعْلُ صاحبه أنه ليس يمكن أن يكون عن تدبيرهما مدينة واحدة لأنه ليس يكون عن فاعلين من نوع واحد فعل واحد فيجب ضرورة أن فعلا معا أن تفسد المدينة الواحدة (٢)!

ونحن اذا استعرضنا صفحة الكون لم نجد للفساد اسما ولا أثرا فكيف يكون هناك شركاء بل الواجب أن لا يكون هناك الا اله واحـــد .

٣ - إن كل نعمة من النعم الظاهرة والباطنة تستحق شكر المنعـم ، ولا تجيز كفرانه فضلا عن اتخاذ الشريك معه .

---

(١) هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، كان قاضي الأندلس ومن أشهر فلاسفتها كما يعتبر من أعظم شراح فلسفة أرسطو ، وقد نفاه أبناء عصره و منعوا كتبه لاشتغالـــــه بالفلسفة ، كان بارعا بالفقه والطب ، توفي سنة ٥٩٥ هـ (انظر مقدمة كتابه : الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) .

(٢) انظر الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٧١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبذلك أقام الرسول عليهم حجته التي من خلالها رأينا ، قد استخدم تارة أسلوب التوكيد والتكرير الذى يعتبر من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات واقرارها في قلوبهم اقرارا ينتهي الى الايمان الحق الذى تنبعث قيمته من دوام التكرار بالألفاظ عنها ما أمكن ذلك ، لأنه اذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة ، يقول صاحب كتاب الطراز : (وفائدته/ ازالة الشكوك واماطة الشبهات عما أنت بصدده وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد)(١) (وانما يحتاج اليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي تعظم العناية بها)(٢).

ومن هنا كان التوكيد اللفظي بتكرار الاسم بلفظة الرب في قوله تعالى : " ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ "

وقوله : " فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ "

وقوله : " ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ * "

لأنه موضوع يحتاج الى اقرار في نفس المجادل وتثبيته في قلبه خاصة وان ما يتعلق به - وهو الوحدانية - هو موضع انكار منهم فجاء التوكيد بالتكرار هنا قويا تنبيها للنفس لترى ما موقعه ، ولم كان ؟ بعد أن تمادت في الضلال منصرفه عن التفكير المستقيم المؤدى الى الايمان بالله وحده فكانت هذه الغفلة تلفتهم عن التفكير في وحدانيته فأكدها بربوبيته المتكررة في اللفظ لدفع ما يقال به من الشركة ، فحيث إن الخالق هو الله وحده فلا بد من دفع هذه الشركة ويقوى هذا التوكيد ضمير الفصل (ربكم)

---

(١) يحيى بن حمزة العلوى اليمنى جـ٢ ص ١٧٦.

(٢) بيان اعجاز القرآن /الخطابي ص

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حتى يدل على القصـــر والاختصاص المنافي للشركة ،فالعبادة خاصة بالله وحده .

كما يظهر التمكين واضحا من خلال ذلك العرض الشامل حين يقول لهم : "فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾" (١)

وقوله :

"ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾" (٢)

(٣)
(فيبين الله سبحانه بهذه القرينة كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده)

(فذلكم) أى المعلوم المتميز بالأوصاف الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد فهو :

أ - الله ربكم .

ب - الخالق لكل شيء

فالنتيجة الفطرية والطبيعية تقتضي أن يكون (لا اله الا هو) .

يقول صاحب الكشاف (جاءت أخباراً مترادفة لتؤكد أن الجامع لهذه الأوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لايمتنع عليه شيء بل يستحق الوحدانية فلا ثاني له ، فكيف ؟ ومن أى وجـــه تصرفون عن عبادته الى عبادة الأوثان) (٤) التي لا تخلق شيئا بل هـــي

---

(١) سورة غافر آية ٨١.

(٢) سورة غافر آية ٦٢.

(٣) فتح القدير / الشوكاني جـ٤ ص ٤٩٨.

(٤) الزمخشري ٣/ ٤٣٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مخلوقة منحوته ، والأكثر من ذلك (أنكم لا تملكون دليلا ولا برهانا على عبادتها بل هو مجرد الجهل والهوى والجحد لحجج الله ،والضلال كما ضل من قبلكم) .(١)

ومن هنا كانت الخاتمة أوما يسمى بالتمكين بعد عرض كل تلك الآيات الظاهرة الباهرة والتي تنبه على أنه ليس في شيء من الدلائل التي تقدم ذكرها مايمكن انكاره فاذا جادل بعدها مجادل فانه يدل على التواء أو غرض أو كبر أو مغالطة لغاية أخرى غير الحقيقة.

ومرة يختمها بقوله :

" إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ "(٢)

والمراد أن فضل الله على الخلق كثير جدا ولكنهم لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ، وترك الشكر لوجوه :

أ - (اما لجحودهم لها وكفرهم بها كما هو شأن الكفار.

ب - أو لاغفالهم للنظر واهمالهم بما يجب من شكر المنعم وهم الجاهلون .

ولما كان أكثر الخلق هالكين في أحد هذه الأودية لا جرم قال تعالى : " وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ "

ونظيره قوله تعالى : " وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ "(٣)

يقول صاحب الكشاف : (فان قلت :فلوقيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس ؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٦.

(٢) سورة غافر آية ٦١.

(٣) انظر التفسير الكبير / الفخرالرازى جـ٢٧ ص ٨٣ ، ٨٩ ، فتح القدير للشوكاني جـ٤ ص ٤٠٩٨ والآية من سورة سبأ آية ١٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قلت : في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله تعالى :

"إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾" (١)

وقوله : "إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾" (٢) (٣)

وفي هذا زيادة لتمكنه في ذهن السامع (٤) فيأخذ العبرة والعظة ولا ينسى .

كما نجده ثالثة يختمها بقوله : "فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾" (٥)

(والبركة لها تفسيران :

أ - البقاء والثبات .

ب - كثرة الآثار الفاضلة .

فان حملته على الأول : فالثابت الدائم هو الله .

وان حملته على الثاني : فكل الخيرات والكمالات من الله ، فلهذا لا يليق الثناء الا بحضرته ، فكان الختم بالوحدانية مأخوذاً مما قبله لأنه لما اختص سبحانه بالخلق والتصرف به لزم انحصار الألوهية والربوبية فيه ولا حاجة اليه فإنه مُصرَّح به في قوله "ان ربكم الله .." وهذا ختام ملاحظ فيه مطلعه) . (٦)

---

(١) سورة الحج آية ٦٦ .

(٢) سورة العاديات آية ٦ .

(٣) الزمخشري جـ٣ ص ٤٣٤ .

(٤) من أسرار البلاغة في القرآن / محمود السيد شيخون ص ١٠٧/ ١١٦ .

(٥) سورة غافر آية ٦٤ .

(٦) حاشية الشهاب جـ٤ ص ١٧٤ - ١٧٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويختمها رابعة بقوله : "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾" (١)

(فجاءت هذه القرينة بعد التنبيه على الحصر وأنه لا حي الا هو ، اعقبها استحقاقه الوحدانية فلما كان موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال له وحده "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾") (٢).

(التي جاءت لتقرر أن الذى يصنع هذا ويبدعه بهذا التناسق هو الذى يليق أن يكون الها فكيف يصرف الناس عن هذا الحق الواضح المبين) (٣).

وبذلك رأينا أن شركهم لم يقم عليه حجة ولا برهان أو منطق سليم ، ومن هنا فقد (هاجم القرآن بكل قوة الاشراك بالله ، وهو يهاجم العقل والوجدان معا فيأخذ في نقاش المشركين ليصلوا الى الحق بأنفسهم ويلزمهم الحجة ويقودهم الى الصواب) (٤). الا أنهم قوم عميت بصائرهم عن معرفة الحق وركبوا طغيانهم في المعاندة والمكابرة والاستهزاء بعد أن سلك الرسول صلى الله عليه وسلم معهم أرقى الأساليب وذكرهم بآيات الله الآفاقية والنفسية وما أنعم الله به عليهم من الخيرات المادية فلم يستجيبوا له بل أغلقوا آذانهم وقلوبهم ونفوسهم عن كل شيء الا الباطل الذى تمحو بدعوته هو الى دين الآباء يقول الامام القرطبي : (وكانوا دعوه الى دين آبائه) (٥) فأمره الله أن يقول منكرا عليهم مسلكهم

---

(١) سورة غافر آية ٦٥

(٢) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٨٤.

(٣) انظر الظلال / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٩٢.

(٤) من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٢٦٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ ص ٣٢٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المعوج وعنادهم المستحكم وجدالهم بالباطل :

" قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ "(١)

(أى قل يا محمد ان الله عز وجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان)(٢) بل بلغ بهم الجهل أقصاه ، كما يقول ابن اسحق(٣) حين قالوا : (يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد سنة وتعبد ما نعبد سنة فنشترك نحن وأنت في الأمر فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه ،فقال : معاذ الله أن أشرك به غيره وقال له ربه :

" قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ "(٤)(٥)

كما علمه أن يقول لهم في سورة غافر : " قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ "(٦)

---

(١) سورة غافر آية ٦٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ٤ ص ٨٧ .

(٣) هو محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار المدني القرشي ، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف / عاش حياته بين اغراق في النيل منه واسراف في مدحه .ففي الوقت الذى رمي فيه بالتدليس والقدر والتشيع وغير ذلك ،فقد قال عنه ابن عدى لم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة . أخرج له مسلم ، واستشهد به البخارى وروى له أبو داود والنسائي وابن ماجه (انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، عيون الأثر لابن سيد الناس) .

(٤) سورة الكافرون آية ١-٢ .

(٥) انظر السيرة النبوية / ابن هشام جـ١ ص ٣٨٨ ، أسباب النزول / للواحدى ص ٣٠٧ .

(٦) سورة غافر آية ٦٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد نُهي عليه السلام عن عبادة الأصنام وهو من أبعد الناس عن ذلك بل هو أبعدهم حقيقة ولكن المراد بالنهي هنا ليس هو تحصيل الفعل لأنه حاصل ، وانما المراد الثبات والدوام عليه ، ومثل هذا قوله : " فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ " (١)

وقوله : " وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٤ " (٢)

وقوله : " وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ " (٣)

فالمنهيات في كل ذلك تحصيل حاصل لأن هذه المنهيات لا يتصور وقوعها من النبي صلى الله عليه وسلم انما المراد كما سبق أن ذكرنا هو الحث على زيادة التمسك والثبات على ما هو عليه .

وفائدة هذه الطريقة هي أنها تفيد الالهاب والتهييج وتثير الشعور والوجدان فتكون النفس أحسن تلقيا وأكثر تمسكا بما هو كائن ولذلك نجد هذا القول مستعملا في المعاني الهامة التي هي أصول في هذا الدين ، ومن هنا كان الأسلوب الحاسم في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم والذى هو مظهر من مظاهر الربوبية القاهرة تتجلى في خطاب البشرية المربوبة في شخص سيدها محمد عليه السلام) . (٤)

---

(١) سورة الزمر آية ٢ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤ .

(٣) سورة الأحزاب آية ١ .

(٤) انظر الطراز / يحيى بن حمزة العلوى اليمني جـ٣ ص ١٦٥، ١٦٦ من أسرار التعبير القرآني . عبد الفتاح لاشين ص ٨ - ٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول صاحب التحرير والتنوير (والمقصود من اسناد المنهية الى الرسول صلى الله عليه وسلم - التعريض بنهي المشركين فإن الأمر بأن يقول ذلك لا قصد منه الا التبليغ لهم والا فلا فائدة لهم في الاخبار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام منهي عن أن يعبد الذين يدعون من دون الله .

يعني فإذا كنت أنا منهيا عن ذلك فتأملوا في شأنكم واستعملوا أنظاركم فيه ،ليسوقهم الى النظر في الأدلة سوقا لينا خفيا لا تباعه فيما نهي عنه) (١) .

(ووجه النهي في ذلك ما جاءه من البينات والتي تقول :

١ - ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة التي تستلزم الوحدانية .

٢ - صريح العقل يشهد بأن العبادة لا تليق الا به فالنتيجة أن جعل الأحجار المنحوته والخشب المصورة شركاء له في العبودية مستنكر في بديهة العقل .

٣ - ثم انهم يعتقدون فيه صلى الله عليه وسلم أنه في غاية العقل ومن المعلوم بالضرورة أن كل أحد فانه يريد لنفسه الافضل والأكمل فاذا ذكر أن مصلحته لا تتم الا بالاعراض عن غير الله والاقبال بالكلية على طاعة الله ظهر به أن هذا الطريق أكمل من كل ما سواه .

٤ - ثم ان هؤلاء الكفار كانوا معترفين بأن الله هو الخالق :

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " (٢)

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور جـ٢٤ ص ١٩٦ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٥ والزمر آية ٣٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكأنه تعالى يقول : هذه الشركة اما أن تكون مزارعة وذلك لأن البذر مني والتربية مني والسقي مني والحفظ مني فأى شيء للصنم.

أوشركة الوجوه (١) وذلك أيضا باطل أترى أن الصنم أكثر شهرة وظهورا مني .

أو شركة الأبدان (٢) وذلك أيضا باطل لأن ذلك يستدعي الجنسية.

أو شركة العنان (٣) وذلك أيضا باطل لأنه لا بد فيه من نصاب ، فما نصاب الأصنام ؟

أو يقول ليس هذا من باب الشركة لكن الصنم يأخذ بالتغلب نصيبا من الملك فكأن الرب يقول : ما أشد جهلكم ،ان هذا الصنم أكثر عجزا من الذبابة (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا) (٤) .

فأنا أخلق البذر ثم ألقيه في الأرض ،فالتربية والسقى والحفظ مني ثم من هو أعجز من الذبابة يأخذ بالقهر والتغلب نصيبا مني ، ما هذا بقول يليق بالعقلاء .

ومن هنا كان ما طلبوه كما يقول الرازى : (أمر في غاية القبح ونهاية في الفحش) . (٥)

وقد تضمن رده صلى الله عليه وسلم :

١ - (تكامل العقيدة عن طريق هذا السلب والايجاب ، فمع الانتهاء

---

(١) شركة الوجوه : وهي أن يشترك اثنان ليس لهما مال ولكن لهما وجاهة عند الناس توجب الثقة بهما على أن يشتريا تجارة بثمن مؤجل وما يربحانه يكون بينهما على ما شرطاه .

(٢) شركة الأبدان : هي أن يتفق أو يشترك اثنان فاكثر كنجارين أوحدادين أو أحدهما نجار والاخر حداد على أن يشتركا من غير مال ،على أن يتقبلا الأعمال ويكون الكسب بينهما .

(٣) شركة العنان : ان يشترك اثنان فأكثر بمالهما على ان يعمل أحدهما فقط ، بشرط أن يكون للعامل جزء من الربح أكثر من ربح ماله ليكون الجزء نظير عمله . (ملخصا بتصرف من كتب المذاهب الفقهية ،ومن شاء الرجوع فليرجع الى كتب الفقه في مذاهبها المعتمدة.)

(٤) سورة الحج آية ٧٣ . (٥) انظر التفسير الكبير ٢٧/ ٨٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن عبادة غير الله - وهو سلب - الى الاسلام لرب العالمين - - وهو ايجاب - ومن الشقين تتكامل العقيدة)(١).

٢ - كما تتضمن دليلا من أدلة الوحدانية تدل على أن هذا الرسول انما يدعوهم الى ما يريده لنفسه (فهو يمحض لهم النصيحة ، ليجروا على مقتضاه في أنفسهم بأن يعبدوا الله وحده)(٢).

٣ - استنكاره مجادلتهم اياه في موضوع اتفقوا فيه على المبدأ فهم يعترفون بالرب وأنه هوالخالق ولم يقم برهان على عبادة غيره حتى يستمسكوا به ويعتمدوا عليه بل هي من وضع الآباء وتزيين الشيطان ومن هنا كان التركيز على كلمة الرب لأنها أصل في الانكار عليهم ، يقول صاحب التحرير والتنوير : (وجعل المجرور بـ(من)وصف(رب) مضافا الى ضميرالمتكلم دون أن يجعل مجرورها ضميرا يعود على اسم الجلالة اظهارا في مقام الاضمار على خلاف مقتضى الظاهر لتربية المهابة في نفوس المعرض بهم ليعلموا أن هذا النهي ومجيء البينات هو من جانب سيده وسيدهم فما يسعهم الا أن يطيعوه ولذلك عززه باضافة الرب الى الجميع في قوله : "وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾"(٣)

أى ربكم ورب غيركم فلا منصرف لكم عن طاعته)(٤).

٤ - الاستنكار عليهم كيف يدعونه الى عبادة غير الله بدون بينات بل البينات التي جاءت ورأوها تلزمهم أن يستجيبوا لدعوته فضلا عن أن يدعوه الى الاشراك بربه فكان قوله :

---

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٩٥.

(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤/ ١٩٦-١٩٧.

(٣) سورة غافر آية ٦٦.

(٤) نفس المرجع السابق جـ٢٤ ص ١٩٦-١٩٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(إبطالا لعبادة غير الله بالقول الدال على التحذير والتخويف بعد أن أبطل ذلك بدلالة الحجة على المقصود ، وهذه دلالة كنائية لأن النهي يستلزم التحذير) . (١)

ولكنهم مع كل ذلك لا يستجيبون بل يجادلون مكابرين بدافع التقليد والتعصب ، يتعصبون لعقيدة الآباء والتعصب يعمي ويصم ، ويُيئِس الرسول بما كانوا يفعلون ، فيخفف عنه ربه بأن لا يبتئس ولا يضره تقلبهم في البلاد لأنهم كافرون قد طبع الله على قلوبهم ، وليسوا أول من جادل ، وليسوا أول من كفر ، وليس هو أول من جودل فان اخوانه الأنبياء واجهوا نفس الموقف ونفس الكفر فهي (قصة قديمة ومعركة ذات مواقع متشابهة في كل زمان رسول يجيء فيكذبه طغاة قومه ولا يقفون عند مقارعة الحجة بالحجة انما هم يلجأون الى منطق الطغيان الغليظ :

١ - يهمون أن يبطشوا بالرسول .

٢ - يموهون على الجماهير بالباطل ليغلبوا به الحق) . (٢)

قال تعالى : " مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ " (٣)

---

(١) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور .

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ٥ ص ٣٠٧٠ .

(٣) سورة غافر آية ٤ - ٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهنا تكون النهاية بعد أن تستكمل المعركة الجدلية الكلامية براهينها وتقوم حجة الله عليهم بارسال الرسول وتأييده بالمعجـــزة الدالة على صدقه ، وحين يصل الأمر الى ذروته ويستحكم العناد ولم يعد في القوم أمل لفتح قلوبهم لنور الحق والايمان تكون نهاية تلك المعركة الجدلية كما يقصها الله :

أ - في الدنيا : "فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾" (١)

ب - في الآخرة ، باعثا الخوف من سوء مصير هؤلاء المشركين فيصورهم مرة محاولين ستر جريمتهم بانكارها حين لا يجدون لها سندا من الحق والواقع: "ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾" (٢)

وحينا يصورهم وقد تبرؤا من عبادتهم فحبطت أعمالهم وذلك حين يقول : "فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾" (٣)

وحينا يصورهم معترفين هلكى في أشد صور الهلاك والاعتراف :

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾" (٤)

---

(١) سورة غافر نهاية آية ٥ .

(٢) سورة غافر آية ٧٣ - ٧٤ .

(٣) سورة غافر آية ٨٤ - ٨٥ .

(٤) سورة غافر آية ١٠-١٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكان هنا ما يسمى بالاسجال (١) الذى أثبت فيه على لسان الخصوم الحقيقة التي كانوا ينكرونها والذى فيه - الاسجال - اثارة لوجدان المتشككين والمنكرين واثارة الخوف في أنفسهم حين يسمعون اعتراف من على شاكلتهم فيدفعهم الخوف الى التأمل عساهم يهتدون).(٢)

والآيات الكريمات وان لم تتسم بطابع الجدل في مظهرها العام فهي لا تخلو منه في جوهرها بل هي في الصميم منه ولكن الجدل الذى اشتملت عليه تركز في بيان معالم حقائق المشركين وما تنطوى عليه نفوسهم من فساد ،فكأن الآيات في جدلها مع المشركين تنتهج الخطوات الآتية :

١ - المعروف أن المشركين يعترفون أن الله هو الخالق ومن هذا المدخل قامت عليهم الحجة وثبتت الوحدانية لله تعالى .

٢ - بينت الآيات في مقدمتها أن المشركين ليس لهم قاعدة صلبة تقوم عليها ركيزة الشرك عندهم سوى الكبر ،والكبر وحده ،ومن كان كذلك كان كالأعمى أمام البصير .

---

(١) وهو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به ، نحو قوله تعالى : ﴿ ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴾ (غافر : ٨)
فان في ذلك اسجالا بالايتاء والادخال حيث وصفا بالوعد من الله الذى لا يخلف وعده (انظر معترك الأقران جـ١ ص ٤٦٢).

(٢) من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٣٧٦ ،من أسرار البلاغة في القرآن / محمود السيد شيخون ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المطلب الثاني : الجدال في أمر البعث :

وهي القضية الثانية التي جادل فيها المشركون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل هي القضية التي سارت جنبا الى جنب مع قضية الوحدانية في الانكار والمجادلة .

والحقيقة ان انكار البعث ممتد في الأمم منذ القدم وعبر القرون والعصور ، قال تعالى :

" بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ " (١)

وقال تعالى : " كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ " (٢)

والمنكرون للبعث لا يخرجون عن أحد اثنين :

١ - (الكفرة المنكرون لوجود الله أصلا والزاعمون أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه بلاصانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون أبدا وهؤلاء هم الدهريون . ، وقد تقدم رد القرآن الكريم عليهم .

٢ - والفلاسفة الماديون الذين لا يؤمنون بما وراء المادة ، والذين يطلق عليهم الغزالي اسم الطبيعيين وهم الذين أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته

---

(١) سورة المؤمنون آية ٨١-٨٣ .

(٢) سورة ق آية ١٢ - ١٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما اضطروا معه الى الاعتراف بقاطر حكيم الا أنهم ذهبوا الى أن النفس تموت ولا تعود ،فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والقيامة والحساب زاعمين أن النفس تابعة للبدن فهي تفنى بفنائه ولا تعود "(١) (ومنهم الطبيعيون من العرب الذين يؤمنون بوجود الله :

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ "(٢)

ومع ذلك ينكرون البعث وهم في انكارهم لا يملكون حجة وليس لديهم من دليل سوى الاستبعاد ،والاستبعاد وحده ، ولهذا يقول قائلهم :

" حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو "(٣)

ومن أهم شبههم ووجوه استبعادهم للبعث الشبهة التالية :

ان تفتت العظام وتحلل الجسد الى ذرات ترابية واختلاط هذه الذرات بعضها ببعض وضياعها في الأرض مع ما يطرأ على الارض من تغيرات بالأمطار والنباتات وغيرها كل ذلك موضع بعد واستغراب من الكفار .

والجواب عن هذه الشبهة يكون بالاحتجاج عليهم بقدرة الله الشاملة لكل شيء وبعلمه المحيط بكل شيء وما نصبه من دلائل في الآفاق وفي الأنفس على امكان المعاد ومن هنا نعلم أن مبنى الأدلة على قاعدتين أساسيتين ،هما العلم والقدرة .

---

(١) انظر المنقذ من الضلال / أبي حامد الغزالي / تحقيق : جميل صليبا ،كامل عياد /ص ٩٦.

(٢) سورة لقمان آية ٢ والزمر آية ٣٨.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني جـ٢ ص ٢٣٦ ،تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٦ ص ١٢٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أولا : أما علمه المحيط بكل شيء فانه يستلزم أن لا يشتبه عليه أي فرد من أحد بأجزاء الآخرين لكمال علمه واحاطته بجميع الذرات وما تحلل منها قال تعالى : " وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ " (١)

وقال تعالى " يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ " (٢)

وقال تعالى :

" قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ " (٣)

ثانيا : وأما القدرة فان الله تعالى قادر على كل شيء وقدرته تستلزم أن يكون قادرا على جمع ما تفرق من ذرات في الأجساد واعادة بنائها وتكوينها وارسال الأرواح اليها ثم بعثها وحشرها ، والأدلة على ذلك كثيرة منها قياس الاعادة على الابتداء إما :

١ - عن طريق قياس (المساواة) كما قال تعالى :

" كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ " (٤)

وقوله :

" كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ " (٥)

يعني أن الاعادة ستكون مثل الابتداء في قدرة الله عليها وقد حصل الايجاد أولا ، فما المانع من الاعادة ثانيا .

---

(١) يونس / ٦١

(٢) سبأ / ٢ .

(٣) ق : ٤ .

(٤) الاعراف / ٢٩ .

(٥) الانبياء / ١٠٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢ - وإما عن طريق قياس (الأولى) كما قال تعالى :

" وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ " (١) (٢)

وهذا ما تعرضت له سورة غافر استدلالاً على امكان البعث وتحقق وقوعه ملتزمة بالمنهج القويم الذى يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الايمان بما تشاهده وتحسه ويقع منها تحت تأثير السمع والبصر وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة قال تعالى :

" إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ " (٣)

والبحث في معنى الآية يتضمن ثلاث نقاط :

أولا : الموضوع :

محاجة المجادلين في آيات الله المشتملة على انكار البعث الذى هو أصل المجادلة ومدارها بل هي أكبر شبهة لهم ضللت أنفسهم وروجوها

---

(١) سورة الروم آية ٢٧.

(٢) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم ص : ٣١١-٣١٢.

(٣) سورة غافر آية ٥٦-٥٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في عامتهم فقالوا :

" أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ " (١)

فكانوا يسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم - لأجل ذلك :

" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ " (٢)

ثانيا : حجتهم في الانكار :

الحقيقة أنهم لا يملكون أى حجة على هذا الانكار وانما الحامل لهم على هذا الجدال كما تقرره الآيات هو :

١ - الكبر ، قال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ " (٣)

أى أن الحامل لهم على هذا الجدال بالباطل هو كبر في نفوسهم .

٢ - الجهل ولهذا قال تعالى :

" وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧ " (٤)

أى (لا يتدبرون الحجة ولا يتأملونها لأنهم وكما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض ، وينكرون المعاد استبعادا وكفرا وجهلا وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا) (٥)

---

(١) سورة الرعد آية ٥ .

(٢) سورة سبأ آية ٧ - ٨ .

(٣) سورة غافر آية ٥٦ .

(٤) سورة غافر آخر آية ٥٧ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير جـ ٤ ص ٨٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهم لا يعلمون ، لأنهم متلاهون عن النظر في الأدلـــة مقتنعين بمبادىء الخواطر التي تبدو لهم فيتخذونها عقيدة.

٣ - الحسد ، يقول صاحب التفسير الكبير : (فهم يجادلون بغير سلطان ولا حجة بل لمجرد الحسد و والكبر والتعصب ، ولذلك يوضح الله تعالى الفرق بين الجدال المقرون بالكبر والحســد ، والجدال المقرون بالحجة والبرهان بذكر المثال : (١)

" وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ "

أى وما يستوى المستدل والجاهل المقلد ولا العالم والجاهل ومع ذلك وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وأن العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا أن الحسد يعمي قلوبهـــم فيعتقدون في الجهل والتقليد أنه محض المعرفة وفي الحسد والحقد والكبر أنه محض الطاعة) (٢) ولذلك نُفِيَ عنهم وصف الايمان لأن أكثر الناس وهم المشركون (يمرون بالأدلة والآيات وهم معرضون عن دلالتها فيبقون غير موءمنين بمدلولاتها ولو تأملوا واستنبطوا بعقولهم لظهر لهم من الأدلة ما يوءمنون بعده) (٣).

---

(١) سورة غافر آية ٥٨.

(٢) التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٧ ص ٧٩ - ٨٠.

(٣) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ ٢٤ ص ١٧٩-١٨٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثالثا - محاجة القرآن لهم :

الأصل في المحاجة أو استدلال القرآن لهم كان (بقياس الاعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى :

" أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ " (١) (٢)

(أي أن القادر على الأكبر قادر على الأصغر لا محالة ، وتقرير هذا الكلام ، ان الاستدلال بالشيء على غيره هو على ثلاثة أقسام :

١ - أن يقال لما قدر على الأضعف وجب أن يقدر على الأقوى ، وهذا فاسد .

٢ - أن يقال لما قدر على الشيء قدر على مثله ، فهذا استدلال حق لما ثبت في العقول أن حكم الشيء حكم مثله .

٣ - أن يقال لما قدر على الأقوى الأكمل فبأن يقدر على الأقل الأرذل كان أولى وكما يقول الامام الرازي : وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة) (٣) وهو كثير في القرآن كقوله تعالى :

" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ (٤) "

وقوله تعالى : " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ " (٥)

---

(١) سورة يس آية ٨١ .
(٢) الاتقان في علوم القرآن / السيوطي جـ ٤ ص ٥٣ .
(٣) التفسير الكبير جـ ٢٧ ص
(٤) سورة الاسراء آية ٩٨
(٥) سورة الأحقاف آية ٣٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(فهو يوجه النظر الى مظاهر قدرته متخذا ذلك ذريعة الى اقناعهم بأمر البعث ليقرر بعد ذلك أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ولذا صح أن يسألوا ليقروا : "ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾" (١) (٢)

ونرى من خلال ذلك عقد المشابهة بين خلق السموات والأرض وبين اعادة خلق الانسان مرة أخرى مستدلا بطريقة التمثيل (التي يقيس فيها المستدل الأمر الذى يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبهم أو على أمر بدهي لا تنكره عقولهم ، وتقربه أفهامهم ويبين الجهة الجامعة بينها .

يقول صاحب كتاب المعجزة الكبرى (وكثير من استدلالات البعث تقوم على تقريب البعث بقدرة الله تعالى عليه بما يرون من انشاء ذلك الكون البديع ليقرب فيه البعيد ويسهل على الأفهام دخوله بقياس ما في الغيب على المشاهد والذى فيه الدلالة الكاملة على قدرة الله تعالى وأنه القادر على ما لم يقع الآن وسيقع كما وعد ووعده لا يُخلف)(٣) .

---

(١) سورة النازعات آية ٢٧ - ٣٣ .

(٢) انظر من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٢٦٥ .

(٣) أبو زهرة ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد استدل القرآن على بطلان انكارهم بأمرين :

١ - ما ذكرته الآية من أن القادر على العظيم هو على الحقير أقدر لأنهم :

أ - (كانوا مقرين بأن الله خالقها ،

ب - وبأنها خلق عظيم لا يقادر قدره).(١)

٢ - (أن مجادلتهم كانت في البعث وهو الاعادة ولا شك أن الابتداء أعظم وأبهر من الاعادة فاذا كان ابتداء خلق العظيم - يعني السموات والأرض - داخلا تحت القدرة ، فابتداء خلق الحقير - يعني الناس - أدخل تحتها واعادته أدخل من ابتدائه ، فهو أولى بأن يكون مقدورا عليه مما اعترفوا به من خلق السموات والأرض بدرجتين ، والى هذا الترتيب وقعت الاشارة بقوله تعالى :

" وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ "(٢)

فقرر أن قيام السماء والأرض هو بأمره ، أي خلقها من آياته ، فكيف بما هو أحط من قيامها بدرجتين وهو اعادة البشر أهون عليه من الابتداء لتتحقق الدرجتان المذكورتان فقال تعالى :

" وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ "(٣) (٤)

---

(١) تفسير البحر المحيط / أبي حيان الأندلسي جـ٧ ص ٤٧٢ .

(٢) سورة الروم آية ٢٥ .

(٣) سورة الروم آية ٢٧ .

(٤) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال وبحاشية الكشاف ابن المنير جـ٣ ص ٤٣٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول صاحب تفسير البحر المحيط (وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله)[١] ثم (لما أعطي اثبات البعث ما يحق من الحجاج والاستدلال ، تهيأ المقام ، لاستخلاص تحقيقه ، كما تستخلص النتيجة عن القياس ، فأعلن بتحقيق مجيء الساعة وهي ساعة البعث اذ " الساعة " في اصطلاح الاسلام علمٌ بالغلبة على ساعة البعث ، فالساعة والبعث مترادفان في المآل ، فكأنه قيل : ان الذى جادل فيه المجادلون سيقع لا محالة اذا انكشفت عنه شبه الضالين وتمويهاتهم فصار بينا لا ريب فيه)[٢].

وكعادة القرآن في تنوع أساليبه والتي على أساسها يختلف اتجاهه الى موضع الاستدلال فهو هنا :

١ - كان استدلاله برد المسألة الى أمر بدهي معروف لديهم ، وهي خلق السموات والأرض والذى لا ينكرونه فما دام قد قدر باعترافهم على خلقهما ولم يدّع أحد منهم أن الله عاجز عن ذلك فبطل أن يكون عاجزا من اعادة خلق الانسان مرة أخرى تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

٢ - كما ضرب الله تعالى المثل ليقرب الحقيقة ويدنيها مزيلا سبب انكارهم ، يقول صاحب تفسير البحر المحيط : (ولما كان أكثر الناس لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم بل ويجادلون بالباطل في أمر البعث نفي العلم عن الأكثر وتخصيصه به يدل على أن القليل

---

(١) أبوحيان الأندلسي جـ ٧ ص ٤٧٢ .

(٢) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ ٢٤ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يعلم لذلك ضرب مثلا للجاهل وهو صاحب الباطل بالأعمى وللعالم وهو صاحب الحق بالبصير وانهما لا يستويان فقال :

"وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ" (١)

أى الذى يجادل بالباطل والذى يجادل بالحق ولا يستوى المحسن بالايمان والعمل الصالح والمسيء بالكفر والمعاصي فانتفاء الاستواء بينهما هو من الجهة الدالة على العمى وعلى البصر والا فهما مستويان في غير ما شيء ولما كان قد تقدم :

"وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾" (٢)

فكان ذلك صفة ذم ناسب أن يبدأ في ذكر التساوى بصفة الذم فبدأ بالأعمى (٣).

٣ - ثم استخدام أسلوب التأكيد أو التوكيد الذى هو من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات واقرارها في أفئدتهم اقرارا ينتهي الى الايمان بها.

فهم عندما أنكروا البعث يؤكد مجيئه بأن واللام لمبالغة المخاطبين في الانكار. يقول صاحب كتاب (من بلاغة القرآن) (كلما توغل الخبر في ميدان الشك زادت ألوان المؤكدات وكلما ألح هؤلاء في التكذيب والشك زاد هو في تأكيد أمرها) (٤) ومن هنا كان التأكيد

---

(١) سورة غافر آية ٥٨.

(٢) سورة غافر آية ٥٧.

(٣) أبوحيان الأندلسي جـ٧ ص ٤٧٢، فتح القدير / الشوكاني جـ٤ ص ٤٩٨.

(٤) انظر : أحمد بدوى ص ١٤٣، ١٤٥، من أسرار البلاغة ص ١٧٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات . يقول صاحب كتاب الاتقان : (فاذا اجتمعت إن واللام ،كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات لأن (إنَّ) أفادت التكرير مرتين فاذا دخلت اللام صارت ثلاثا) .(١)

ثم قال تعالى : (لا ريب فيها) (لأنه لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لأنه لا بد من جزاء)(٢) فنفى عنهـا الريبة بـ (لا) على سبيل الاستغراق مع أنه ارتاب فيها المرتابون ،لكن نزل منزلة العدم تعويلا على ما يزيله من الأدلة الباهرة كما نزل الانكـار منزلة عدمه لذلك) .(٣)

وعليه فقد كانت خلاصة الاستدلال في الآيات المذكورة بالتالي :

١ - هدم موقف المعاندين لأسباب :

أ - فقدان الحجة (بغير سلطان) .

ب - فقدان الاستقامة (كبر) .

جـ - العجز (ما هم ببالغيه) .

د - الجهل (لا يعلمون) .

هـ - الكفر (لا يؤمنون) .

٢ - وحدانية الربوبية تثبت القدرة على البعث (وهو السميع العليم) .

٣ - ايجاد الأكبر يؤكد القدرة على ايجاد الأصغر (لخلق السموات والأرض ...) .

٤ - عدم استواء المتعارضين يؤكد أن قدرة الله غير قدرة الناس .

٥ - الوان التأكيد من الآية دليل واضح لكل من آمن .

---

(١) جلال الدين السيوطي جـ١/ ص ١٩٥.
(٢) الكشاف / الزمخشري جـ٣ ص ٣٣٤.
(٣) الاتقان في علوم القرآن / السيوطي جـ١ ص ١٩٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما يخرج به الداعية من مجادلة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم:

١ - التعرف على طبائع معينة من البشر لا تستجيب للدعوة ليس لأن لها مرتكزاً من حق أو سنداً من حجة الا أنه الكبر والجهل والحسد والتعصب الأعمى الذميم ، ومن هنا فإن على الداعية أن يكون مهيأً نفسيا الى أن عمله ليس وظيفة حتمية النتائج بل هي رسالة تبليغ وايصال ميراث لا ينتظر عليه جزاء ولا شكورا بل سيجد ويلاقي التعنت والتعصب ، وكما قال صاحب الظلال هي (قصة قديمة منذ عهد نوح عليه السلام)(١) ومن هنا فان عليه أن لا ييأس ولا يضيق بل يكون طويل النفس مع من يدعوهم ، وهذا رسول الله مع قومه بعد كل استدلالاته الواضحة التي عرضها عليهم والتي تؤكد وحدانية الله فهي على كثرتها الا أنهم يجادلون ويماطلون وليس هذا فقط بل يحاولون دعوته الى الاشراك بربه لا يضيق ، ولا يتبرم ، بل يدعوهم الى النظر في زيادة من نعم الله لأنه لم يرسل الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا .

٢ - ومع أن الأصل في الدعوة هو الملاينة والملاطفة والمجاملة الا أن على الداعية أن يدرك أن هذه الملاينة لا تكون الا في أسلوب الدعوة وطريقة النداء أما المبدأ الذى يدعو اليه فلا ملاينة ولا مجاملة فيه ولا مداراة / بل لا بد أن يعلم الجميع أنهم ان لم يستجيبوا فلهم دينهم وله دينه وهذا واضح مما علمه سبحانه الداعية الأكبر محمداً صلى الله عليه وسلم : " قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ "(٢)

---

(١) سيد قطب جـ ٤ ص ٣٠٧٠.

(٢) سورة غافر آية ٦٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهو ليس خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أبعد الناس عن عبادة غير الله معه وانما المخاطب وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب هو كل فرد من أفراد أمته وعلى رأسهم دعاته.

٣ - تنوع الأسلوب الذى انتهجه -عليه السلام- في استدلاله بين التوكيد والتكرير، والتمكين، والترغيب والترهيب، الذى يعتمد على اختيار الألفاظ.

أ - ففي قضية الوحدانية مثلا نراه يستخدم أسلوب التوكيد، الذى هو من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات واقرارها في أفئدتهم اقرارا ينتهي الى الايمان بها، فنراه يكرر كلمة (الرب) أثناء حديثه معهم أكثر من مرة لأنها هي القضية.. ومن خلالها لم يلفت أنظارهم الى جمال الآيات الكونية مثلا بل الى ما يجعلهم يشعرون بأنها نعمة ذات فائدة لا يستغنى عنها فيوحدون. مراعيا أنه ليس في مجال عرض قدرة الله الدالة على وجوده لأنهم مؤمنون أنه موجود بل عرض مصنوعاته بطريقة يصل فيها الى الوحدانية في قلوبهم، ومن هنا لا بد أن يدرك الداعية أن لكل مقام مقالا، فهم لما كانوا مقرين بوجود الله كان حديثه معهم بأسلوبه وألفاظه واستدلاله كتلة واحدة مترابطة هي برهان دعوته للوحدانية.

ب - أما في قضية البعث فقد اعتمد على البدهيات كمدخل لحجته فلا يستطيعون نكرانها.

٤ - التدرج في الأسلوب الذى بدأ بعرض الآيات الكونية والآفاقية حتى اذا لم تُعمل أثرها في نفوسهم انتقل الى ما لا يجحدونه بل يعيشونه عن طريق عرض الآيات في أنفسهم والتي هي أقرب الى الاحساس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والتفكير فيها فيخلق من ذلك جوا يعيش في ظله القلب البشرى ليوجهه بعد ذلك الى دعوة الله وحده مخلصا له الدين .

٥ - ومن هنا لوحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم / وهو يعرض دعوته وأثناء سوق استدلالاته لا يبدأ بعرض مطلبه مباشرة بل يبدأ ذلك بمقدمات وهي عرض نعم الله عليهم وما أكثرها في الآفاق والكون والأنفس ،لتكون بمثابة المنبه والتشويق والمقدمة والتمهيد في النفوس لما سيقوله بعد ذلك من أصل في الموضوع ، فبعد ذكر الحقائق التي لا يجحدونها يعقب عليها بدعوتهم الى الايمان بالله وحده .

٦ - ومن خلالها استخدم ما يسمى بأسلوب الالهاب والتهييج والتي لا بد أن يقف عندها الداعية للفائدة ، وخاصة في المعاني الهامة التي هي أصول في هذا الدين كما في قوله تعالى :

" قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ " (١)

حيث ان المخاطب وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب هو كل فرد من أفراد أمته وانما كان الغرض اثارة الشعور والوجدان لتكون النفس أكثر تلقيا وأكثر تمسكا .

٧ - وأخيرا يتعلم الداعية بشكل عام كيف يمكن اثارة المخاطبين ودفعهم الى التفكير من خلال جمال النقاش بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومشركي مكة والذى يثير التفكير والوجدان معا ، يثير التفكير بقضاياه ويثير الوجدان بتلك الأسئلة المطروحة.

---

(١) سورة غافر آية ٦٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الرابع :
المجادلات التي وردت في السورة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المبحث الرابع

المجادلات التي وردت في السورة

مجادلة فرعون لموسى من أعظم صور الصراع بين الحق والباطل ، وهي تصور معركة ضارية بين جند الرحمن وجند الشيطان ، وقد ذكرت هذه المجادلة في كثير من سور القرآن لما فيها من عظات و عبر، وقد كان لسورة غافر نصيب منها تحكى بدايتها كما قال سبحانه :

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ" (١)

ثم ان سورة الأعراف شرحت لنا هذه البداية كما قال تعالى :

"وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (٢)

هذه البداية التي تعتبر (ردا على فرعون حين قال :

"أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾" (٣) (٤) فكان التعريف به (بطريقة الاضافة التي تفيد التعظيم له سبحانه) (٥).

ومقام الأمر (أن موسى قال لفرعون وملئه قد جئتكم ببينة وبرهان من ربكم يشهد على صحة ما أقول وصدق ما أذكر لكم من أرسال الله اياى اليكم رسولا) (٦) (فجاءت هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا

---

(١) سورة غافر آية ٢٣-٢٤.

(٢) سورة الأعراف آية ١٠٤ - ١٠٥.

(٣) سورة النازعات آية ٢٤.

(٤) انظر استخراج الجدال من القرآن الكريم / ابن الحنبلي ص ٧١.

(٥) انظر الطراز / يحيى بن حمزة العلوى جـ٣ ص ٢٦٢ ، من أسرار البلاغة / محمود شيخون ص ١٠٤.

(٦) انظر جامع البيان في تفسير القرآن / الطبرى جـ٩ ص ١٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لأن مقام الانكار مما يثير سؤال سائل أن يقول : هذه دعوى غريبة تحتاج الى حجة ، فبنى موسى كلامه على ما يوثق به من صدق دعوته مع الاستعداد للتبيين على ذلك الصدق بالبراهين أو المعجزة ان طلبها فرعون)(١) فاستهل حديثه معهم مؤكدا (اني رسول) يؤكده لهم ليثبت المعنى في نفوس سامعيه فيستقر في أفئدتهم كبداية لعقيدة هي الاساس الذى يوصل الى الايمان وليس اتهاما بالسحر فهو رسول وليس بساحر .

هذا التقرير لم يكن مجرد ادعاء بل جاء تصاحبه البينة ليس مني بل من ربكم ، وأنا أرى أن موسى عليه السلام لم يقل من ربي ولا من ربنا لأن الأصل أن فرعون يدعي أنه ربهم الأعلى وموسى بعيد عن ذلك لا يعترف الا بربوبية رب العالمين فهو اذا ربكم الذى هو رب العالمين ومنهم فرعون مدعي الربوبية ، يقول صاحب التحرير والتنوير (وقد قصد موسى اختيار هذه الصفة في الاعلام بالرسل ابطالا لاعتقاد فرعون أنه رب مصر وأهلها فانه قال لهم " أنا ربكم الأعلى " فلما وصف موسى مرسله بأنه رب العالمين شمل فرعون وأهل مملكته فتبطل دعوى فرعون انه اله مصر بطريق اللزوم وذلك في جميع البلاد والعباد)(٢) ثم يعقب صاحب التفسير الكبير قائلا : (ان فيه اشارة

---

(١) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٩ ص ٣٩ .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور جـ٩ ص ٣٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الى ما يدل على وجود الاله تعالى فرب العالمين يدل على أن العالم موصوف بصفات لأجلها افتقر الى رب يربيه واله يوجده ويخلقه) .(١)

ومن هنا قال لهم أولا : (من رب العالمين) كحقيقة مجردة ردا على دعوى فرعون .

ثم قال : (من ربكم) لأنه ثبت أنه ربكم (بكل البينات العِدَّة التي جئت بها من عند من تنسب اليه الربوبية وهو ربكم لا رب وحدى ، وفي هذا استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم) .(٢)

وبذلك نرى أن دعوى موسى عليه السلام اشتملت على مطالب أساسية كدعوة كل الرسل وهي :

١ - اقرار فرعون بأن موسى رسول من عند الله بموجب البينات والبراهين التي جاء بها من عند الله .

٢ - الاقرار بوجود الله ووحدانيته لا شريك له .

ونظم الكلام كما يقول الرازى : (كأنه قال : أنا رسول الله ورسول الله لا يقول الا الحق ، ينتج اني لا أقول الا الحق ، ولما كانت المقدمة الأولى خفية ، وكانت المقدمة الثانية جلية ظاهرة ، ذكر ما يدل على صحة المقدمة الأولى وهو قوله :

"قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ" وهي المعجزة الظاهرة القاهرة ، ولما قرر رسالة نفسه فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله

"فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾" (٣))

---

(١) الفخر الرازى جـ١٤ ص ١٩٠ .

(٢) انظر الكشاف / الزمخشرى جـ٣ ص ٤٢٤ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان / النيسابورى جـ٢٤ ص ٤٠ .

(٣) التفسير الكبير جـ١٤ ص ١٩٠ . والآية من سورة الأعراف آية ١٠٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الا أن فرعون قد رفض هذه المطالب ، وجادل موسى مجادلة عنيفة بدأت بتحديه ومطالبته بالبينة التي ادعى أنه أتى بها تدل على صدقه فيما يدعو اليه حيث قال له كما تحكي سورة الأعراف :

" إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ " (١)

(أى ان كنت جئت بمعجزة لأن أكثر موارد الآية في القرآن مراد فيه المعجزة ، وأكثر موارد البينة مراد فيه الحجة فحين قال موسى:

" قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ " (٢)

أى الحجة على اثبات الالهية وعلى حقيقة ما جاء به من ارشاد لقومه فكان فرعون غير مقتنع ببرهان العقل أو قاصرا عن النظر فيه فانتقل الى طلب خارق للعادة). (٣) وكأنه يوحي بالتصديق عند ما يأتي موسى بها .

ومن هنا قام موسى عليه السلام بتقديم البينة الدالة على صدقه وصحة نبوته وعرضها عليهم كما بينها الله :

" فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ " (٤)

وبذلك كملت مقدمات موسى دليلاً وحجة أمام فرعون والتي اعتمدت على :

١ - أن لهذا العالم الها قادرا حكيما .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠٦.

(٢) سورة الاعراف آية ١٠٥.

(٣) التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور جـ٩ ص ٣٩ - ٤٠.

(٤) سورة الأعراف آية ١٠٧-١٠٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٢ - أنه أرسله اليهم بدليل أنه أظهر المعجزة على وفق دعواه ومتى كان الأمر كذلك ،وجب أن يكون رسولا حقا .

٣ - أنه متى كان الأمر كذلك كان كل ما يبلغه عن الله اليهم فهو حق وصدق ..ثم ان فرعون ما نازعه في شيء من هذه المقدمات الا في طلب المعجزة ، وهذا يوهم أنه كان مساعدا على صحة سائر المقدمات والمعروف أن يلتزم بالتصديق بعد رؤية بينات موسى خاصة وأنه هو الذى تحداه بطلبها الا أن فرعون لم يسلم لموسى بل أراد هو ومن معه التضليل والتمويه وأخذتهم العزة بالاثم ،وكان قوم فرعون قد اشتهروا بالسحر وكان غالبا في زمانهم ولهذا اتهموه به كما تحكى سورة غافر : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

وقالوا له : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٢)

فقد (أوردوا الشبهة الطاعنة في نبوته عليه السلام وهي أن ما جئتنا به سحر لامعجز ولما علم أن المعجز انما يتميز عن السحر لكون المعجز مما يتعذر معارضته والسحر ما يمكن معارضته قال :

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ﴾ (٣) (٤))

---

(١) سورة غافر آية ٢٣-٢٤ .

(٢) سورة طه آية ٥٧ .

(٣) سورة طه آية ٥٨ .

(٤) التفسير الكبير / الفخر الرازى جـ٢٢ ص ٧١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول الامام ابن نجم الحنبلي : (فالصادر من خصمه -فرعون- معارضته الأنها فاسدة لأن حقيقة المعجزة غير حقيقة السحر فلا يخلو حال فرعون من أن يكون :

١ - ما فهم معجزة موسى .

٢ - أو فهم الا أنه قصد المصادمة والمباهتة).(١)

ومن هنا أرادوا أن يخوضوا معه تجربة أخرى القصد من ورائها الخداع كما تشرحها سورة طه :

"فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾"(٢)

وكلاهما يوجب المسايرة الى دليل يفضح معارضته ويقطع حجاجه ،لذا فقد قبل موسى الاجتماع بهم يوم الزينة مستخدما أسلوب الاستدراج الذى اعترف لهم فيه بالسحر وليس مرادا ،بل هو من مجاراتهم ليعثروا فلربما كان من الممكن بهذه الوسيلة ثنيهم عن الانكار)(٣) فقال لهم :

"مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾"(٤)

وهذا هو التحدى الثاني لموسى والذى طلب منه فيه تحديد الزمان والمكان لتلك المعركة الجدلية ،وانما أراد موسى عليه السلام أن يكون يوم العيد الذى يجتمع فيه الناس وأن يكون ذلك المشهد بين معترك الحق والباطل

---

(١) انظر استخراج الجدال من القرآن / ص٦٧.

(٢) آية ٥٨.

(٣) انظر الاتقان في علوم القرآن / السيوطي ٢/٥٧.

(٤) سورة طه آية ٥٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في رابعة النهار لكي لا يخفى على أحد ما يجرى فيه ولتظهر قدرة الله في مثل ذلك الموقف الرهيب ، يقول صاحب التفسير الكبير : (ان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع فتعيينه انما يليق بالمحق الذى يعرف أن اليد له لا المبطل الذى يعرف أنه ليس معه الا التلبيس) . (١)

وبدأ فرعون ومن معه تلك المجادلة الا أنهم قدموا لها بمقدمة تهيئة وتعبئة للنفوس :

" قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ " (٢)

والقصد هو اثارة حمية بعضهم بعضا ، فكانت هذه التعبئة عبارة عن تنفير وذلك :

١ - (بالطعن في معجزات موسى عليه السلام .

٢ - اتهامه بالسحر لأن كل طبع سليم يقتضي النفرة عن السحر وكراهة رؤية الساحر .

٣ - ومن حيث أن الانسان يعلم أن السحر لا بقاء له فاذا اعتقدوا فيه قالوا كيف نتبعه فانه لا بقاء له ولا لدينه ولا لمذهبه .

٤ - اتهامه بأنه يريد أن يخرجهم من أرضهم وهذا نهاية التنفير لأن المفارقة عن المنشأ والمولد شديدة على القلوب وهذا هو الذى حكاه الله تعالى عن فرعون في قوله :

" أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ " (٣)

---

(١) الفخر الرازى ٢٢/ ٧٢ .

(٢) سورة طه آية ٦٣ - ٦٤ .

(٣) سورة طه آية ٥٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكأن السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها .

٥ - اتهامه بأنه يريد أن يذهب بطريقتهم المثلى وفي ذلك تأثير شديد على القلب ،لأن العدو اذا جاء استولى على جميع المناصب والأشياء التي يرغب فيها وفي ذلك نهاية المشقة على النفس .

فهم ذكروا هذه الوجوه للمبالغة في التنفير عن موسى والترغيب في دفعه وابطال أمره) .(١)

ثم بدأت المعركة : " قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ "(٢)

يقول الفخر الرازى عن موسى عليه السلام : (وقد قدمهم في الالقاء على نفسه لأنه كان قد أظهر المعجزة مرة واحدة فما كان به من حاجة الى اظهارها مرة أخرى ، والقوم إنما جاءوا لمعارضته فلو بدأ باظهار المعجزة لكان كالسبب في اقدامهم على اظهار السحر و قصد ابطال المعجزة غير جائز ، ولكنه فوض الأمر اليهم حتى أنهم باختيارهم يظهرون ذلك السحر ثم يظهر هو معجزته التي تُبطل سحرهم فكان هذا التقدير سببا لازالة الشبهة)(٣) .

---

(١) الفخر الرازى ٢٢/ ٨٢ .

(٢) سورة طه آية ٦٥ - ٧٠

(٣) انظر الفخر الرازى ٢٢/ ٨٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن هنا خر السحرة سجدا مؤمنين ، يقول صاحب كتاب من بلاغة القرآن : (والنظرة الفاحصة تكشف رغبة القرآن في تصوير نفسية هؤلاء السحرة ، وأنهم لم يكونوا يوم تحدوا موسى بسحرهم خائفين أو شاكين في نجاحهم وانما كان الأمل يملأ قلوبهم في نصر مؤزر عاجل ، فهم لا ينظرون ما عسى أن تسفر عنه مقدرة موسى عندما ألقى عصاه ، بل كانوا مؤمنين بالنصر سواء ألقى موسى أولا أم كانوا هم أول من ألقى)(١).

وفي هذا رد على شبهة فرعون الثانية والتي ألقاها مباشرة بعد أن شاهد منهم السجود والاقرار خوفا من أن يصير ذلك سببا لاقتداء سائر الناس بهم في الايمان بالله تعالى وبرسوله فقال :

﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ (٢)

يقول صاحب التحرير والتنوير : (لما رأى فرعون ايمان السحرة تغيظ ورام عقابهم ولكنه علم أن العقاب على الايمان بموسى بعد أن فتح باب المناظرة نكث لأصول المناظرة فاختلق للتشفي من الذين آمنوا شبهة تتلخص في انهم :

١ - آمنوا قبل أن يأذن لهم معتمدين على الخاطر دون بحث دليلا على أن ايمانهم ليس عن بصيرة بل عن سبب آخر فيه جرأة عليه ، وأوهم أنهم لو استأذنوه لأذن لهم.

---

(١) من بلاغة القرآن / أحمد بدوى ص ٦٢.

(٢) سورة طه آية ٧١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢ - ثم انه لكبيركم الذى علمكم السحر ، وأنتم تلامذته فيه فاصطلحتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجا لأمره وتفخيما لشأنه ، وهذا تواطؤ بينكم ، ومقصد فرعون من هذا اقناع الحاضرين بأن موسى لم يأت بما يعجز السحرة ادخالا للشك على نفوس الذين شاهدوا الآيات.

٣ - ثم بعد ذلك اشتغل بالتهديد تنفيرا لهم عن الايمان ، وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم - أى السحرة - حين قال :
(لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف)(١).

وهذا هو الجدل الذى يترجح فيه جانب الغرور والكبرياء والترفع باظهار العلم ، فكأن الامام الغزالي - رحمه الله - يشرح نفسية فرعون فيقول (وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه ، وهما شهوتان باطنيتان للنفس قويتان لها.

أ - أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية.

ب - وأما تنقيص الآخر فانه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويؤذيه ويصدمه)(٢).

---

(١) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٢/٨٧ ، التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور ١٦/٢٦٣.

(٢) انظر احياء علوم الدين / الغزالي حـ٣/١١٦-١١٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومع ذلك فقد انجلت المعركة بانكسار عنفوان الكبرياء :

" فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ " (١)

(ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادقة الصحيحة التي لا تغلب أبدا) (٢) الا أن فرعون لم يسلم بل استمر احتدام الجدال والصراع بينه وبين موسى وظل العناد مستحكما في نفوس آل فرعون حتى قالوا لموسى :

" وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ " (٣)

واذا بفرعون ومن معه بعد أن أعيتهم الحيل وبعد أن أصلاهم موسى عليه السلام نار الحجج والبراهين ملجما خصومتهم مفحما لهم ، بعد ذلك يلجأون الى منطق الطغيان والفرعنة/ و ينتقلون بالأمر من المعارك الفكرية .

---

(١) سورة الأعراف آية ١١٨-١١٩ .

(٢) انظر الأحكام في أصول الاحكام /ابن حزم الأندلسي ١/ ٢٥ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٣٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الى معارك دموية كما تقرر سورة غافر :

" فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ " (١)

يقول ابن كثير -رحمه الله- : " وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني اسرائيل ، أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين ، وأما الأمر الثاني فللعلة الثانية ولاهانة هذا الشعب ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام ، ولهذا قالوا : " أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ " (٢)

ولهذا قال قتادة (٣) هذا أمر بعد أمر). (٤)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل لا بد من التخلص من رأس الأمر كله : " وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ " (٥)

---

(١) سورة غافر آية ٢٥/٢٦ . (٢) سورة الاعراف آية ١٢٩ .

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة ، أبو الخطاب ، السدوسي ، البصرى الأكمه ، التابعي ، أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وأمانته واتقانه وفضله ، قال أحمد : " كان قتادة أحفظ أهل البصرة لم يسمع شيئا الا حفظه ، وكان عالما بالتفسير ، واما في النسب ، ورأسا في العربية ، توفي بواسط في الطاعون سنة ١١٧هـ (انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/١٢٢ ، طبقات المفسرين ٢/٤٣ ، وفيات الأعيان ٣/٢٤٨ ، حلية الأولياء ٢/٣٣٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/٧٦ .

(٥) سورة غافر آية ٢٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبذلك نرى أن الحجة التي احتج بها فرعون لقتله هو اظهار الخوف على دينهم مستغلا حب الناس الشديد لأديانهم يقول صاحب التفسير الكبير : (ولما كان حب الناس لأديانهم فوق حبهم لأموالهم لا جرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال (اني أخاف أن يبدل دينكم) وأتبعه بذكر فساد الدنيا فقال " أو أن يظهر في الأرض الفساد " .

وأما فساد الدين : فقد استغل اعتقاد القوم أن الدين الصحيح هو الذى كانوا عليه ،فلما كان موسى ساعيا في افساده كان في اعتقادهم أنه ساع في افساد الدين الحق .

وأما فساد الدنيا : فهو لا بد وأن يجتمع عليه /قوم أى على موسى ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن)[1] (وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مذكرا ،يعني واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام وكما يقول ابن كثير -رحمه الله- : هو أمر في غاية الجحد والتجهم والعناد)[2] .

---

(١) الفخر الرازى ٢٧/٥٥٠

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/٧٦ - ٧٧٠

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وظن فرعون أن تلك المعارك ستبقى معارك في مستوى القدرات البشرية وأن الكثرة الكثيرة ستكون درعا له ، وسندا في ذلك الصراع ، ناسيا أو متناسيا أن موسى يستند على القوة القاهرة التي لا تغلب والملجـــأ المكين :

" وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (١)

متخذا من أسلوب التوكيد (وسيلة لتثبيت ذلك المعنى الذى يدور حوله كل ذلك الجدال في نفوس سامعيه واقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيـدة من عقائدهم)(٢).

---

(١) سورة غافر آية ٢٧.

(٢) انظر من أسرار البلاغة / محمود السيد شيخون ص ٧٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(فلفظة " إني " جاءت لتؤكد أن الطريق المؤكد المعتبر في دفع الشرور والآفات عن النفس انما هو الاعتماد على الله والتوكل على عصمته عند توجه الآفات والمخافات من شياطين الانس ، ولفظة " ربي وربكم " جاءت لتقول : ان الله سبحانه هوالذى رباني والى درجات الخير رقاني ومن الآفات وقاني وأعطاني نعما لا حد لها ولا حصر ،فلما كان المولى ليس الا الله وجب ألا يرجع العاقل في دفع كل الآفات الا الى حفظ الله .

وهو ربكم ،وفيها بعث لقوم موسى على أن يقتدوا في الاستعاذة بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه) .(١)

ثم جاء أسلوب التمكين شرحا لتوكيده فقال :

" مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ "(٢)

فأما قوله " من كل متكبر " (تشمل فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض بهم فيكون أبلغ)(٣) وأما قوله : " لا يؤمن بيوم الحساب " ، (فلأن الموجب للاقدام على ايذاء الناس أمران :

أ - كون الانسان قاسي القلب .

ب - كونه منكرا للبعث والقيامة .

---

(١) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧/ ٥٥ - ٥٦ ، الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٣ .

(٢) سورة غافر نهاية آية ٢٧ .

(٣) الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالمتكبر القاسي قد يحمله طبعه على ايذاء الناس الا أنه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعا له من الجرى على موجب تكبره ،فاذا لم يحصل عنده الايمان بالبعث والقيامة كانت الطبيعة داعية له الى الايذاء والمانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائلا ،واذا كان الخوف من السؤال والحساب زائلا فلا جرم تحصل القسوة والايذاء)(١).

كان هذا شأن موسى مع ربه وكان ذاك شأن فرعون مع قومه يقلبون أوجه الرأى ويحيلون الفكر في الاقدام على جريمة القتل ،وبينما هم على ذلك اذ دفعت المروءة ،والشجاعة رجلا أنار الله بصيرته وكشف له سبيل الرشد والايمان فدافع عن موسى أشد الدفاع وناضل عنه وجادل وبيّن لهم سوء أمرهم وعاقبة تدبيرهم وفند حججهم وزيف ضلالهم، يقول صاحب التفسير الكبير : (لما حكى الله عن موسى عليه السلام أنه ما زاد في دفع مكر فرعون وشره على الاستعاذة بالله ، بين أنه تعالى قيض انسانا أجنبيا غير موسى حتى ذب عنه على أحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة واجتهد في ازالة ذلك الشر)(٢).

ولقد سلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك شتى .. وشى الى قلوبهم بالنصيحة يثير حساسيتها بالتخويف والاقناع ،مخاطبا العقل ، معتمدا في مناقشاته معهم على المسلمات حتى يقطعوا بصحة المدعى أمامهم .

---

(١) التفسير الكبير / الفخرالرازى ٢٧/ ٥٦.

(٢) الفخر الرازى ٢٧/ ٥٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

انها جولة عظيمة جالها ذلك الرجل المؤمن مع المتآمرين من فرعون وملئه ، وانه منطق الفطرة المؤمنة في حذر ومهارة وقوة.

ولقد اعتمد في مجادلته قومه أسلوب الاستدراج (١) وهو مهم للداعية بما (تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم ، لأنه لا انتفاع بايراد الألفاظ المليحة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لغرض المخاطب بها).(٢)

وقد بدأت باستفهام على سبيل الانكار في سبب قتله وتفظيع ما هم مقدمون عليه :

(٣)
" أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ "

(فهل هذه الكلمة البريئة المتعلقة باعتقاد قلب واقتناع نفس تستحق القتل ، وقد ذكر الامام الرازى بعد ذلك ما يدل على حسن ذلك الاستنكار ويقوى حجته :

١ - فالرجل - موسى عليه السلام - ما زاد على أن قال " ربي الله ".

٢ - ثم انه ما قال هذه الكلمة البريئة الا ومعه حجته وفي يده برهانه :

(٤)
" وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ "

---

(١) وهو استمالة المخاطب بما يؤثر فيه ويأنس اليه ، أو بما يخوفه ويرغبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه .
(انظر الأقصى القريب ، التنوخي ص ١٠٣ ، الطراز / يحيى ابن حمزة العلوى اليمني ٢/ ٢٨١).

(٢) المثل السائر / ابن الأثير ٢/ ٢٩٥.

(٣) سورة غافر آية ٢٨.

(٤) سورة غافر آية ٢٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يشير الى تلك الآيات التي عرضها موسى عليه السلام ورأوها وهم فيما بينهم وبعيدا عن الجماهير يصعب أن يماروا فيها ، فهم أول الناس علماً بصدقها) .(١)

ومن هنا يقول صاحب كتاب الطراز ما نصه : (فصدر كلامه بالانكار عليهم في قتله واستقباحه لأمرين :

١ - لأنه قائل بالتوحيد لله تعالى .

٢ - لأنه قد جاءهم بالمعجزات الواضحة في هدايتهم الى الخير . فمن هذه حاله ، كيف يقدم على قتله ؟ هذا مما لا يتسع له عقل ولا يقبله) .(٢)

(كأنه قال : أترتكبون هذه الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة ، من غير روية ولا فكر ، وما لكم من علة في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله : (ربي الله) مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده . وهو استدراج لهم الى الاعتراف به ، وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم) .(٣)

ثم أخذ بعد ذلك في الاحتجاج عليهم على جهة التقسيم ، ليفرض لهم أسوأ الفروض ويقف معهم موقف المنصف أمام القضية تمشيا مع أقصى

---

(١) انظر التفسير الكبير ٢٧/٥٧ ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، الأسعي ص ٤١٣-٤١٤ .

(٢) يحيى بن حمزة العلوى اليمني ٢/٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٣) انظر الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٤ ، غرائب القرآن / النيسابورى ٢٤/ ٤٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فرض يمكن أن يتخذوه ، مقسما الرأى في موسى عقليا عن طريق حصر الأوصاف للموضوع الذى يجادل بشأنه ثم بيان أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تسوغ قبول القتل لموسى مبطلا دعوى فرعون من طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع .

قال ابن الأنبارى (١) في شرح البرهان (السبر : يرجع الى اختبار أوصاف المحل) (٢) ثم شرح ذلك صاحب كتاب الاتقان فقال : (السبر والتقسيم أن يقسم ما هو محل الجدل الى منتهى أقسامه ويسبر كل قسم بأن ينفي عنه ما يريد الخصم اثباته له) . (٣)

والمفروض أن (مثل هذا التقسيم والسبر لا يدع مجالا للشك وتستريح النفس الى ما تصل اليه من نتائج عن طريقه) . (٤)

---

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن دعامة الامام أبو بكر بن الأنبارى ، المقرئ ، النحوى ، البغدادى ، صاحب التصانيف العديدة ، كان صدوقا فاضلا دينا خيرا من أهل السنة ، كما كان حافظا ومع حفظه كان زاهدا متواضعا ، مات سنة ٣٢٨ هـ ببغداد (انظر ترجمته في البداية والنهاية ١١/ ١٩٦ تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٢ ، التفسير والمفسرون للداودى ٢/ ٢٢٧ ومابعدها) .

(٢) ارشاد الفحول للشوكاني ص ٢١٤ .

(٣) السيوطي ٢/ ١٧٣ .

(٤) من أسرار البلاغة / محمود السيد شيخون ص ٢٢٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد حصر موء من آل فرعون دعواهم وقسمها فقال : ما علة همكم بقتل موسى ؟ فالأمر لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون كاذبا واما أن يكون صادقا .

أ - فإن كان كاذبا فكذبه عليه ولا يتعداه وانتم خالصون عنه . يقول الامام القرطبي : (لم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ولكن تلطفا في الاستكفاف واستنزالا عن الأذى)(١).

ب - وإن كان صادقا فاتباعه نفع وفوز ونجاة ، وإصابتهم ببعض الذى يعدهم هو كذلك أقل احتمال في القضية ولا يطلب اليهم أكثر منه وهذا منتهى الانصاف في الجدل والافحام.

يقول صاحب الكشاف : (فان قلت لم قال " بعض الذى يعدكم " وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه ؟ قلت : لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى أن يلاوموهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبوله فقال : " وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم " وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه)(٢).

فثبت أن على كلا التقديرين كان الأولى ابقاؤه حيا ومدار الاستدلال هو اظهار الانصاف وترك اللجاج لأن تقدير الكلام ، أنه لا حاجة بكم في دفع شره الى قتله بل يكفيكم أن تمنعوه عن اظهار هذه المقالة

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ١٥/ ٣٠٦.

(٢) الزمخشرى ٣/ ٤٢٤-٤٢٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم تتركوا قتله فان كان كاذبا فحينئذ لا يعود ضرره الا اليه وان يك صادقا انتفعتم به ،فالتقسيم يؤدى في النهاية الى عدم التعرض لموسى عليه السلام وعدم محاولة قتله . وهكذا وبطريقة السبر والتقسيم يبقى العقل المجرد والفكر السليم .

ثم يؤكد لهم أنه ليس بكاذب بتقرير :

"إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾" (١)

فالله تعالى قد هدى موسى الى الاتيان بهذه المعجزات الباهرة ومن هداه الله الى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا فهذا يدل على أن موسى عليه السلام ليس من الكاذبين وبالتالي لا يستحق القتل ، وفيه اشارة الى علو شأن موسى عليه السلام على طريق الرمز والتعريض .

وقيل ان هذا (احتجاج آخر ذو وجهين :

أحدهما : أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولا أيده بالمعجزات .

وثانيهما : أنه اذا كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله) .(٢)

ومن خلال كل ذلك يتضح أن الانسان يعتز برأيه وفكرته حتى وهو يسلم في أعماقه ببطلانها وخطئها ، والمعاندون أكثر تشددا في هذا المجال ولذلك راعى مؤمن آل فرعون هذه الناحية في مناقشاته معهم

---

(١) سورة غافر آية ٢٨ .

(٢) فتح القدير / الشوكاني ٤/٤٨٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حيث رأينا في طريقته مع قومه ما يعرف بـ " مجاراة الخصم " والتي فيها تسليم لهم ببعض مقدماتهم وهو أن موسى مسرف .. مرتاب الا أن هذه المقدمة لا تنتج ما يريدون أن يصلوا اليه وهو القتل بل هو بعيد وانما النتيجة أن الله سيعالج أمره لأن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ، وفي هذا النوع من جدله معهم اسقدراج لهم ومحاولة ثنيهم عما يعتزمون عليه بعد بيان فساد العلاقة بين مقدماتهم الاتهامية والنتيجة التي رُتّبت عليها ، وفي هذا يقول الشهرستاني (١) (اعلم أن الموافقة في العبارات على طريق الالزام على الخصم من أبلغ الحجج وأوضح المناهج (٢)) .

ثم يعقب صاحب كتاب الطراز على كل ما مضى من قول ذلك المؤمن قائلا :

(وفي سياق هذا الكلام من الملاطفة وحسن الأدب وكمال الانصاف ما يربو على كل غاية وبيانه من أوجه :

---

(١) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح الشهرستاني ، كان اماما مبرزا فقيها متكلما أصوليا ، برع في الفقه ، وتفرد في علم الكلام ، وكان كثير المحفوظ ، حسن المحاورة ، يعظ الناس ، شافعي المذهب ، توفى سنة ٥٤٨ هـ وقيل ٥٤٩ هـ (انظر ترجمته في (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/ ١٢٨ ، وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٣ شذرات الذهب ٤/ ١٤٩) .

(٢) الظل والنحل ٢/ ٥٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

١ - لأنه صدر الكلام بكونه كاذبا على جهة التقدير ، ملاطفة واستنزالا للخصم على نخوة المكابرة ، ودعاء له الى الاذعان والانقياد للحق ، وقدمه على كونه صادقا دلالة على ذلك.

٢ - ولأنه فرض صدقه على جهة التقدير مع كونه مقطوعا بصدقه تقريبا للخصم وتسليما لما يدعيه من ذلك وهضما لجانب الرسول ، زيادة في الانصاف ومبالغة فيه).(١)

٣ - (أنه أردفه بقوله : "يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ"(٢)

وان كان التحقيق أنه يصيبهم كل مايعدهم لا محالة لأنه نبي صادق الا أنه احتاج في مقاولة خصوم موسى أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناصحة ، ليكون أدعى الى سكونهم اليه ، فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم اياه فقال : " وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم " وهو كلام المنصف في مقالة غير المشتط فيه ليسمعوا منه أولا ولا يردوا عليه ، وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكنه أردفه بقوله " يصبكم بعض الذى يعدكم " ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا عن أن يتعصب له أو يرمى الحصا من وراءه ، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل فكأنه برطلهم في صدر الكلام

---

(١) يحيى بن حمزة العلوى اليمني ٢/٢٨٣.

(٢) سورة غافر آية ٢٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بما يزعمونه لئلا ينفروا منه). (١)

٤ - (انه أتى بـ " إِنْ " الشرطية وهي موضوعة للأمور المشكوك فيها ليدل بذلك على أنه غير مقطوع بما يقوله على جهة الغرض ، واذعانا للخصم على التقدير لارادة هضمه لحقه ، وأنه غير معط له ما يستحق من التعظيم.

٥ - وقوله في آخر الآية : " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ " (٢)

أى هو على الهدى ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات ، وانما أتى به على التلطف والانصاف مخافة أن يبعدوا عن الهداية ومحاذرة عن نفارهم عن طريق الصواب فرضا وتقديرا ، والا فلو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى النبوة ولما أعطاه اياها ولما عضده بالبينات.

وفي هذا الكلام من الاستدراج للخصم وتقريبه وادنائه الى الحق ما لا يخفى على أحد من الأكياس ، وقد تضمن من اللطائف والأسرار التي يستفيد منها الداعية - ما لا سبيل الى جحده). (٣)

ثم لما أقام مؤمن آل فرعون الدلائل على أنه لا يجوز الاقدام على قتل موسى نراه يستخدم معهم طريقة أخرى للجدل معتمدا على

---

(١) انظر المثل السائر لابن الأثير ٢/ ٢٩٦ ، الطراز / يحيى بن حمزة العلوى اليمنى ٢/ ٢٨٣ .

(٢) سورة غافر آية ٢٨ .

(٣) انظر الطراز / يحيى بن حمزة العلوى اليمنى ٢/ ٢٨٣- ٢٨٤ المثل السائر / ابن الأثير ٢/ ٢٩٦-٢٩٧ ، الكشاف / الزمخشرى ٣/ ٤٢٥ ، تفسير البحر المحيط / ابي حيان الأندلسي ٧/ ٤٦١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الترهيب تارة ، لأنه يعلم أن الانسان يكره الألم وينفر منه والترغيب تارة أخرى :

١ - أما الترهيب فهو بتخويفهم من عذاب الله وتذكيرهم ببأسه وانتقامه من الضالين المكذبين :

" يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا " (١)

يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ولكم عبره فيمن سبقكم من الأحزاب السابقة وما أصابها في الدنيا وما ينتظرها في الاخرة .

٢ - وأما الترغيب فقد كان عن طريق ما سينالهم من الخير والهدى والرشاد الذى وعدهم به وحفظ الخير الذى هم فيه كأمة مالكة ظاهره في الأرض ثم بعد ذلك الجنة يرزقون فيها بغير حساب .

ومع ذلك لم يسلم فرعون بل قال : " ما أريكم الا ما أرى " أى لا أشير اليكم برأى سوى ما ذكرته من أنه يجب قتله حسما لمادة الفتنة وما أهديكم بهذا الرأى الا سبيل الرشاد والعلاج .

الا أن موءمن آل فرعون نجده مقابل ذلك يراعي طبيعتهم العنيدة ويجامل خصومه ولا يرد على دعواهم ردا مباشرا حين قال فرعون : " ما أريكم الا ما أرى " الا أنه في الوقت نفسه لا يسلم لهم بها فيقول متمما حواره معهم : " يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ " (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٢٩ .

(٢) سورة غافر آية ٣٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

متبعا طريقة الانتقاد في الاستدلال لأن خصمه فرعون - بالرغم من أنه لا يشك في صدق كلام ذلك المؤمن الا أنه يقصد المغالطة مما اضطره الى الاتيان بدليل آخر لا يستطيع فرعون جحده ، فهو يريد أن يصرفهم عن قصدهم في قتل موسى لأنه لا يستحق القتل بل يجب اتباعه ما دامت كل الحجج معه ، محذرا لهم من بأس الله أن ينزل بهم ، ومع ذلك يغالط فرعون قائلا : :

" مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ " (١)

مما اضطر ذلك المؤمن أن يحذرهم مخوفا من مثل يوم الأحزاب الذى يذكرونه ويمرون عليه ، فهم اذا لم يسلموا بنزول العذاب عليهم استبعادا له فليذكروا أنه نزل بمن سبقهم فتزول شبهة الاستبعاد .

وهنا نلحظ أن ذلك المؤمن قد استخدم طريقة المناصحة والارشاد وتوجيه انظارهم الى من سبقهم ليأخذوا منه الفائدة والعبرة ، وهذه الصورة أو الطريقة تراعي الجدل في ثنايا ها وترد عليهم في اجمال وتدليل .

وعاد يفصل في دعوته لقومه وندائه لهم الى الايمان بموسى والتمسك بطريقته بعد أن دعاهم الى قبول ذلك الدين على سبيل الاجمال حين قال لهم : " يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ " (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٢٩ .

(٢) سورة غافر آية ٣٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وسبيل الرشاد : هو سبيل الثواب والخير وما يؤدى اليه ، لأن الرشاد نقيض الغي ، وفيه تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي .

ثم بعد ذلك زاد الأمر تفصيلا عن طريق : بيان حقارة حال الدنيا وكمال حال الاخرة ، أما حقارة الدنيا فهي قوله :

" يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ " (١)

والتي حاصلها : أن الاخرة باقية دائمة والدنيا منقضية منقرضة والدائم خير من المنقضي ، وبذلك نرى كيف أنه اعتمد على أسلوب الترغيب في النعيم الدائم والترهيب عن العذاب الدائم ولذلك هو من أقوى وجوه الترغيب والترهيب ، ثم بين كيف تحصل المجازاة في الاخرة مشيرا فيه الى أن جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال :

" مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ " (٢)

ولكن القوم على الرغم من قوة عارضته وحسن مجادلته قاوموه ليلجئوه الى صفهم ورأيهم فقال :

" وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ " (٣)

يقول الامام الرازى : (فان قيل لم كرر نداء قومه ؟

فالملاحظ أنه أراد بذلك زيادة تنبيه لهم وايقاظاً من سنة الغفلة ، واظهاراً أن له بهذا السهم مزيد اهتمام ، وعلى أولئك الأقوام

---

(١) سورة غافر آية ٣٩ .

(٢) سورة غافر آية ٤٠ .

(٣) سورة غافر آية ٤١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فرط شفقة . ولما ذكر هذا الموءمن أنه يدعوهم الى النجاة وهم يدعونه الى النار ، فسر ذلك : بأنهم يدعونه الى الكفر بالله والى الشرك به أما الكفر بالله فلأن الأكثرية من قوم فرعون كانوا ينكرون وجود الاله ، ومنهم من كان يقر بوجود الله الا أنه كان يثبت عبادة الأصنام . فحين قال : وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ (١)

فكأنه قال : وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكا للاله ؟ ولما بين أنهم يدعونه الى الكفر والشرك استخدم معهم ما يسمى بالتمكين أو كما سماه صاحب تحرير التحبير المناسبة (٢) حين بين لهم أنه يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار ، قاصدا كلمة " العزيز " اشارة الى كونه كامل القدرة ، منبها على أن الاله هو الذى يكون كامل القدرة ، وأما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها ، وأما الأصنام فانها أحجار منحوته فكيف يعقل القول بكونها آلهة .

كما قصد كلمة " الغفار " اشارة الى أنه لا يجب أن يكونوا آيسين من رحمه الله بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فإن إله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يغالب ، لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة .

---

(١) سورة غافر آية ٤٢ .

(٢) وهو أن يمهد المتحدث للقرينة تمهيدا تأتي به القرينة متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم (انظر الاتقان ، السيوطي ٣٠٢/٣ ، تحرير التحبير / ابن أبي الاصبع ص ٣٦٣) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم بين حجته في عدم اجابته لهم :

١ - ان هذه الأوثان التي تدعونني الى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة :

"لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ" (١)

والتي تحتمل :

أ - أن المعنى : ما تدعونني الى عبادته ليس له دعوة الى نفسه لأنها جمادات ، والجمادات لا تدعو أحداً الى عبادة نفسها حتى اذا قلبها الله تعالى حيوانا في الاخرة فانها تتبرأ من هؤلاء العابدين .

ب - أو معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الاخرة ، فسميت استجابة الدعوة بالدعوة إطلاقا لإسم احد المتضايفين على الآخر .

والحاصل أنه أراد أن يبين لهم أن دعواهم خالية من الحجة وأن البرهان قد قام على النقيض من ذلك فكأنه يقول لهم : ان المحاجة لا تقوم الا على الحجة والبرهان ، وانتم حين تدعونني لأكفر بالله وأشرك به فلم تثبتوا على مدعاكم شيئا من ذلك بل ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة ، اما حين ادعوكم الى العزيز الغفار ، فقد قام البرهان على هدايتي الى طريق الحق ، والصواب فلم لا تتقبلون الحق المؤيد بالحجة والبرهان .

---

(١) سورة غافر آية ٤٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢ - ان المرد الى الله تعالى العالم بكل المعلومات ، القادر على كل الممكنات ،الغني عن كل الحاجات الذى لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد ،فأى عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة تلك الأشياء الباطلة ، وأن يعرض عن عبادة هذا الاله الذى لا بد وأن يكون مرده اليه.

ثم ختم كلامه لهم بخاتمة لطيفة توجب التخويف والتحذير الشديد "فستذكرون ما أقول لكم " سواء في الدنيا أو في القيامة وقت مشاهدة الأهوال .

- ومع ذلك فقد هددوه بالقتل .

فرد عليهم معولا في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على فضل الله تعالى فقال :" وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ "

وهو انما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام فان فرعون لما خوفه بالقتل رجع موسى في دفع ذلك الشر الى الله حيث قال : " انـــي عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " إلا أنهـم لم يتركوه وشأنه خاصة بعدما صرح بتقرير الحق فقد قصدوه بنوع من أنواع السوء قال مقاتل (١) : لما ذكر هذه الكلمات قصدوا قتلـــه

---

(١) هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدى الخراساني ،أبو الحسـن البلخي المفسر ،من الطبقة السابعة ،حكي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : الناس كلهم عيال على ثلاثة : مقاتل بـن سليمان في التفسير ،وعلي زهير بن أبي سلمى في الشعر ،وعلى أبي حنيفة في الكلام توفي سنة ١٥٠هـ .
(انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ١٦٠ ،تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٩ ،التفسير والمفسرون ٢/ ٣٣٠).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه ، وقيل المراد بقوله :

" فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ "

أنهم قصدوا الى ادخاله الكفر وصرفه عن الاسلام فوقاه الله عن ذلك

" وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ " (١)

وبالفعل كانت النهاية لتلك المجادلة عبارة عن صورة تدخلت فيها يد القدرة الالهية كما تقررها سورة غافر :

" وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ " (٢)

فكان ذلك خاتمة للجحود والكبر والطغيان .

والواضح من الأمر أنه بقدر ما كان موسى قويا ثابتا في مجادلته بقدر ما كان فرعون ضعيفا مترددا شأن الباطل في ذلك والذى قال فيه سبحانه : " وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ " (٣)

فبين تعالى أن المفتون هو الذى لا يلقن حجة ، وأن المحق هو الملقن حجة على الحقيقة وهم أهل الحق ولذلك قال تعالى :

" ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ " (٤) (٥)

---

(١) انظر التفسير الكبير / الفخر الرازى ٢٧/ ٧٠-٧١ .

(٢) سورة غافر آية ٣٧ .

(٣) سورة الكهف آية ٥٦ .

(٤) سورة غافر آية ٣٥ .

(٥) الاحكام في أصول الأحكام /ابن حزم ١/ ٢٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد ظهر هذا الطبع واضحا من مجموع الجهالات التي صدرت من فرعون والتي تتمثل في :

١ - اتهام موسى بالسحر وهذا غاية في البعد لأن تلك المعجزات كانت قد بلغت من القوة والظهور الى حيث يشهد كل ذى عقل سليم بأنه ليس من السحر البته .

٢ - أنه لجأ الى قتل أبناء الذين آمنوا معه واستحياء نسائهم لئلا ينشأوا على دين موسى فيقوىٰ بهم.

٣ - بل كان من قبائح فعله مع موسى محاولة قتله :

" وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ " (١)

هذه القولة تظهر الجدل بالباطل في أبشع صورة لأنه لو كان على الحق لما لجأ الى القتل بل ظهرت حجته وغلبت ولذلك لم يقل أنه سيقتل موسى على صيغة الجزم ،بل اهتز موقفه بعد أن ظهرت حجج موسى الواضحات فقال (ذروني أقتل موسى) .

وكما قال صاحب التفسير الكبير في احتمالات هذه القولة :

(الا أنه / كان خائفا لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن قتله فيفتضح الا أنه لو قاحته قال (ذروني أقتل موسى) وغرضه منه : أنه انما امتنع عن قتله رعاية لقلوب أصحابه وغرضه منه اخفاء خوفه) . (٢)

ولكنه سبحانه سجلها عليه خالده " وما كيد فرعون الا في تباب ".

---

(١) سورة غافر آية ٢٦ .

(٢) الفخر الرازى ٢٧/ ٥٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذا التباب وضحته آيات سورة غافر " ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ "(١)

ولان الانكار بعد الاعتراف لا يسمع فقد كانت عاقبتهم على ضلالهم الأول ضلالا ثانيا : هو الانكار بعد الاعتراف (وفي مثل هذا اللون من التسجيل اثارة لوجدان المتشككين والمنكرين و اثارة الخوف في أنفسهم حين يسمعون اعتراف من على شاكلتهم ويدفعهم الخوف الى التأمل عساهم يهتدون).(٢)

والملاحظ أن في قصة فرعون مع موسى في سورة غافر حذف للكثير من فصولها وذلك :

١ - (لأن الحديث فيها ليس بعنصر أساسي في هذه المجادلة الا انها تدرك من السياق .

٢ - كما أن حذفها كان أفضل لأن ذكره يشغل عن تأمل ما في هذه المجادلة مما يحتاج الى تأملة وهو كثير).(٣)

٣ - ثم ان تخطيها فيه وصول الى العناصر الجوهرية في المجادلة وهي المقصود لأن فيها الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق فرعون ومن معه التدمير بتكذيبهم .

---

(١) سورة غافر آية ٤٦ - ٥٠ .
(٢) انظر من بلاغة القرآن / احمد بدوى ص ٣٧٦ .
(٣) انظر الكشاف / الزمخشرى ٢/ ٣٢٤ ، الايضاح القزويني ص ١٣٨ ، الأقصى القريب / التنوخي ص ٦٠ .

This file was downloaded from quranicthought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما يخرج به الداعية من مجادلة موسى لفرعون :

١ - يتعلم الداعية كيف يكون فن الحوار وما هي الأصول المتبعة في ممارسة طريقة المناقشة حين يقف مع الناس مواقف الرد والاقناع المحاجة وحتى لا ينهزم أمام محاجة الخصوم .

فهذا موسى عليه السلام كان مهيأ لكل موقف ومستعدا لمواجهة جميع الاحتمالات المطروحة من خصومه ولم يظهر أنه فوجيء بشيء منها .

وهكذا الداعية لا بد أن يضع في خلده المفاجآت المتوقعة من قبل معارضيه بالحوار لأنه ان لم يكن مستعدا لمواجهة كل الاتهامات والاحتمالات غلبت عليه روح الانهزام .

٢ - ولا بد أن يدرك الداعية أن للدعوة أساليب متعددة كثيرة تعينه في تبليغ دعوته منها ، أسلوب الالتفات الذى يحتاجه الداعية كثيرا لما فيه من فوائد عظيمة ذكرها صاحب الاتقان فقال ما نصه : (منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب المتنقلات ، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد).(١)

٣ - ومنها أسلوب التلطف في القول والرفق في المعاملة والذى له شأن كبير في نجاح الداعية في قيام دعوته الى الخير لأن النفوس شبت في الغالب على الأنفة والرعونة ونشأت على التقيد بالالف والعادة فمن حاول الخروج بها عن مألوفاتها وعاداتها فلا بد له أن يمزج مرارة الحق

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٢٥٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحلاوة التلطف وأن يسهل صعوبة التكليف بحلاوة الرفق واللين ، من هنا رأينا موسى عليه السلام ينادى فرعون قائلا :

" يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ " (١)

(فكأنه قال : يا ملك مصر) (٢) ويقول صاحب التحرير والتنوير :

(والظاهر ان خطاب موسى عليه السلام لفرعون بقوله يا فرعون خطاب اكرام لأنه ناداه بالاسم الدال على الملك والسلطان بحسب متعارف أمته وليس هو بترفع عليه لأن الله تعالى قال له ولهارون :

" فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا " (٣) (٤)

مما يفيد أن لين القول هو محل رجاء التذكر والاتعاظ .

٤ - ومنها أسلوب الاستدراج لاستمالة المدعو بما يؤثر فيه ويأنس اليه أو بما يخوفه ويرهبه قبل أن يفاجئه بما يريد أن يطلبه منه ، وهو الأسلوب الذى انتهجه موسى عليه السلام مع خصومه ، ولأن أمزجة الناس تختلف في ذلك ، فينبغي أن يستمال كل بما يناسبه ولا بد أن يدرك الداعية ان من الخطأ الذى يجب الحذر منه ، هو استدراج الخصم الى ما يفقده السيطرة على أعصابه ، فينقلب الحوار الى ثورة ومهاترة كلامية قد تجر إلى خصومة لا تحمد عقباها ، فالداعية الحكيم لا يستدرج بالغضب والانفعال ولا يخرج من الموقف معلنا الخصومة لأحد بل عليه أن يعلم ان الأمر عبارة عن تصرف في الكلام لا بد أن يُتقن ليكون له

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠٤ .
(٢) التفسير الكبير / الفخر الرازى ١٤/ ١٩٠ .
(٣) سورة طه آية ٤٤ .
(٤) محمد الطاهر بن عاشور ٩/ ٣٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوة توصله الى هدفه (بما تضمن من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم لأنه لا انتفاع بايراد الألفاظ المليحة الرائعة ، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لغرض المخاطب بها)(١) .

٥ - وليعلم الداعية أن الأمر ليس معتمدا على قوة البينة أو وضوح الحجة حتى يستجيب له الناس بل غالبا ما يقابل بالمعارضة والرفض ومن هنا لا بد أن يدرك أنه لا يملك الهداية لأحد ، بل ليس من شأنه ذلك وهذا موسى عليه السلام بالرغم من كل ما جاء به فقد اتهم بالسحر وعندما أثبت أنه ليس بساحر اتهم بالافساد في الأرض ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل هموا بقتله ، وهذا هو طريق الدعاة الى الله .

٦ - البشارة لأهل الايمان أن يطمئنوا الى العاقبة وأن يعرفوا أن النصر للحق في النهاية مهما علا الباطل ومهما تجبر وطغى أهله فهم ليسوا على شيء لأن الله يقول : "وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾"(٢)

ويقول : "وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾"(٣)

وفيما مضى ذكره تسلية للدعاة في تكذيب من كذبوهم يقول صاحب تفسير القرآن العظيم (ان هذه المجادلة فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه وبشارة بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام)(٤) .

---

(١) المثل السائر / لابن الأثير ٢/ ٢٩٥ .
(٢) سورة غافر آية ٢٥ .
(٣) سورة غافر آية ٣٧ .
(٤) ابن كثير ٤/ ٧٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٧ - وفي النهاية لا بد أن يدرك الداعية أن جميع الأبواب لو أغلقت أمامه في أثناء سيره في طريق دعوته فان باب الله مفتوح فهو الركن الركين والحصن الأمين يلجأ اليه كقوة أمام قوة وجبروت أعدائه ، وهذا ما فعله موسى عليه السلام حين قال :

" إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ " (١)

مؤكدا أن هذا الطريق هو المختبر في دفع الشرور والآفات عن النفس ، ولم يزد على ذلك حتى قيض الله من ذب عنه على أحسن الوجوه وعمل على تسكين تلك الفتن التي تدور حول قتله واجتهد في ازالة ذلك الشر.

٨ - كما يستطيع الداعية أن يستفيد من مواقف مؤمن من آل فرعون حين أراد أن ينصح قومه ويعظهم فيما كانوا متورطين فيه من الخطأ العظيم ، كيف رتب معهم الكلام وساقه أرشق مساق مع استعمال الرفق واللين والأدب الجميل ، والخلق الحسن مقتديا برسوليه حين قال لهما ربهما حين بعثهما لفرعون : " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا " (٢)

فبدأ بطلب الباعث لهم على قتله ليتوصل بذلك الى قطعهم والجامهم.

٩ - كما يتعلم الداعية كيف يعطي الاجابة والمحاورة حقها ويحيط بها من جميع جوانبها ويشبعها بحثا واستدلالا حتى ينقاد من يحاوره للهدى ويستجيب للحق اللهم الا اذا وجد منه مكابرة في الحق ومجادلة بالباطل.

---

(١) سورة غافر آية ٢٧.

(٢) سورة طه آية ٤٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

١٠ - كما يتعلم الداعية كيف يكون متمكنا من تجسيد فكرته ، والتي يختار لها الكلمة الدقيقة المعبرة التي تساعده على تصوير ما يريد فيشعر به المدعو أتم شعور وأقواه مما يزيد الحق تمكنا في النفس ويكون تأثيرها قويا .

١١- كما يتعلم كيف يكون الاعراض عن الجدل الباطل حين يبتلى بمن لا يقصد الا الطعن في كلامه بقصد الاهانة والتحقير أو ابتلى بمجادل لا يريد الا أن يعاجز في الحق ويساند الباطل بقصد العلو والكبرياء فعليه أن يتخذ موقفا حكيما ومخرجا حسنا مستفيدا من موقف - مؤ من آل فرعون - الذى يتسم بالأدب الجم والهدوء النفسي والاتزان العقلي والخلق الكريم ، والذى أبقى الحوار الى نهايته محتفظا بمستوى عال عن الفظاظة والخشونة مع ما يحمله من قوة الاقناع ووضوح الحجة .

١٢- كما يستفيد من أسلوبه مع قومه الذى اعتمد على طريقة التلويح في المقال والتعريض في الخطاب والذى هو أبلغ من التصريح وأوقع في النفس وأعظم تأثيرا في القلب وأدعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمة المخاطب بترك المجاهرة بالتوبيخ ، الذى يهيج الحرص على الاصرار ولا سيما النفوس المنطوية على الكبر ، وها هو يقول لهم لما سمع بخبر عزمهم على قتل موسى :

" أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ " (١)

---

(١) سورة غافر آية ٢٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفيه من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو الكاذب ومن هو الصادق أبلغ من التصريح بذلك وهو أبلغ في الانصاف وأبعد عن الجدل والاعتساف لأن النفوس جبلت على الميل الى العظمة وحب الكرامة ونشأت على التقيد بالالف والعادة فلا بد لمن أراد صرفها عن غيها الى رشادها أن يسير بها أقرب المسالك .

١٣- ومن ضمن الأساليب التي ينبغي للداعية أن يستفيد منها الأسلوب الذى انتهجه مؤمن من آل فرعون حين أبرز كلامه في معرض النصيحة لنفسه وهو يريد منا صحة قومه : "وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾" (١)

والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبيء عنه قوله :

"تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ"

وهذا تعريض بهم وهو أبلغ وأحكم للقبول .

١٤- كما يتعلم الداعية طريقة التأثير عن طريق التعليم الذى يبين فيه المطلوب مقرونا بحكمة التشريع ومشفوعا بالحث على التمسك والتحذير من التهاون فيه .

١٥- ويستطيع الداعية أن يستفيد كبير فائدة من أسلوب التخلص الذى لجأ اليه ذلك المؤمن والذى يعنى (الانتقال بما ابتدىء به الكلام الى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول الا وقد وقع عليه الثاني لشدة

---

(١) سورة غافر آية ٤١-٤٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الالتئام بينهما)[١].

واذا أردنا أن نحصر التخلصات في قصة مؤ من آل فرعون نجد أن

التخلص الأول :

لما حاول مؤ من آل فرعون دعوة فرعون وملئه الى عبادة الله بعد ما كان بينه وبين موسى من الخصومة والجدال فصدر حديثه معهم بثنيهم عن قتل موسى واقفا موقف المحايد بينهم وراء سؤال استنكارى حول السبب في قتله والذى لم يكتفوا بالوقوف أمامه بل ادعى فرعونهم أن سبيل الرشاد ليس الا سبيله ثنيا عن الحق والتفكير فيه .

التخلص الثاني :

لما أجابه فرعون بما أجاب أراد أن يحقق عليهم الأمر حتى لا يكون لهم سبيل الى الجحود فخرج عن ذلك الى تحذيرهم وترهيبهم بصورة في الدنيا لا ينكرونها بل يذكرونها ويسمعون عنها ،صورة يوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ،والا فهناك صورة في الآخرة حين ينادي بعضهم على بعض فيولوا مدبرين وصدر كلامه بقوله " يا قوم " تأدبا منه وملاطفة لهم ،ولم يقل لهم انكم تقصدون الى البينات مماطلة .. لم

---

(١) انظر الايضاح ،القزويني ص ٣٠٢ ،الطراز ،العلوى اليمنى ٢/ ٣٣٠ ، الاتقان في علوم القرآن / السيوطي ٣/ ٣٧٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يواجههم بها بل ذكرهم :

" وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ " (١)

اذا هو لم يأت بحجته على أنهم لا يريدون الايمان بل المماطلة على جهة القطع منه بها بل ذكرهم بموقف و ترك لهم وحدهم الاستنتاج والحكم على أنفسهم عن طريق سرد قصة يوسف معهم وموقفهم منه بالرغم من بيانه وتذكيرهم بالنهاية في الدنيا والآخرة و نراهم حكموا على أنفسهم بالجهالة حين أعادوا نفس الموقف غير عابئين به بل يهزأ كبيرهم قائلا :

" يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا " (٢)

التخلص الثالث :

لما تحقق من تعويلهم على الانكار والتكذيب خرج الى تبرئة نفسه مما يدعونه اليه ولهذا قال :

" مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ " (٣)

فكأنه صور المسألة في نفسه على معنى أني فكرت في أمري و نظرت في حالي فرأيت أن اجابة دعوتكم هي الحكم على نفسي اذا رفضتها وآثرت النجاة وأراهم بذلك أنها نصيحة ،نصح بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا الا بما نصح به نفسه وما أراد لنا الا ما أراد لروحه ،ليكون ذلك أدعى لهم الى القبول لقوله ،وأبعث الى الاستماع

---

(١) سورة غافر آية ٣٤.

(٢) سورة غافر آية ٣٦-٣٧.

(٣) سورة غافر آية ٤١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لخطابه ،ولو قال لهم انكم بسبب دعوتكم ستدخلون النار ، لم يكن بتلك المثابة ،ولأنه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح ،لأنه يتأمل فيه ، فربما قاده التأمل الى التدبر)(١).

التخلص الرابع :

لما ذكر أن ما يدعونه اليه غير مستحق للعبادة وذكر موقفه الصريح من ذلك خرج الى ذكر الله وأجرى له من الصفة اللائقة بذاته من اعظام حاله واظهار جلاله وتفخيم شأنه مع ما سيكون منه في الآخرة ليعلم أن كل من هذه حاله فهو حقيق بالعبادة ووجب على الخلق الخضوع له والاستكانة لعظمته :

" وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ "(٢)

التخلص الخامس :

كان لما فرغ من كل ذلك خرج الى حكاية ما يقول أهل النار في النار من الخصومة الناشئة بينهم واظهار الحسرة والندامة المفرطة على ما كان منهم من عدم استجابة المرسل وانقطاع ما في أيديهم من شفاعة شافع أو صداقة صديق ،وعند هذا تعظم الحسرات وتنقطع الأفئدة حسرة وايأسا عن النفع والخلاص مما هم فيه .(٣)

---

(١) انظر الطراز / العلوى اليمني ٢/ ٣٣٥ ،من أسرار البلاغة / محمود السيد شيخون ص ١٩٣ (فصل " التخلص " والتي اختار لها العلماء جانبا من قصة ابراهيم عليه السلام).

(٢) سورة غافر آية ٤٤.

(٣) انظر الطراز / العلوى اليمني ٢/ ٣٣٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com